فهرست الجزء الاول من كتاب اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان

صحيفه

مطلب

صفحه

صحيفة

مطلب آراء

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

مطلب دخوله

صحيفة

صحيفه

صحيفه

مطلب عدم

صحيفة

صحيفه

صحيفه

صحيفه



هــــــــــــــــــــــــــــــــــذا

كتاب اتحاف ملوك الزمان * بتاريخ الامبراطور شرلكان مع ما تقدمه
المسمى اتحاف الملوك الالبا * بتقدم الجمعيات في اوروبا منذ
انقراض الدولة الرومانية * الى اوائل القرن السادس عشر
من السنين المسيحية * ترجمة من اللغة الفرنساوية *
ونظمه في سلك الجواهر العربية * خليفة افندي
رئيس قسم ترجمة ادبيات قلم ترجمة ديوان
المدارس المصرية * ادام الله دولة
النعم صاحب ملك الآثار *
وجعله وسلالته انصارا



بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الأول الآخر * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ذوي المفاخر * فيقول مترجمه الفقير إلى الله الودود * خليفة بن محمود * لما يسر الله تعالى تتميم إتحاف الملوك الألبا * بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا * وكمل طبعه بأمر الخديوي الأكرم * ذي الفضل الأعم * وكان مقدمة لتاريخ الامبراطور شرلكان استحسن ترجمة التاريخ بجملته لما فيه من الفوائد السياسية الزاهرة * والفرائد التواريخية الباهرة * فبذلت الهمة في تعريبه * وتصحيحه وتهذيبه * وازداد تهذيبا بمقابلته مع رب البلاغة والتدقيق * من أوتي في هذا الفن مفاتيح كنوز التعمية والتحقيق * حضرة رفاعة افندي ناظر قلم الترجمة والكتاب المذكور في اللغة الى ترجمته منها اربعة مجلدات * عربها من تبه على عدد

المقدمة من الكتاب فالمقدمة اعنى اتحاف الملوك الالبا مرسومة بالمجلد
الاول والثانى هو اول مجلد من التاريخ ولكن بنا على ان المقدمة كتاب مستقل
برأسه وان كان يتوقف عليها فهم تاريخ الامبراطور شرلكان جعلت
لمجلدات التاريخ المذكور غير خصوصيته كما حصل نظير ذلك فى الكتب
العربية القديمة من جعل المقدمة والذيل مستقلين برأسهما كمقدمة كتاب
ابن خلدون وذيل تذكرة داود وسميته باتحاف ملوك الزمان * بتاريخ
الامبراطور شرلكان * وبالله التوفيق * والارشاد الى اقوم طريق

(المقالة الاولى)

سنة ١٥
ولادة شرلكان

ولد شرلكان بمدينة غند فى اربعة وعشرين من شهر اشباط سنة ١٥
مسيحية وهو ابن فيليس لويتل ارشدوق اوستريا ابن الامبراطور
مكسمليان والاميرة مارية بنت كرلوس لوهردى امراء عائلة
بورغونيا ولم يكن له من الذرية غيرها وهذه الاميرة وام شرلكان هى جانة بنت
فردنند ملك اراغون وايزابله ملكة قسطله فمن اول عد حوادث
سعيدة مدة طويلة ورث شرلكان اراضى التراميه واسعة لم تملك على

مطلب
اصل اراضيه وممالكه

مثلها احد من ملوك اوروبا من زمن الامبراطور شرلمانيا لان
اجداده اكتسبوا بالوراثة ممالك واقاليم عظيمة وان كانت اسباب ميراثهم فيها
واهية بعيدة جدا وكان لا يخطر ببال احد ان الاراضى الواسعة التى كانت
للاميرة مارية البورغونية تنتقل ذات يوم الى عائلة اوستريا لان اباها كان

سنة ١٥٠

وعدها ان يزوجها الابن لويز الحادى عشر ملك فرانسا الذى لم يكن له
غيره لكن ابى لويز المذكور ذلك لانه كان مشوش الطبع وكان يكره عائلة
بورغونيا ورأى ان اخذه بعض اراضى الاميرة مارية نظرى الظهور
والغلبة اولى من اخذها كلها بواسطة الزوجية فصارت عاقبة ذلك عاقبة سوء
وسوء تدبير حيث ترتب عليه ان صارت مملكة البلاد الواطية وبلاد
الفرنسوية تزايدى حصته

واما الملكة ايزابله بنت حنا الثانى ملك قسطله وكانت تسعد عليها

انها صيرت الممالك الكبيرة التي آلت اليها فيما بعد وورثها عنها حفيدها شرلكان
لانها قضت اوائل عمرها في الفاقة والخمول لكن لما غضب اهل قسطيلة من
اخيها الملك هنري الرابع لما انه مع ضعف عقله في الادارة والتدبير كان شبقا
طماعا زعموا انه عنين لا قدرة له على الجماع واتهموا امرأته بالزنا فعقدوا نيته بطرد
القسطيليون بنته جانة عن الكرسي الملوكي وجبروها على الارتحال الى بلاد
البورتغال وولوا عمتها ازابيلة عليهم مع ان هنري الرابع لم يزل ينفي
ما اتهمت امرأته به ويعترف بان جانة بنته من صلبه الى ان حضرته الوفاة بل
عقد في هذا الشأن مشورة وكلاء المملكة وحكم ابراءها بانها هي التي ترث مملكته
من بعده

واما السبب في استيلاء فرديناند على تاج مملكة اراغون فهو موت
اخيه الاكبر فجأة فلما صار ملكا على اراغون بعد موت اخيه المذكور
هدل جزيرة المسارطنات وضم الى رايته وغلب على مملكتي نابلي وسيسليا
وزيادة على ذلك اكتشف الماهر كرستوف كولومب بمدح فكرته وهمته
وجسارته في سعيه السعيد الذي هو اعظم شيء ذكر في التواريخ الشهيرة الدنيا
الجديدة (وهي بلاد امريقة) فانضمت الى الممالك السابقة وصارت تحت حكم
فرديناند ولا شك ان محصولات امريقة كانت من اعظم الوسائط التي كان
بها بأس ملوك اسبانيا وازدياد صولتهم

فلما رأى فرديناند وايزابلة ان ابنهما الامير حنا الذي لم يكن لهما
غيره من الذكور وبنتهما البكرية ملكة البورتغال قد سبقت بهما الاقدار
الا مدة في عنفوان شبابهما تعلق آمالهما ببنتهما جانة ام شرلكان
وقصرا رجاءهما عليها وعلى ذريتها ولما كان الارشيدوق غريبا عن اسبانيا
واخلاق اهلها استصوب الملك فرديناند وزوجته ايزابلة ان
يحضراه الى اسبانيا ليتعلم من اهاليها ويعلم سرائرهم ويعود على اخلاقهم
حيث انه متى آل اليه تصرفات يوم ملكا عليهم ولهذا دعوه وزوجته جانة حتى
في ولاية العهد لاجتماع مشورة القورطس التي كان لها شدة صولة عظيمة

* في مالكه

سنة ١٥٠٢

في مملكة اسبانيا حيث كان لا ينعقد حكم ولا يثبت لاحد حق في التاج الا برضا تلك المشورة وقدم فيلبس وامرأته مملكة فرانسا وهما ذاهبان الى اسبانيا فلقيا فيها بغاية الترحيب والاحترام واكرما الاكرام التام وادى فيلبس لملك فرانسا لويز الثاني عشر بالانقياد والطاعة فيما يختص بوظيفة الفلمنك وعقد في مجلس برلمان مدينة باريس من جملة وجوه البر (اى رجال المملكة) ولما وصلا الى اسبانيا فلقيا مع احتفالات السرور بعد الحذرة بان فعلها الملوك لابنائهم ومع غاية التعظيم والتبجيل من الرعايا وثبت طلب لهما حق وراثة تاج مملكة قسطيله ومملكة اراغون باقرار وكلاء اهالي هاتين المملكتين

ولكن مع هذه المسار الظاهرة كان كل من الامير فيلبس والملك فرديند في عذاب اليم من الغم الذي كان يغلي في بطونهما كغلي الجحيم اما الامير فيلبس فلان رسوم ديوان اسبانيا وعوائده كانت صعبة مكلفة ولم يمكنه تحملها ولم تطعها نفسه لانه كان صغير السن حليم الطبع لين الجانب يحب مجالس الانس والخلاعة وانواع المسرات فلم يمكث مدة الا واظهر القلق وعزم على الرجوع الى اصل عرشه ومسقط رأسه لما ان اخلاقه وعوائده تلائم طبعا اكثر من اخلاق اهل اسبانيا وعوائدهم واما الملك فرديند فلان صحة الملكة ازابله زوجته كانت دائما في الضعف والتناقص وكان يعلم انه بعد فقدها لا يبقى له شئ في حكومة مملكة قسطيله وكان قد ظهر له من حال الامير فيلبس انه مشوق جدا للحكم ومفطور معه مع القلق والحرج فكان يخشى ان هذا الامير بعد فقد ازابله لا يرضى ان يترك له شيئا في حكومة قسطيله ولما كان في ذلك نقص لشوكته وممالكه وكان طماعا حريصا على ازدياد في جميع اوقاته

•

واما الملكة ازابله فكانت لا يهنأ لها عيشة بسبب شدة حبها لما ان زوجها فيلبس كان يحتقرها ولا يحبها اذ كانت خالية عن جميع المحاسن الحسية والصفات الحميدة المعنوية التي يستميل بها المرأة قلب زوجها وكانت

مطلب
غيرة فرديند من فيلبس

مطلب
غيرة الملكة ازابله وآلامها من اجل زوجها

15

بالطبع بعد مدة الفصل فكانت عرضة لقبل سوابر وكانت تحب زوجها
فيلبس حتى انشد داود المودة التامة وهو بعضها حيث كان جهاديه
ملتهبا الى فعل امور تسأم منها وكانت غيرتها الشديدة عليه تقضي بها الى
ما تقدم من الجنون وان كانت معذورة في ذلك وكانت امها ايزابله لا تنكر
عشقها الا انها كانت تاسف كثيرا على حالها الحزن وغاظ بل زاد حزنها
واشتدت آلامها حين عزم زوجها فيلبس في فصل الشتاء ان يسافر
الى بلاد الفلمنك ويتركها في بلاد اسبانيا فجعلت امها ايزابله تحاول
بلا طائل تغيير قصده وتحذره بان زوجته جانه قد قرب اوان وضعها واذا
تركها كئيبة حزينة من بعده تكون عرضة لخطر عظيم وتضرعت اليه
زوجته فيها طالبة منه ان يؤخر السفر ولو بلا مدة ايام لتحظى بانسه مدة
عيد الميلاد وكذلك الملك فردينند الذي له انه ليس من الحزم والاصابة
ارتحاله عن اسبانيا قبل ان يعرف اخلاق اهلها ويميلهم اليه حيث انه
سيصير ذات يوم ملكا عليهم ولكن كان فيلبس مصمما كل التصميم على
ما عزم عليه ولم يصغ لقول احدهم فعند ذلك اوصاه فردينند أن لا يمر
في سفره بمملكة فرانسا حيث كانت وقتئذ نار الحرب مضطرمة بينها وبين
اسبانيا فسافر فيلبس الى البلاد الواطئة في ٢٢ من شهر كانون
الاول ومر في سفره بمملكة فرانسا ولم يلتفت لما فيه الحزم والمروءة حيث
خالف وصية فردينند بمروره بالمملكة المذكورة ولم يرث لحال زوجته
فلما سافر ترك زوجته جانه غارقة في احزان واشجان اورثتها
ماليخوليا شديدة بحيث كان لا يمكن ان تسلى بشيء بعده وفي اثناء ذلك
وضعت فردينند وكان ثاني ولد جاءت به فصار اعلان السرور والفرح
بولادة هذا الامير في جميع بلاد اسبانيا كل ذلك ولم يحصل لامه فرح بولادته
لانها كانت لا تتأثر بشيء من المسرات ولا ترغب الا في اجتماعها بزوجها
ولم يحصل لها راحة وامن كامل يسكن غليلها الا بعد ان اجتمعت به في العام القابل
بمدينة بروسله

هو فردينند الذي
امبراطورا

ولما

سنة ١٥٠٤

وقام فيلبس في سفره بمملكة فرانسا اجتمع بملكها لويز الثاني عشر
وعقد معه مشارطة أمل بها فض المشاجرات الحاصلة بين فرانسا واسبانيا
ولكن لما كان لأهل اسبانيا وقت ظفر عظيم ببلاد ايطاليا حيث كان
لهم فيها الماهر غونسالو دوكوردو وكان دائما ينتصر على الفرنساوية
ويضعف قواهم حتى سمي بالسردار الأعظم لم يعبأ فرديناند بالمشارطة
التي عقدها زوج بنته مع ملك فرانسا واستمر الحال على ما كان عليه بل
ازدادت نيران الحروب بين الفريقين

ومن وقت ما ظهر ان فيلبش يتصدى الى الدخول في مصالح اسبانيا
في شيء بل جعل يتطير بدون شيء من فرديناند ابو زوجته اراد له
ليجلس على كرسي من يموت منهما فلم يمض عليه مدة طويلة الا وبلغ مرامه
وذلك لأن موت اولاد ايزابلة الذين ادركهم في زمن صباهم وزمان
شبابهم اودع في قلبها من الكآبة والحزن ما لا يطاق فكانت اولا تسلي
نفسها بحنة واولادها فلما رأت ان عقل بنتها آخذ دائما في التناقص
والضعف وان زوجها لا رأفة بها ولا ودها ولو في الظاهر تراكمت عليها الهموم
واشتد بها الحال واخذت قواها تضعف شيئا فشيئا حتى ماتت بعد شهور قليلة
بمدينة المادين دلكمبو في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني
سنة ١٥٠٤ من الميلاد وكانت هذه الاميرة مشهورة بالفضائل والمعارف
فهي جديرة بما أثنى به عليها مؤرخو اسبانيا من المدائح لسوا كان ذلك
بالنظر الى وصف كونها ملكة او زوجة او والدة يعني انها كانت قدوة بما يجب
على النساء لأزواجهن والملوك لرعاياهم والأمهات لأولادهن

مطلب
ايصاء ايزابلة لزوجها
فرديناند ان يكون قيما
على مملكة قسطيلة

وقبل موتها بمدة كتبت وصيتها وذلك لأنها لما كانت تعلم ان بنتها حنة لا يمكنها
ان تستلم زمام مملكة قسطيلة وكانت تأبى في نفسها ان تعطيها للأمير فيلبس
لأنها كانت تبغضه بينة اوصت لزوجها ان يقوم بادارة المملكة المذكورة على
سبيل النيابة حتى يبلغ سبطها كرلوس حد العشرين واوصت له ايضا بنصف
الايرادات التي تأتي من الهند وبالرياسة على الطوائف العسكرية الثلاثة وهو

١٥٠٤

ه حتى تكسب صاحبه السطوة والصولة العظيمة حتى تكاد تجعله قائماً بنفسه
في ثم اضافته اراغون الى المنصب الملوكي وجعلته من خصوصيات الملك
ولكن قبل ان يصح اضافتها على الوجه اخذت على فردنند ميثاقاً
ان لا يغتصب بواسطة زواج او غصوبة خاصة حرمان بنتها جانه وذريتها
لشيء من ممالكها

وبمجرد موتها خلفها فردنند ولقب ملكاً على قسطيلة واعلن ان
جانه وزوجها فيلبس هما اللذان لهما الحكم الحقيقي على هذه المملكة
واما هو فليس ملكاً عليها الا بطريق النيابة واقر بذلك مسرور وكلا المملكة
لكن بعد الوقت والصعوبة بسبب بغض اهل قسطيلة واهل اراغون
لبعضهم ثم انهم مكثوا قبل ذلك نحو ثلاثين سنة وهم في الاتحاد والالفة الا ان
البغضاء والعداوة التي بينهم من قديم الزمان كانت لم تزل في قلوبهم حتى ان اهل
قسطيلة منعهم كبرهم وتعاظمهم ان ينقادوا لحكومة ملك اراغون
وابوا ان يتوجوا فردنند بتاج مملكتهم وزياد على ذلك كانوا يعرفون
اخلاق فردنند حق المعرفة فرأوا انه لا يصلح ان يكون ملكاً عليهم وذلك
انه كان كثير الوسوسة سيء الظن ينظر في عواقب الامور ويسلك في اموره سبيل
الجد والصعوبة والاقتصاد المفرط محسوداً ولو على سفاسف الامور يجاري
صاحب العمل الجليل بالطفيف فكثيراً ما كان يأسف اهل قسطيلة على فقد
ملكتهم ايزابلة لانها كانت لينة العريكة حليمة الطبع ترفق بهم وتحبهم
فكانت غالباً تلطف بأخلاقها الجميلة شراسة اخلاق زوجها ومن المعلوم ان
فردنند كان مذهبه في ادارته واحكامه الاجحاف بالاكابر والامراء فكثيراً
ما مشى مع الاجتهاد في اضعاف شوكة الامراء الخارجة عن الحد وتقوية
الشوكة الملوكية وطالما اجتسر على كل تابع تعدى عليه بغرمه او بديه
وزاد في مرتبة المدن وخصوصياتها فبهذه الاسباب كلها تعصب عليه حزب
عظيم من اهل قسطيلة ومع ان هذا الحزب لم يصل خروجه الى حد الفتنة
والقيام عليه الا ان فردنند كان يخشى انه لو حصل لهذا الحزب ادنى

اقرار فردنند على نيابة مملكة قسطيلة

سنة ٤ ١٥

بغير نص من الملك الجديد الذي هو فيلبس لكانت قاسية عليه سنة مشومة

وقد وقع الاضطراب اتفاقا في البلاد الواطية حين وصل اليها خبر موت الملكة ايزابلة واستيلاء زوجها فرديناند على حكومة قسطيلة لان فيلبس لم يكن عنده صبر ولا تجلد حتى يلتفت الى ما فعله الملك فرديناند من تغلبه على مملكة قسطيلة طمعا في ان يكون له فيها حق فكان يزعم فيلبس انه ان كانت الامر جائزة بسبب ايزابلة لا تصلح ان تكون حاكمة على مملكة قسطيلة لضعفها عن الادارة بسبب ما هو قائم بها من الداء العضال كان له الحق في النيابة عنها لانه زوجها وان لم يكن ذلك ايضا لكرلوس لكونه قاصرا فله ايضا الحق في النيابة عنه لانه والده ووصيه بالطبع فعلى كل حال سعى ان لا يستولي غيره على المملكة ولا يخفى ان الوصية التي كتبتها ايزابلة قبل موتها لا تكفي في نقض هذه الحقوق الاكيدة الشرعية لا سيما ولم يقع الاتفاق على مضمونها الا بين الاعيان والعمدة وقد وافق ذلك حصول حادثة جلبت فيلبس على التصميم على نفاذ غرضه وهي حضور جنا مونيل عنده وذلك انه كان الحاكم من طرف فرديناند في ديوان امبراطور النمسا فلما اخبر بموت الملكة ايزابلة سار الى مدينة بروكسيلة فورا لان يكون له بديوان ملك شاب حظ من نفوذ الكلمة والرفعة ما لا يمكنه ان يطمع في نواله بديوان شيخ بخيل كفرديناند وكان فيلبس مدة مكثه ببلاد اسبانيا قد استمال اليه هذا الامير الذي نشأ في ديوان فرديناند وتمكن في معرفة ادارة المصالح فكان في وسعه معارضة مقاصد فرديناند وسياسته بمعارف وحيل ليست دون معارف فرديناند وحيله فاتحد رأي مونيل المذكور على ان يبعث رسلا الى فرديناند ليلزموه بالذهاب الى مملكة اراغون وتسليم مملكة قسطيلة الى نظارة فيلبس وعصبته بالنيابة عنه حتى يذهب بنفسه ويجلس على كرسيها وجعل فيلبس جنيد يستميل عقول اشراف قسطيلة الذين كانوا في غيظ كبير من الملك فرديناند

مطلب
سعى فيلبس في الاستيلاء على حكومة قسطيلة

مطلب
بعث فيلبس الى فرديناند أن يسلم مملكة قسطيلة ويذهب الى مملكته

ويحرضهم ويحثهم كل الحث على العصيان والخروج عليه وعقد اتفاقا مع لويز الثاني عشر ملك فرانسا مشارطة مقتضاها انه بذلك يستميل قلب هذا الملك فيعينه على مشروعاته

هذا ولم يبق طريق الا وسلكه فرديناند لاجل ابقائه نفسه ملكا على قسطيلة فاتخذ له اصطناعا من اشراف اراغون يسمى كونشلوس واناطه بنقل المراسلات السرية بينه وبين بنته جانة ولما كانت ضعيفة العقل قليلة الحيلة بلغ هذا الامين بها أن كتبت لابيها فرديناند واقرته على النيابة على مملكة قسطيلة ولكن لم تمض هذه الدسيسة على الامير فيلبش لحذقه وفراسته فقبض على مكتوب الاقرار الذي كتبته جانة ووضع كونشلوس في دهاس مظلم وحبس جانة في جهة من القصر ومنع خدمها الاسبانيوليين ان يدنوا منها

١٥٠٤ م

تخلي اشراف قسطيلة عن الملك فرديناند

فلما رأى فرديناند ما حصل من كشف سره لحقه غم شديد وازداد ذلك غما بسبب من نجاح الرسل المبعوثين من طرف فيلبش الى قسطيلة حيث ان بعض الاشراف احبت وتخصص في صورة وبعضهم احبت في مداهنته اليه لما له من شوكة ونفوذ كلمة وتعصبوا جميعا منهم على فرديناند واخذوا يجمعون اتباعهم حتى خلى ديوان فرديناند عن الاهل ولم يبق فيه من الاعيان الا اكزيمنس ودوق البه والمركيز دورية بخلاف بيوت رسل فيلبش فلا زال يتوارد عليها كل يوم اكابر الاشراف واعيانهم فلما تخلى جميع الناس عن فرديناند ولحقه الخزي من كونه رأى الامير فيلبش مع صغر سنه قد تمكن بسياسته من افساد حيله وتدبيره غضب غضبا شديدا حتى هتك حرمة النواميس الطبيعية الرابطة بين الآباء وابنائهم وخلع برقع الحياء فعزم على حرمان بنته جانة ووريثها من تاج قسطيلة حيث رأى ان ذلك اولى عنده من خلعه يده من نيابة تلك المملكة وهذا المقصد وان كان قبيحا في ذاته صعب التحصيل الا انه صمم على تتميمه فطلب ان يتزوج بالاميرة جانة بنت الملك هنري الرابع مع ان الملكة ايزابلة كانت

لم ترث

ثم ترك كرسي قسطيلة الا بعد ادعاء اهل تلك المملكة ان هذه الاميرة
معزولة من الرياسة وانه لاحق لها في المملكة لكونها البنت بنت هنري المذكور
فظن فردنند انه ان يزوج هذه الاميرة الى جارها ساعانه بنفسه مع جيوشه
فيمكنه ان يحمي حقوقها في مملكة قسطيلة ويعود الى الاستيلاء عليها الآن
الفونس ملك البرتغال الذي كان خال المذكورة فاطمعه ببلاده
وكان متزوجا باحدى بنات الملك فردنند والملكة ايزابلة ثم بعد هذا
النكاح حسب انه في غير محله خصوصا وخالة المذكورة بنت هنري
مكثت مدة طويلة مترهبة في دير النساء من طلبها علائق الدنيا ودواعي المعالي
والفخار فاظهرت انه لا حاجة لها بمثل هذا الزواج

ومع ذلك فعدا ان فردنند من بعدما طمع فيه وجد وسائل جديدة
له على نجح مقصده الذي صمم عليه فعدا ان خاب سعيه بمملكة
البرتغال جعل مملكة فرانسا مطمح نظره وطلب ان يتزوج بالاميرة
جرمين دوفواكس بنت الويسه دوبارون والاميرة مارية اخت
الملك لويز الثاني عشر وكان الحرب الحاصل وقتئذ في نابلي بين لويز
المذكور وفردنند مبنيا على لويز حسبما طلبه فردنند وبادر
بقبول هذا الامر حيث انه يكون به عقد الصلح على وجه لطيف لا يخل بشأنه
هذا ومع ان فردنند كان بمكانة من الكياسة والحزم بحيث لم يعقه في ذلك
احد من الملوك لانه كان يوثر الاسباب السياسية على الاغراض التي تدعو اليها
نفسه ولا يتصدى لمقصد سوّلته له آماله الا بعد الوقوف على حقيقته ومعرفة
عاقبته كان غيظه شديدا من صهره فيلبس حتى انه لاجل ان يفصل عنه
حليفه لويز الثاني عشر ويخلعه عن كرسي اراغون عزم على تجزئة
اسبانيا وتقسيمها الى عدة ممالك كما كانت قبل ذلك مع ان انضمامها الى بعضها
وجعلها مملكة واحدة هو الذي اظهر حكومته واكسبه الفخار وكان مطمح
نظره ورصد همته ان يعيد الى اشراف نابلي الذين هم من احزاب
الفرنساوية جميع املاكهم ومزاياهم وعرض نفسه للسخرية والاستهزاء

مطلب
زواج فردنند ببنت
اخت ملك فرانسا

حيث تزوج مع كونه لم يبلغ من العمر الا ثماني عشرة سنة
فتأثر الامير فيلبس من هذا النكاح تأثرا شديدا حيث فصل عنه حليفه
لويز الثاني عشر ولم يكن له حليف سواه وخشي ان يترتب على ذلك حرمانه من
ممالك اسبانيا العديدة فبذلك رأى الامير فيلبس انه يلزم المبادرة
الى سلوك طريقة اخرى في شأن قسطيلة فارسل اعلاما جديدا الى رسل
الفلمنك الذين كانوا اوفدوا الى اسبانيا وامرهم ان يخبروا فرديناند بان الامير
فيلبس له رغبة عظيمة في ان يبطل بالتي هي احسن ما بينهما من المشاجرة
ويرضى بقبول كل شرط يفرض عليه لتجديد المحبة التي ينبغي دوامها بين
الاصهار ولم يتيسر لاحد من الملوك انه يعقد اوفق من المشارطات اكثر من
الملك فرديناند الا انه كان يصدق الغير ولا يمنع انخداعه استماع ما يعرض
عليه خصوصا من غير توقف الى قول رسل فيلبس وعقد بعد ذلك بمدة قليلة
في مدينة سلمنكة مشارطة بها حصل الاتفاق على ان ادارة مملكة قسطيلة
تكون باسم الاميرة جانة وزوجها فيلبس والملك فرديناند وان
ايرادات المملكة ومحصولات المناصب تكون بالمناصفة بين فرديناند
وفيلبس
ولكن كان فيلبس في الباطن لا يعتبر هذه المشارطة الا آلة يتوصل بها الى
مآربه وبعد ذلك بادر ببعض مهمات كان قصده بها مخادعة فرديناند حتى يمكنه
ان يسافر الى بلاد اسبانيا من غير ان يتصدى فرديناند لمنعه ويسد
السبل امامه وقد نجح بهذه الحيلة وبلغ مآربه وذلك ان فرديناند مع ما كان
عليه من الحزم والتبصر مكث مدة وهو لا يخطر بباله مقصد صهره فيلبس
وبمجرد ما اخبر به طلب من ملك فرانسا ان يحث الامير فيلبس العدول
عن هذا السفر بل ويزجره عنه بالتهديد والتخويف وطلب ايضا من دوق
غولدره ان يشن الغارة على دوله التي بالبلاد الواطئة ليشغله عن السفر
ولكن جميع هذه الاحتراسات لم تمنع فيلبس وزوجته جانة عن السفر
فسافرا في دونمة كبيرة واخذا معهما طائفة كبيرة من العساكر الحربية الا انه

في اثنا

سنة ١٥٠٤

المـ
مشارطة التي حصلت
بين فرديناند وفيلبس
في ٢٤ من نو
...اني

المـ
...ر فيلبس وزوجته
...ه الى بلاد اسبانيا
سنة ١٥٠٦

٢

سنة ١٥٠٦

في اثناء السفر هبت عليهما رياح عاصفة حملتهما على ان يرسوا ببلاد انكلترة
فجعل فرديناند يرجو ملكها هنري السابع حتى حجزهما عنده اكثر
من ثلاثة اشهر وبعد ذلك رخص لهما في الرحيل فسافرا من غير ان يحصل لهما
عائق يعيقهما في ٢٨ من شهر ابريل حتى وصلا سالمين الى قورونة
في غاليسية فلم يتجاسر فرديناند على ان يحشد الجنود ليمنعهما عن الخروج
من السفن كما كان مصمما عليه

مطلب
ميل اشراف قشطالة الى حزب فيلبس

وكان اشراف قشطالة الى ذلك الوقت لم يتجاسروا على افشاء ما في ضميرهم
فبعد وصول فيلبس اليهم انضموا الى حزبه وصاروا يأتون اليه من اطراف
المملكة وارجائها وهرع اليه من سائر مملكة قشطالة الاكابر والملتزمون
مع اتباعهم ليدخلوا في خدمته وابتغاء مسرته حكم فيها بطلان المسارطة
التي حصلت في سلمنكة واتفقت الآرآء على طرد فرديناند من مملكة
قشطالة حيث رضي بانفصالها عن مملكتي اراغون ونابلي لان ذلك يدل
على انه لا يرغب في حماية مصلحتها وراحة اهلها فلما تخلى جميع القشطاليين
عن فرديناند وخرجوا عليه صار مضطرا بان يترك حكومة قشطالة
بدون حرب وسعى في اشهار الحرب لينزعها من خصمه فاعرض للامير فيلبس
انه يريد مقابلته ليتفاوضا في هذا الشان والح عليه في ذلك فلم يبلغ مرامه لان
الامير فيلبس كان يمنعه من ذلك وكان فرديناند يرى ان حزب
فيلبس دائما في الازدياد فعلم انه لا طائل في التصدي الى مقاومة اخوانه التي
كانت كالسيل العرم فبعد مسارطة عقدت بمضمونها انه تخلى للامير فيلبس

مطلب
تخلي فرديناند عن ولاية قشطالة وذهابه الى مملكة اراغون في ٢٨ من شهر حزيران

عن ولاية قشطالة وذهب الى مملكة اراغون التي هي وراثة له ولكن
بقي له الرياسة على الطوائف الثلاثة العسكرية ولا يحرم انصاف الايراد الذي
اوصت له زوجته ايزابلة بفعل موجبها ثم تظاهر حينئذ بانه داع فردينند الى
مقابلتهما للصلح بينهما ولكن لما كان الملائم للمروءة والانسانية مقابلتهما لان
فرديناند كان يرغب في ذلك كل الرغبة ذهب فيلبس الى المحل المتفق
بينهما للمقابلة في رونو وحضر عظم من اشراف قشطالة واعيانها وطائفة

١٥٠٦

كثيرة من العساكر المتسلحة واما فردينند فذهب ولم يكن معه الا بعض خدم لا سلاح بايديهم فاخذ منويل يحسد باهي فردينند ويحقر عليه بما كسبه في خدمة فيلبس من الشوكة والصولة والحظوة عنده فلحق فردينند من ذلك الخزي من اهل قشطيله الذين كانوا رعيته سابقا وصاروا رعية لكائن من سيدين لا يطيق مخطيهما مالك طماع مخادع بله احدهما هوانه مع كبر سنه وخبرته ومكانته من السياسة والحزم ظهر عليه مثل هذا الشاب الصغير وحطه عن درجته واخذ عليه ماديره والثاني هو ضياع مملكته منه

شهرعون

وبعد ذلك بمدة قليلة سافر فردينند الى مملكة اراغون وكان يامل ان يساعده الدهر في رجوعه ملكا على قشطيله فاستشهد بعض الناس من اعلى بطلان المشارطة التي انعقدت بينه وبين صهره فيلبس وامر باشهادها انعقدت كرها فتكون لغاية لا اعتداد بها

طلب

فاستولى فيلبس على مملكته الجديدة مع السرور الذي يحصل عادة للشبان من مثل هذا المنصب واما زوجته جانه فشبه الحب الى كانت تناله في تلك السعادة فغضب عليها بمدة هذه المشارطات وهي في عذاب اليم وكرب عظيم من الالم التحول لها الى كانت فاتهمها بانها كانت لا تود لها في الخروج بين الناس الا نادرا حتى ان اباها فردينند طلب ان يراها فلم يمكنه وكان قصد زوجها فيلبس ان ارباب مشورة وكلاء المملكة يحكمون بانها لا تصلح للحكم حتى لا تشركه احد في مملكة قشطيله الى ان يبلغ ابنه كرلوس رشده ولكن لم ينجح في هذا القصد لما ان اهل قشطيله كانوا يحبونها اذ هي [illegible] عائلتهم الملوكية الاصلية ثم تمكن للامير منويل بسياسته وحزمه ان يأخذ بقول بعض الناس من ارباب المشورة التي انعقدت في مدينة بلادوليد وكان هناك اناس آخرون مستعدون لتنفيذ مقاصد فيلبس ولكن لم يرض جمهور ارباب تلك المشورة باقراره على ذلك لما انهم كانوا يعدونه منافي حقوق عائلتهم الملوكية فحكموا بان المملكة تكون لكل من فيلبس

زار مشورة وكلاء المملكة فيلبس زوجته جانه على تكريمه بمملكة قشطيله

وزوجته

وزوجته جانه وان ابنها كرلوس يكون اميرا على اقاليم اسطوريا ولم يكن لفيلبس من الحوادث السياسية الشهيرة سوى هذه الحادثة وبعدها انهمك على الشهوات واللذات فاصابته حمى شديدة مات بها وكان في عمر الثامنة والعشرين فلم تحظ بلاده اشهرا كاملة بالمنصب الملوكي الذي صرف ساعد الجد في طلبه وتحصيله

سنة ١٥٠٦

مطلب موت فيلبس في ٢٥ من شهر ايلول

وبموته صارت مملكة قسطيلة لزوجته جانه لا يشركها فيها احد ولكن حصل لها اثر موته اوجب خلل عقلها وصارت لا تصلح بالكلية لادارة المملكة رأسا فكانت لا تفارق فراش زوجها مدة مرضه ولم يمكن باي وجه ابعادها عنه ولو طرفة عين مع انها كانت حاملا في ستة اشهر وبعد خروج روحه لم تدمع عينها ولم تبك ابدا لان كانت آلامها خفية وكآبتها باطنية لا تظهر عليها ولم تزل عاكفة على جثة فيلبس وتنظر اليه بعين الشفقة والرأفة كما لو كان حيا وبعد ان أذيب بدمه ودفن اخرجته من القبر وحملته الى قصرها ووضعته على سرير مكسو بحلل فاخرة جيدة من انواع الحرير والديباج لانها كانت سمعت في حكايات بعض الرهبان والمؤمنين ان بعض الملوك حلت في بدنه الحياة بعد موته باربع عشرة سنة فكانت دائما تشخص البصر الى جسم فيلبس مترقبة الوقت السعيد الذي تعود فيه اليه الحياة واغرب من ذلك انها كانت تغار عليه وهو ميت كما في حال حياته فكانت لا تأذن لنسائها التي تخدمها ان يقربن من فراشه واما النساء الاجنبيات فكانت لا تأذن لهن في الدخول الى الجهة التي هي ساكنة فيها حتى انها عند وضعها لم ترض بان تدخل بعض القوابل لاجل مساعدتها على الولادة مع ان هذه الحالة قد اتعبت جسدا من التجار فوضعت الاميرة كاترينة من غير مساعدة احد غير خدمها

مطلب ازدياد اختلال عقل جانه

ومن المعلوم ان المرأة اذا كانت بهذه المثابة لا تصلح لادارة مملكة عظيمة كمملكة قسطيلة وزيادة على ذلك كانت لا تقبل شيئا على زوجها وتدعو له بالرحمة حتى كانت ترى انها اولى بالنفس لمصالح الدولة لما وقف عما يجب عليها له فاستبان

١٥٠٦

يقوم بتدبير المملكة ولغيرها لم يطق أن ينصب لها وكيلا على المملكة يقوم بمصالحها وإدارة أمورها فصارت رعاياها يتضرعون إليها كل التضرع في أن تنصب لها وكيلا أو تضع إمضاءها على الأوامر اللازمة لإجراء القوانين ونشر الأمن والاطمئنان في المملكة فأبت أن تفعل شيئا من ذلك

فصار أهل قشتالة في حيرة عظيمة حيث إنهم عند خلو ملكهم كان ولدها كرلوس لم يبلغ سن الرشد حتى يقوم مقامها فرأوا أنه لا بد من إقامة وكيل على المملكة يقوم بأمورها لكن لم يجدوا في أمراء قشتالة أحدا أفضل تبحر في المعارف والحزم حتى يكون جديرا بأن يدعى إلى هذا المنصب الجليل فعين عندهم للقيام به الملك فردينند أو الإمبراطور مكسمليان أما الأول فيستحق ذلك بوصف كونه بإتباع بنته جانه لا سيما وكان يقصده في ذلك وصية أمها ازابله وأما الثاني فوجه استحقاقه للوكالة أنه جد كرلوس لعدم صلاحية أمه للتحكم له الحق في مملكة قشتالة وقد نابه صغير السن بخدمه من جهة أنه يكون واليه ووكيلا عنه وقد حصل لمن سعى في طرد فردينند من مملكة قشتالة غم شديد حيث رأوه قريبا من الأسد لا عليها أبا وكان جبارا بالطبع لا يعرف العفو أبدا لا سيما إذا تذكر ما صدر منهم في حقه من الإساءة فإنه يزداد بذلك قسوة وغلظة وأما مكسمليان فلم يكن له شيء من هذه الأسباب تمنعه عن الاستيلاء على تلك المملكة إلا أنه كان لا يعرف أخلاق أهلها ولا قوانينهم ولم يكن له جيوش ولا أموال حتى تمكنه تنفيذ أغراضه في هذا الشأن وأيضا لا يثبت له حق في قشتالة إلا بعد أن يعلم الخاص والعام بخبال الملكة جانه وعدم صلاحيتها لإدارة المملكة ومع أن حالة هذه الأميرة لم تكن إذ ذاك خافية رأى أهل قشتالة أنه ليس من المروءة إشاعة ذلك بين الناس لما أنه يورث العار ويزري بالعرض

ولكن لما كان الأمير فيليب وبعض أمراء قشتالة يعتقدون أنهم أول من ينتقم منهم فردينند ويذيقهم العذاب الأليم بسبب ما فعلوه معه جعلوا أنفسهم في حزب مكسمليان والتزموا بأنهم ينصرونه ويدافعون عنه

بجميع

سنة ١٠٥٦م

بجميع طافهم وكان مكسمليان مع خسارته واقدامه على المشروعات نطنا ضعيف الهمة في تعرضها فعدم في ذلك رجالا ونقودا اخرى فبادر بالقبول لمقصد مقرّبل ومن معه لكن لم يترتب على ذلك الاتحادات وتحاورات لاطائل تحتها فاشتهى هذا الامبراطور حضوره مع الابهة والتفاخر كما هي عادته ووعد بأشياء لكنه لم يحرر شيأ منها

مطلب
سفر فردنند الى مملكة نابلي

وكان فردنند قبل موت فيلبس ببعض ايام قد سافر الى مملكة نابلي لما انه كان يسئ الظن بأمانة عوبزالو دوكورد ومع انه كان حسن السلوك واصدق ونصيحا في خدمته لا يهمل في ادارة المملكة ومصالحها سافر فردنند اليها لسلبه السطوة التي اكتسبها من منصبه ولم يكتف بارسال احد من طرفه لهذا الشأن بل رأى ان الاحسن والاولى ان يذهب بنفسه الى نابلي

سنة ١٥٠٧

ويتسلم زمام حكومتها بعد عزل باشته المذكور لملتقاه في مدينة بورتوفينو بارض جنوة خبر موت صهره فيلبس رأى ان ذهابه الى مملكة نابلي لكشف الدسائس التي كان يتهم بها باشته ويعزله من حكومة نابلي اولى من رجوعه على عقبه وهان عليه ان يترك مملكة قشطيلة على مثل هذه الحالة وكان حسبه لا يوجد بها من يقوم باصلاح حالها وادارة مصالحها فلربما كان يترتب على غيبته ضياع حكومة قشطيلة منه وسقوطها للغيره

ولم يكن هناك مانع يمنع من حصول الامور السيئة التي كان يمكن تسببها عن غيبة فردنند الا معارف بدمائه وحزمهم وسداد رأيهم لاسيما كبيرهم اكزيمنس مطران طليطلة فانه وان كان لا يأمل نيل صولة عظيمة تحت حكم فردنند لما رآه من عصمته وحرصه على ملكه آراغونة مقصد المطران انه لم يعتر اعراضه النصائية بل آثر صيانة المملكة على نفع نفسه واعرض ان قشطيلة لا يحسن ادارتها سوى الملك فردنند حيث انه يذكر تجاربه يعرف ما يضر تلك المملكة وما ينفعها اكثر من غيره ولاجل ان يحسن لاسيما وطنه هذا الرأي ويستميلهم الى صولة رأى انه لابد ان يكون للعربكة والجانب في حق الناس وان كان ذلك على خلاف طبيعته فخفض جناحه وصار

سنة ١٥١٧

نوابى من ساقضه من الاشراف فجمع بين المذاهب والمراهين لتسليمهم البلد واعانه على ذلك ما ابداه فردينند من السياسة الحكمية والتدبير العجيب حسب استمال بعض الناس بالاقطاعات والمزايا وبعضهم بزخرفة القول والمواعيد واستحوذ على الجميع عن اسلاف لطيفة تسر الخاطر حتى توصل الى حذف طوائف عديدة من اكبر اخصامه وصحح في هذا المقصد باته الصلاح مع ما كان حاصلا وقدمن الفتن في هذا البستان حتى انه بعد ان اصلح حالة نابلى ورجع

مطلب رجوع فردينند الى اسبانيا

الى اسبانيا خطى من غير معارض ولا مناقض بنيابة مملكة قسطيلة وساق في الحكم بين الاهالى طريقة لطيفة وان كانت لا تخلو عن الصعوبة والشديدة بالقوة جمعا واخيرة وعاش في الامن والراحة مع وجود الحكومة الالترامية التى من شانها الفتن والحروب ولم يزل بها في امن واطمئنان حتى

حسن تدبيره

مات مع ان مؤسس الحكومة الالترامية كانت نافذة فيها على عفوا بها وعفوها والفصل لفردينند على سلطنة كرلوس في انها السكون والامن في مملكتى اراغون و قسطيلة بل له الفضل عليه ايضا بما هو اعظم من ذلك وهو ان دول كرلوس الورانية ازدادت في مدة سلطنته جدة فردينند واتسعت دائرتها بسبب فتوحاته الجديدة التى اضيفت اليها وذلك انه اضيف الى مملكة

مطلب فتوح مدينة وهران

قسطيلة مدينة وهران وغيرها من المدائن الحصينة الموجودة في اطراف بلاد البربر التى هي بلاد العرب وكان ذلك بهمة الكردينال اكزيمينيس حيث سار بالعساكر الى اهل العرب واذى في قتالهم التعجب العجاب من الشهامة والحمية الدينية التى شانها ان تصدر عن امناء الدين واغرب من ذلك انه صار بجميع المصاريف التى صرفت في هذا الحرب كانت من امواله وقد تعلق فردينند من جهة اخرى بحجج واهية غير مقبولة بعد اهانته سحبرها من قبل الحماية والحرب وطرد الملك جان دالبرطة من مملكة نوار

مطلب اخذ مملكة نوار

واستوى على كرسيها بلا عائق مع ان جان هذا المذكور في هذه المملكة كان خاسر عيالا اربعمائة فاستبعد اراضى اسبانيا بهذه المملكة حتى صارت عمدة من جبال البرنات الى حدود بلاد البورتوغال

سنة ١٥٠٧

ولم يكن قصد الملك فرديند من مشروعاته التي كان يفعلها تكثير الممالك
لسبطه كرلوس الذي ورثها بعده لانه كان يعده خصما يسلب منه مملكة
قسطيلة في المستقبل لاسيما واضرّ اخجل هو ولما عليه العموم بادارة ممالكه
على سبيل النيابة والامانة حتى يبلغ رشده فكان يعارضه حتى صار خطه منه
نقصا لا تواري فلما وضعت زوجته جرمين دوفوا كس ولدا فرح فرحا شديدا
حسبانا ان هذا الولد يرث ممالكه من بعده ويحرم كرلوس من مملكة اراغون
ومملكة نابلي ومملكة سسليا ومملكة فردينا الا ان هذا الولد لم يطل مدة حياته
وبعد موته صار فرديند كأنه يغلب على الحزن لعدم الذرية وظهر عليه القلق
والفزع واظهر التلهف على ان يكون له اولاد يرثون عنه ممالكه والظاهر انهم

سنة ١٥١٣

يساعون جوعه فائدة غير انه عمل باقامة كرلوس على كرسي اسبانيا على خلاف
مرامه وذلك انه وان كان لا ينبغي له ان يتوقع نسلا لانه كان وقتئذ طعن
في السن وكان في مدة شبوبيته قليل العفاف منهمكا على اللذات الا انه لتلهفه
على الذرية قصّ امره على الاطبا وطلب منهم ما يعينه على مقصده فاعطوه
شرابا من الاشربة التي يزعم ان خاصيتها تقوية الباه مع انه لا يساعدها سوى
طبيعة لا في الصحة كما تحقق ذلك في فرديند فانه بعد تعاطيه هذا
الشراب احدث صحته في النقص والضعف خصوصا وانه قبل ذلك
كان ضعيفا فاعتراه مرض شديد وشفي منه الا انه لازمه داء السل فجعل
يزداد في السقم والنحول واختل عقله حتى صار غير صالح لادارة ممالكه واخذ
من انواع اللعب واللهو ما لا يليق بالرجال وتمكن من الذي يصعب بسببه الا انه
ازدادت غيرته من سبطه الارشدوق كرلوس وصار ينظر اليه بعين الشانئ
المبغض كما هي عادة اغلب الملوك من انهم يبغضون من هو معدّ لان يخلفهم على
ممالكهم وحيث بلغ بغضه لكرلوس الى هذه الدرجة كتب وصية
للامير فرديند بالنيابة على الممالك حتى يحضر كرلوس اخوه لما انه
كان يعلم ان الامير فرديند المذكور ولد في اسبانيا فيرغب فيه اهلها
اكثر من اخيه كرلوس وبذلك ان صار باسمه الطوائف العسكرية الدالة

مطلب
عزم الملك فرديند على حرمان سبطه كرلوس من مملكة اسبانيا حتى كتب الوصية بذلك للامير فرديند اخ كرلوس
سنة ١٥١٥

سنة ١٥١٥

ولا يخفى ما للملك فردنند في ذلك من التدبير والمكر حيث ان الامير فردنند بالامر الاول وهو النيابة يكون له حق في التاج الملوكي فيسارع اتباعه وبالثاني وهو رياسته على الطوائف العسكرية يكون قائما بنفسه في جميع احواله واطواره حتى لا يكون لاحد عليه ولاء

ولم يزل فردنند يتغالى في تمالكه من غيرة غير نفسه الى ان مات حتى انه قبل موته بقليل دعته تلك الغيرة الى ان ينتقل من محل الى آخر كانه يفر من مرضه او يتلاهى عنه وكان جميع ديوانه يرون ان صحته دائما في التناقص والضعف ومع ذلك كانوا لا يتجاسرون على خطابه في هذا الشان حتى كانوا لا يأذنون لقسيس الاعتراف المرتب عليه ان يدنو منه وكان هذا القسيس يود ان يخبره بحاله لانه كان يرى ان مراعاة خاطر الملك واخفاء حقيقة حاله عليه تعد من الكبائر المنهي عنها ثم لما اتسع الخرق عليهم وعظم خطر الملك لم يمكنهم كتمان الحق فاخبروه بان اجله قد دنا فلم يتأثر فردنند من ذلك ولم يرعوا ابدا وحضر اليه جميع اعاظم ندمائه واخصهم اليه وهم ثلاثة كرواخال و زاباطه و ورگاس ورجوه ان يغير وصيته التي كتبها واعلموه بانه ان اعطى الامير فردنند نيابة الممالك وقع الحرب بينه وبين اخيه كرلوس لا محالة وان اعطاه رياسة الطوائف العسكرية الثلاثة ضاع من التاج الملوكي رونقه وهيبته وخرج عن اعظم قوته فاستصوب رأيهم ورثى لحال كرلوس ورأى ان ما صمم عليه في جنبه من باب الظلم والتعدي وغير هذين الامرين من وصيته وكتب ان كرلوس هو الذي يرثه وحده في جميع ممالكه وجعل للامير فردنند في نظير التاج الملوكي الذي توهم انه سيناله ارضا ايرادها في السنة خمسون الف دينار معاملة من النقود المسماة دوقات ومات الملك فردنند بعد ان وضع امضاءه على هذه الوصية ببعض ساعات وكان ذلك في ٢٣ من شهر كانون الثاني سنة ١٥١٦ من الميلاد

مطلب تغيير الملك فردنند لوصيته التي كتبها

مطلب موت فردنند

فلما مات فردنند ورثه سرلكان في دولته الكبيرة وكان قد بلغ حينئذ من العمر ست عشرة سنة وكان الى ذلك الوقت قاطنا بمملكة البلاد الواطئة

مطلب وراثة كرلوس الخامس المسمى سرلكان

التي

سنة ١٥١٦

الى ورثها عن ابيه والذى اعتنى بتربيته فى صغره هى عمته مرغوريطه ابنة
الاوستريسا ومرغوريطه امرأة تورده اخت ادوارد الرابع ملك
انكلتره وارملة الملك كرلوس لوهردى وكانت كلتاهما من الاميرات ذوات
فضل شهير وعلم غزير فهذبتاه بكنوز المعارف والفضائل مدة سنين وبعد
موت ابيه فيلبس اعطى اهل الفلمنك مملكة الاراضى الواطية لابيه
الامبراطور مكسيمليان على سبيل الوكالة لكن كانت تلك الوكالة ظاهرية
لا حقيقية حيث كان لا يتصرف فى المملكة فجميع ما له صفة حق النيابة
فاختار مكسيمليان غليوم دوكرواى ملوم شيوره وجعله ناظرا على
تربية كرلوس ليحسن تربيته وكان هذا الامير مستكملا لجميع الصفات
والمعارف اللازمة لمثل هذا الامر المهم فحمل توفيته كما ينبغى واختير كذلك
ادريان دوترخت وجعله مؤدبا للامير كرلوس مر فى هذا الصدد تلك
الوظيفة اعلاما منه بانه ترقى اليها بالمستحقين والاخيار ولم يدع لذلك لطف نسبه
وحسبه لانه كان مجهول الاصل ولا الصولة وسعود كلمه لانه لم يكن له مدخل
فى مصالح الدولة وانما كان ذلك لمعارفه التى اشتهر بها بين ابناء وطنه لانه كان
ممتازا بين اقرانه بالعلوم الشهيرة الى منكب عدد قرون وهى تدعى بالعلوم
الفلسفية واشتهر ايضا بشرح وضعه على كتاب مشهور للمؤلف بطرس لومبرد
يسمى معلم الحكم كان ومجمعا معتبرا كمفتاح لكنوز العلوم اللاهوتية المستعملة
فى المدارس فقبل هذا الشرح تمام القبول واستحق مؤلفه المدح والثنا ولكن
مع هذه الشهرة التى حظى بها ادريان فى ذلك العصر الذى كان عصر
جهالة لوحظ بعد مدة ظهر له ان مثل هذا الرجل الذى لم يخرج من المدرسة ابدا
ولم يعاشر الناس حتى يعرف امور الدنيا ويكون ذا ذوق وادب لا يصلح لتربية
الامير كرلوس وتأديبه ولا يمكنه ان يميله الى التعلم والتحصيل ولذلك
اظهر كرلوس من صغره النفرة من العلوم وكان له رغبة شديدة فى تعلم
العسكرية التى كانت وحدها مطمح نظر الاشراف فلا يدرسون غيرها فكان
الرجل منهم فقير ساهى بوفاته الاقران فيها وكان الامير شيوره يحسن

سنة ١٥١٦

منه ذلك ونبه على شأنه ولا نعلم هل كان ذلك علامة للأمير كرلوس
لنبله به أولا لأنه كان أيضا لا يميل إلى العلوم الأدبية ومع ذلك يبذل الهمة
في تعليمه علم الإدارة والتدبير وإقرائه تاريخ ممالكه وتاريخ الدول التي كان بينها
وبين دولته علاقات وروابط فلما تولى كرلوس على بلاد الفلمنك سنة ١٥١٥
ألهم شيوره أن يعوده على الشغل والاجتهاد فحمله على أن يقرأ جميع
الأوراق التي تخص مصالح الدولة وأن يحضر مذاكرات شوراته الخاصة وأن
يقص بنفسه على أربابها المواد المحتاج فيها إلى آرائهم وبهذه التربية تعوّد
كرلوس على الدقة والتعالي وما لا ينفي صغر سنه مع أنه في مبدأ أمره لم تظهر
فيه ما يدل على البراعة والنجابة التي أظهرها فيما بعد فلم يكن عنده وهو صغير
من النشاط والهمة ما يظهر عادة على من يكون كبير الجد والمشروعات إذا بلغ
حد الرجولية وذلك أنه كان في مبدأ أمره منقادا بالكلية لما يأمره به الأمير
شيور وغيره من ندمائه ومن يلي بهم النصيحة بدون توقف ومع ذلك كان
لا يلوح منه أنه يحوز هذا العقل الواسع الثاقب والرأي الصائب الذي قام فيما بعد
بمصالح نصف ممالك أوروبا وإدارتها ولكن كان رعاياه مغرورين بحسن
صورته ومهارته العظيمة في المصارعة وغيرها من الألعاب البدنية فأحسنوا
به الظن كما هي عادة الناس في حق ملوكهم وقت الشبوبية وحكموا
بأن يكون له مستقبل سعيد ويرثه جميع الممالك التي ورثها عن جده
فرديننده

مطلب ما كان كرلوس في مبدأ أمره

وكانت حينئذ ممالك إسبانيا مستدعية عظيم حزم وكبير عزم
في إدارتها وتحرير مصالحها كما نفهم مما ذكرناه في إتحاف الملوك الألبا وذلك
أن العوائد الالتزامية التي أدخلها كل من أمة القوطيين وأمة السويوه
وأمة الوندال في أقاليمها كانت باقية بها على هيئتها الأصلية وكان للأشراف
شوكة قوية ومهارة في الفروسية الحربية وكانوا قد مكنوا وسائطهم لا يتمتعون
بالمزايا الواسعة التي أباحتها لهم تلك العوائد الالتزامية وكانت مدائن إسبانيا
كبيرة العدد والأهل على خلاف ما تقتضيه الحكومة الالتزامية التي هي لا تلائم

التجار

سنة ١٥١٦

التجارة والعمران ولا الضبط والربط الذى يكون به امن البلاد وراحة العباد وكان لاهل تلك المداين مدخلية عظيمة وتأثير قوى فى شان السياسة وكان لهم حقوق مخصوصة عظيمة جدا وامتيازات ولكنه الملك فكانت صعبة بسبب مرايا الاشراف وتطلبات الاهالى لخصائصهم وكان محصور فى حدود ضيقة جدا وبالجملة فمادامت هذه الحكومة المختلة موجودة كانت اسبانيا الفشل والشقاق كثيرة لا تحصى وكانت الروابط الجامعة بين اجزاء اسبانيا واهية ضعيفة فكانت اسبانيا فى اشد الشقاق والمكابدات التى نشأ عادة من خلل الحكومة الالتزامية وزيادة على ذلك كانت فرصة لمصائب اخرى نشأ عن بعض امور مختلة فى ترتيبها وقوانينها

ثم لم يمنع مدة حكم فردیناند الطوق بشئ من العسكرات والفتن الداخلية فى اسبانيا لانه عرف بجودة فكرته وحزمه كيف يمنع نفوس الاشراف حتى لا تعارضهم الجمعيات البلدية فحسن تدبيره وسياسته فى داخل بلاده وتجاربه وحزمه فى نصرة مسروعاته فى البلاد الاجنبية صارت له موقع عظيم فى قلوب رعاياه وتثبت له عندهم فضل جزيل وقدر جليل فى المعارف وبذلك امكنه ان يحفظ فى دولته الامن والاطمئنان وان كان الترتيب السياسى وفسد لا يسوغ ذلك بل كان يلائم الفتن والعسكرات فلما مات فردیناند انعدمت قوته موانع الفشل والشقاق وعادت الحركات والعصبات وسلطن اليهم والحزن فى ممالك اسبانيا بعد ان مكث زمنا طويلا مستريحة منها وصارت تعدمون فردیناند اسرع وانقطع مما كانت عليه قبل

وكان فردیناند قد نظر فى العواقب فادرك انه لابد من وقوع هذه الفتن والعسكرات بعد موته مما يترتب عليه من حصولها فكتب فى وصيته ان اكزيمينس مطران طليطلة هو الذى يكون نائبا عنه فى مملكة قسطيلة حتى يحضر حفيده كرلوس الى اسبانيا وانما خص هذا المطران بذلك لانه كان لحزمه وحسن طباعه وجميل صفاته جدير بان يتولى هذا المنصب العظيم ولذلك رأينا من اللازم ان نتكلم عليه هنا بخصوصه ونذكر بعض

سنة ١٥١٦

شمائله وصفاته الحسنة ثم رجع إلى وطنه ومع غاية فقره كان من عشيرة طفيفة الأصل إلا أنها كانت طالبة الغنى والثروة فحملته الغيرة والمنافسة على الدخول في زمرة القسيسين لا سيما وقد كان يميل بالطبع إلى ذلك فلما انتظم في سلكهم ارتقى أمره وشب بالطاعات والعبادات العظيمة حتى صار ذا رتبة وفتحت له أبواب السؤدد وتمهدت له سبل الرقي بها إلى أعلا مراتب الكنيسة ومناصب الأقسة ثم رغب عن هذه المقامات الكبيرة وأراد الدخول في دير سنفرنسيس وهو من أصعب مراتب كنيسة رومة بأسرها وما صادف لشدة أصعاب دخول هذا الدير وعما قليل اشتهر بين أصحابه بالعفة والزهد وحسن الأخلاق وغاية التدقيق الذي كان أدرك الشعب أجمل أخلاق الرهبان وفي أثناء محاورات الجدل في الدين التي لا يقع فيها غالبا سوى العقول الضعيفة الراغبة التي تميل إلى البدع والبرهان كان أكزيمنيس ماضيا على حد ذهنه ووفور عقله إلا أنه كان بالطبع جيد الرأي حاد الذهن فنزهت قريحته عن الزيغ والضلال فلما رأى أهل طائفة القسيسين أنه فوقهم جعلوه رئيسا على إقليم وكان مشهورا بالزهد والتقوى جدا فلما دعي إلى أن يكون قسيس اعتراف عند الملكة إيزابلا ومع شرف هذا المنصب وعظمه توقف في قبوله ولم يقبله إلا كرها بغير رضا وبعد دخوله في خدمة هذه الملكة لم يزل مستمرا على أخلاقه من الزهد والتقوى والورع التي اشتهر بها في الدير فكان إذا أراد الذهاب إلى محل يذهب راجلا كعادته وكان لا يعيش إلا من الصدقات وكان يكلف نفسه بالأمور الشاقة كما كان قبل ذلك فحصل للملكة إيزابلا منه غاية الفرح والسرور وقلدته منصب مطرانية طليطلة وهو أعظم مناصب الكنيسة الرومية بعد منصب الباب ومع ذلك أبى أن يقبله حتى صدر له أمر مخصوص من طرف الباب ولكن لم يغير أخلاقه بارتقائه إلى هذا المنصب العالي إلا أنه جبر على أن يظهر في الناس بما يقتضيه منصبه من الأبهة والرونق ومع ذلك بقي على ما كان عليه من الشدة الدينية والصعوبة النفسية فكان يلبس دائما تحت ثياب منصبه الحريرية ثوبا خشنا من ثياب رهبان سنفرنسيس وكان يخيط بنفسه

إذا

سنة ١٥١٦

اداء امره وكان لا يلبس الثياب الرفيعة الناعمة على بدنه مدة عمره وكان ينام دائما
من غير ان يخلع ملبوسه وينام في الغالب على التراب او على الواح من الخشب
وقل ان نام على فراش وكان لا يأكل شيأ من الاطعمة اللذيذة اللطيفة التي تقدم
له في مائدته بل كان يكتفي في ذلك بما يوجبه قوانين طائفته القسيسية فكان
مع ملبوسات يشبه الرهبان وكان له معرفة غزيرة في مصالح الدولة
واشتهر بالنجاح حتى انه لما دعي الى الادارة بموجب رأي الملك فردیننـد وزوجته
ايزابلة اظهر من الفضل والمعارف الجليلة ما جعل له شهرة في المرتبة
والحزم مماثلة لشهرته في الزهد والتقوى وكان لا يقع نظره الا على كل امر
جليل لم يسبقه غيره ولا يهم الا بتدبير كل مقصد صعب ومشروع خطير وكان
حسن نيته في تلك المشروعات يحمله على ان يشرع فيها مع الهمة التي لا تكل
والتصميم الذي لا يمل حتى يتمها او يتم امرها ولما كان متعودا من صغره على
قمع نفسه وعدم اتباع شهواته كان لا يعفو ابدا عمن مال الى الشهوات واتبع
هوى نفسه وكان يعلم بموجب الدين ان الرئيس والرهبانية ممنوعة فكان يبغض
كل ما يلوح عليه دلائل التصنع والعجب ولم يكن لين العريكة بل كان لا يعفو عنه
بذعر النفوس وتشديدهم الذي يوجب السآمة والنفور خصوصا في بلاد
اسبانيا التي كانت تحمل بها طباع الامة ومع ذلك لم يتهمه احد بالمغالطة
والغلط

هكذا كانت حالة اكزيمنيس الذي اقامه فردیننـد نائبا على مملكة
قسطيلة وكان قد بلغ من العمر ثمانين ويعرف صعوبة هذا المنصب
ومشقاته الجمة التي لا ينفك عنه ومع ذلك لم يتوقف في قبوله لانه كان بالطبع
قوي العزم وكانت له رغبة تامة في تحصيل ما يكون مصلحة البلاد ونفع العباد
لكن كان ادريان دوترشت الذي ارسل الى اسبانيا قبل موت فردیننـد
بعض ... امر من الارشدوق كرلوس بالنيابة على مملكة
قسطيلة بعد موت الملك فردیننـد المذكور غير ان اهل اسبانيا كانوا
يبغضون حكومة الغرباء فيهم ويعلمون ان الغرض من فصل هذا الرجل ومعارضته

مطلب
جعل كرلوس ادريان نائبا
على مملكة قسطيلة

سنه ١٥١٦

ووصل اكزيمنس كتاب الوصايا والوصي فلم يكن له اعتراض عليهم كما كان اكزيمنس بحيث كان يمكن ابطال سعيه وخيبة آماله لولا ان اكزيمنس امتثل اوامر كرلوس وامره على السيادة لكنه شاركه في الادارة والتدبير على ان سيادة ادريان على المملكة المذكورة لم تكن الا مجرد الاسم والصورة واما اكزيمنس فانه بحسن سياسته اخذ يعامل ادريان مع المراعاة والاحترام التام حتى آلت اليه الكلمة النافذة في الدولة وصار بيده الحل والعقد في جميع المصالح

مطلب مباشرة اكزيمنس ادارة الدولة وتدبير مصالحها

واول ما لاحظه اكزيمنس وتدارك ما يترتب عليه من العواقب السيئة المضرة هو حال الامير فردنند بن فيلبس الذي اوصى له الملك فردنند اولا بالحكومة وكان اقرب من غيره للاستيلاء عليها فلما بدل الوصية وحرم مما كان يامله لحقه الاسف والتحسر واظهر من الجزع ما لا يليق بنسبته وصغر سنه فخشي اكزيمنس ان يلحق فردنند من الم انتزاع الحكومة منه ما يحمله على السعي في ايقاع فتنة او حادثة مشؤومة وبحث عن احضاره ليمكنه ملاحظته في سلوكه واعماله ويعلل في تنفيذ ذلك المآرب بانه يريد مباشرة تربية هذا الامير ليكون بحسب رعايته في الحفظ والصون بحسب سلامته واحضر فردنند من مدينة وادي لوبه التي نشأ بها الى مدينة مدريد التي جعل بها مسند الديوان الملوكي ولما احضر فردنند الى تلك المدينة اخذ اكزيمنس ملاحظته في جميع اموره واناط اناسا بالالتفات اليه والى اتباعه في جميع حركاتهم واعمالهم

واول خبر بلغ اكزيمنس من البلاد الواطئة اوربا الغربية والفلنك حسبما بلغه انه جعل امر اصطفاء احضاره للامير فردنند عند موته حجة يوجب ادارة ناس لا يعرفون قوانين اسبانيا ولا اخلاق اهلها وبمجرد ما وصل خبر موت الملك فردنند الى مدينة بروكسل انعقد راي مشورة العائلة على نصب الامير كرلوس ملكا على دول فردنند فقبل هواهم وبحث عن التمكن من ذلك ولكن بموجب قوانين اسبانيا كان كل من مملكة اراغون ومملكة قشتالة لا يلقب الا الابن خاصة دون غيرها ثم انها كانت

مطلب تلقيب كرلوس ملكا

سنة ١٥١٦م

لا يصلح للحكم بسبب امراض اصابها واختلال عقلها الا ان ذلك لم يثبت بتقرير صحيح
صادر من شورة وكلا مملكة اراغون او مملكة قسطيلة حتى يعلمه الخاص
والعام وبناء على ذلك كان اهل اسبانيا يعتبرون ان هذا التقدم من طرف
كرلوس مخصص بعدوان على مرتباتهم وحقوقهم بل ومخالف لنواميس
الطبيعة حيث انه يريد ظلم امه والتعدى على حقوقها ورأوا ان في ذلك اهانة
لامه ثم لم يحصل لها مثلها من جهة رعاياها

ولكن بعد مداولات بين ديوان مدينة بروكسيله والبابا والامبراطور
امر كل من هذين الاخيرين بنصب كرلوس ملكا على قسطيله وكان لهما
وجه الحق في ذلك اما الاول فلانه رئيس الكنيسة واما الثاني فلانه رئيس
الامبراطورية وصدر الامر الى اكزيمنس بان يعلم اهل اسبانيا باستيلاء
كرلوس على كرسي مملكتهم وكان اكزيمنس هو اول من عارض في هذا
الامر لانه كان يرى انه تعصب الملك من غير ان يتعدى بها للامير كرلوس فلما
امر كل من البابا والامبراطور من الالحاح وبذل غاية جهده في حمل
الناس على اقرار كرلوس ملكا على اسبانيا فجمع الاشراف الذين كانوا
حسند بالديوان واعلمهم بمرام كرلوس فاخذوا يتضجرون من ذلك لان فيه
سلب مرتباتهم واتفق الجميع على ان هذا امر حادث لا يسهل الى غيرها الا انه
كان منهم ومنها مماثل التكبد لا يمكنهم فضه فبعد ذلك قطع اكزيمنس
كلامهم وهو قائلا باعلا صوته اني لم اجمعكم لاشاوركم في هذا الامر واعمل
برأيكم وانما جمعتكم لاعلمكم بما عليكم الا الطاعة والامتثال حيث ان
ملككم كرلوس ارسل يطلب منكم الطاعة لا الاستشارة فيلزم ان ينشر ذلك
في يومنا هذا بعينه بمدريد ليعلم الخاص والعام ان كرلوس هو ملك قسطيله
وينتهي بها عن جهات المدائن وصدرت الاوامر في هذا الشأن لسائر جهات
المملكة واقر الخاص والعام بالملوكية لكرلوس وان كان كثير من الاشراف
قد حصل له في الباطن غم شديد من ذلك هذا في مملكة قسطيله واما في مملكة
اراغون فلم ينقادوا لامر كرلوس ولم تسر الاهالي على الحال لان اهلها

مطلب
اقرار كرلوس على الملوكية
في مملكة قسطيله وكان
ذلك باعتناء اكزيمنس
وهمته في ٥ من شهر
نيسان

سنه ١٥١٦

كانوا يعدون مزايا اعظم من مزايا اهل قسطيلة لاسيما وقد كان الملك فردينند جعل مونه جعل مطران سراغوسه نائبا على ملك المملكة وكان في الصولة والمعارف دون اكزيمنس وبهذا السبب مكث كرلوس غير معترف له بالملوكية في اراغون حتى حضر بنفسه الى اسبانيا

مطلب
شروع اكزيمنس في تقوية الشوكة الملوكية وتوسيع دائرة مزاياها

ومع ان شوكة اكزيمنس كانت بمجرد النيابة فقط وكان لكبر سنه لا يطمع ان تدوم له الشوكة زمانا طويلا رأى انه بمنزلة الملك في قسطيلة حيث انه نائب عنه فيها فاخذ يتصرف في ادارته كانه ملك حقيقي فشرع في مقاصد مهمة لتقوية الشوكة الملوكية وتوسيع دائرة مزاياها واخذ يبذل غاية جهده في تحصيل المقاصد حتى كانه هو الملك وان غيره ذلك يعود عليه هذا وكانت مزايا الاشراف حينئذ في قسطيلة قد تجاوزت الحدود حتى لم يبق للملك سوى حقوق واهية فرأى اكزيمنس ان اصابة المزايا للاشراف مع حرمان الملك منها انما هو محض ظلم وعدوان فصمم على حرمانهم من بعضها ولا يخفى ان مثل هذا الامر خطر ولكن كان اكزيمنس يرى ان مصيبات الاحوال تعينه على نصره ويكسبه نجاحا لم يسبق لاحد من ملوك قسطيلة وذلك انه بحرصه وتوفيره في صرف ايرادات المملكة واموالها السنوية جمع من الاموال العدية ما لا يمكن لاحد من ملوكهم ان يجمعها في اي وقت كان وكان حسن اخلاقه ورأفته واحسانه قد تسلطن حبه في قلوب الاهالي حتى كان الاشراف لا يحسبون منه تهمة او عذرا او غير ذلك مما نصرهم لم يلاحظوه في حركاته وافعاله كما كانوا يلاحظون ذلك من ملوكهم

مطلب
محصة للاشراف واضعافه لشوكتهم

وبمجرد ما حصل اكزيمنس نائبا على مملكة قسطيلة توهم جماعة من الاشراف ان الشوكة الملوكية ستضعف وتضمحل صولتها فاخذوا في جمع اتباعهم وحشدوا جنودهم وعادوا الى تطلب المزايا التي لم يمكنهم تحصيلها في زمن فردينند لما انه كان نائب الملك ذا قوة العزم والحزم ولكن كان لاكزيمنس جند عظيم من العساكر المساخرة فافسد عليهم امالهم وحصل بينهم هيئة مستور امر عن ان تحصل له في ذلك ادنى منعة لكنه

لم يرض

سنة ١٥١٦

لم يرض ان تكون قاسى القلب شديد الحقد على من كان سببا فى ملك الىس
ولم يذقهم من العذاب ما استوجبوه بجرمهم وانما طلب منهم المتابعة على
الطاعة والانقياد وجعل الاعز منهم الاذل

مطلب
شروع اكزيمنس فى ترتيب جنود من الاهالى

ومادام اكزيمنس لا تصيب سهام صولته الامرا انتقص اتباع مخصوصين
وكانت افعاله تحسن بمقتضيات الاحوال بحيث ترى انها من قبيل العدل
والانصاف وكان يشدد فيها يسيرا بنوع من الرفق ولين الجانب قل أن يحصل
للناس منها غم او نكد لكنه لما صمم على امر مهم يعود بالضرر على مزايا
الاشراف الذاتية اغتصب ذلك سائر طائفتهم وكانت وقتئذ قوة الشوكة
والصولة وتلك المزية الذاتية هى فى العسكرية وذلك انه بموجب المذهب
الالتزامى كان هذا الفن من خصوصيات الاشراف لا يشركهم فيه غيرهم
فكان لا يسوغ لاحد من الرعاع ان يحمل السلاح ليبرز الى ميدان الحرب
الا اذا كان من اتباع بارون او امير منهم واما الملك فكانت ارادته قليلة
تنحصر فى دائرة مزارعه وحصونه وكان يجب عليه مراعاتهم لتقويته
فى جميع مشروعاته وحروبه لانه كان لا غنى له عنهم عند الهجوم على اعدائه
او المدافعة عن دولته اذ كان لا جنود وقتئذ الا جنود الاشراف وكانت هذه
الجنود لا تطيع لغير الاشراف امرا فكانت شوكة الملك بهذا السبب ضعيفة
لا يستقيم بعضها وكانت لدى الاشراف فوق يد الملك فاراد اكزيمنس ان
يعيد الشوكة الملوكية من هذا التضييق الذى هو نوع من الاستعباد لكن رأى
انه لم يعهد فى الحكومة الالتزامية ترتيب جنود من العساكر المستأجرة
مكتسبة ملازمة للدولة لا تنفك عنها ولا تسرح فعلم انه ان رتب جنودا مستأجرة
على سبيل الاستمرار والدوام يغضب عليه اهل قسطيلة لانهم كانوا اولى
انفة وكان لهم ولع عظيم بالحرب فاستصوب ان يرتب جيوشا من الاهالى
وامر ان يجعل فى كل مدينة من مدائن قسطيلة مقدار من الاهالى يشتغل
بالتعليمات الحربية فى ايام المواسم والاعياد وسعى حتى جعل ماهيات ضباطهم
على طرف الدولة ووعد العساكر بجعل لهم بان يعافيهم من جميع انواع

سنة ١٥١٦

الغرامات والجرائم المفروضة على الأهالي وأدى عليه قبوله مستحسنة
في تجديد هؤلاء العساكر وهي أن غارات أعلام الحرب على بلاد اسبانيا
كانت لا تنقطع فقال لابد من وجود جيوش تلازم الدولة دائما وأبدا حتى تكون
اسبانيا في أمن من أعدائها مع أن غرضه الخفي من ذلك هو أن يجعل للملك
جيشا مخصوصا غير تابع للبارونس ليكون دائما معه ويمنعهم عن تعدي
الحدود في فعل ما يخل بالدولة والأمن العام ولكن لم يخف هذا الغرض على
الأشراف بل علموا كنه سره وأدركوا حقيقة أمره وتيقنوا أن ذلك من طرق
سياسته الدهائية وحزمه المحكم وأنه صحيح وبليغ غرضه إلا أنه لم يمكنهم التصدي
لمنعه عن إتيان هذا الأمر لأن العلة الظاهرة التي أبداها وهي منع المسلمين من
البلاد كانت مقبولة مستحسنة عند الأهالي لأنهم كانوا أهل جهة جاهلة
لا يعرفون حقيقة الحال ولا يدركون العاقبة والمآل فداخل الأشراف اليأس
ولم يمكنهم التصدي بأنفسهم لرده عن مقصده خوفا أن ينسبهم الأهالي إلى
أغراض نفسانية أو مصلحة خصوصية فلازموا الصمت والسكوت وإن
كانت أفئدتهم تضطرم بنيران اليأس والخوف ولكنهم بذلوا استطاعة جهدهم
في حث المدائن على أن لا تسلم في تجريد ذلك ولا تطيع لأكزيمينيس فيه أمرا
حيث إنه مخالف لقوانينها ومزاياها فنجحوا بهذه الحيلة حتى غضبت مدينة
بورغوس ومدينة ولادوليد وعدة مدائن أخرى واتحدت مع الأشراف
في مقصدها وتأييدها والمدافعة عنها وصار أهل المدن يخاطبون الملك كارلوس
بالإنذار والتحذير حتى داخله الفزع والرعب واضطربت قلوب أرباب مشورته
الفلمنكيين ولم يبق من أهل الدولة ثابت القلب سوى أكزيمينيس فإنه لم
يلحقه جزع ولا روع من ذلك بل أخذ يسلك مع العاصين طورا سبيل التحذير
والتهديد وطورا سبيل المداهنة والمخادعة وسلك تارة مسلك القسر والعنف
وتارة مسلك اللين والملاطفة حتى ظفر بأعدائه وقمع المدائن العاصية وأرغم
أنوف طغاتها وجعل الأعز منهم الأذل ولم يزل ترتيب العساكر مدة حكم
أكزيمينيس كل يوم في ازدياد فلما مات أهمل هذا الأمر وعاد الحال إلى ما كان

عليه

سنة ١٥١٦

مطلب
شروع اكزيمنس في ان يرد للتاج الاقطاعات التي اقطعها الملوك الاولون للاشراف والاكابر

عليه اولا

فلما نجح اكزيمنس في اضعاف شوكة الاشراف التي كانت قد
تجاوزت الحدود شرع في تقليل املاكهم والتزاماتهم حيث كانت قد ازدادت
حتى تعدت اطوارها وذلك انهم لما كانوا لا ينالون ابدا غنيمة حرب مصلحة
او ميرية لهم امكنهم بسبب التعكرات والفتن التي كانت ناشئة لا تتحمل من
الدولة ان يستمدوا فائدة جليلة من ضعف شوكة الملوك واحتياجهم
اليهم فحصلوا بالغصب او بالحيلة على الاراضي الملوكية وجعلوها من جملة
التزاماتهم حتى لم يبق للتاج الملوكي شيء من الاملاك والاراضي الواسعة التي
كانت له فكانت املاك اغلب الاكابر والتزاماتهم كناية عن اراض اغتصبوها
من الملوك لضعف شوكتهم او اقطاعات اقطعها لهم الملوك جبرا عنهم بسبب
مقتضيات احوال الحاكم الى ذلك ولكن لما كان تعسر البحث عن اصل هذه
الاراضي المقطعة او المغصوبة لان مبدأ استيلاء الاشراف عليها كان حين
ظهور المذهب الالتزامي لا سيما والبحث عنها بالنظر الى اصلها يترتب عليه
حرمان كل من الاشراف من بعض اراضيه رأى اكزيمنس ان ذلك يؤدي
الى فتن عامة جسيمة وقلبات عظيمة لا يمكنه مع حزمه وعزمه وشدة درايته ان
يتداركها ويمنع اربابها فاقتصر على ان يبحث عن اصل هذه الاراضي من عهد
الملك فرديناند مبتدأ بقطع المرتبات التي كان رتبها هذا الملك ويعلل بان من
شرع بها قد مات واستقل الحق فيها الغير فلا معنى لابقائها بعد موت من رتبها
وبحث عقب ذلك ايضا عن ريع الاراضي الملوكية التي اعطيت الى الاشراف
في عهد الملك المذكور واسترجع بامر واحد جميع الاراضي التي كان اقطعها
لهم فرديناند فتجرد بهذا الوجه عدة من صدور الاعيان عن املاكهم
والتزاماتهم نعم وان كان فرديناند لم يبلغ في السخاء والكرم درجة كونه يعطي
املاكا كثيرة واقطاعات عظيمة لكن لا يخفى انه وزوجته ايزابلة لم يصطلبا
بكرسي مملكة قشتالة الا بمساعدة حزب عظيم من الاشراف فالزمهما
فاضطر كل منهما الى مكافأة من اعانهما مكافأة عظيمة ولم يكن لهما شيء يتصرفان

سنة ١٥١٦

منه لاجل هذا الغرض الا الاراضي المملوكة

فلما اراد ذلك اراد الملك وكان اكزيمنس صاحب نوهر عريب واقتصاد في المصاريف بحسب امكنه ان مضى دون الدولة التي يرتكب نقلها في حكم فردينند وارسل الى الملك كرلوس ببلاد الفلمنك مبالغ جسيمة جدا وصرف له اطالعساكر التي جددها باهتمامه وانشأ ترسانات ومخازن ملأها من انواع الاسلحة والمهمات الحربية بما لم يسبق مثله في اسبانيا وبالجملة فكانت جميع مصاريفه من اموال الدولة في محلها حيث لم يصرف منها الا في مصالح الدولة العامة حتى ان الاهالي استحسنوا ما فعله من نزع المرتبات والاراضي المملوكة ممن كانت بيده وعرفوا ان ذلك من باب العدل والانصاف لا التعسف والاجحاف

مطلب
تصدي الاشراف لمنعه من تحرير مشروعاته

فلما اضربت افعاله بعر اما الاشراف وخصومهم ورأوا ان مشروعاته في هذا الشان داعية الى الازدياد رأوا انه لا بد لهم من الاحتراس منه بكل وسيلة مهم منه ويكونون بها في امن وطمانينة فعقدوا بينهم العصب والمين واتسكاوهم من سائر الجهات حتى ان بعضهم صمم على فعل مقاصد مهولة بحسبه وما زبت عزيمة نوع الحكومة في الخطوب والكروب الا انهم قبل شروعهم في ذلك عينوا ملانية منهم للبحث عن القوانين التي استند اليها اكزيمنس فيما فعله وعما سوغ له تلك الاشيا التي لم يفعلها احد قبله وهولا الثلاثة هم امراء قسطيلة ودوق اصبادو ودوق سويطة فلما ذهبوا الى اكزيمنس لم يتلقاهم بالبشاشة والطلاقة ولم يجبهم عن سؤالهم الا بان ذكر لهم وصية الملك فردينند بجعله نائبا على مملكة قسطيلة واورد لهم ايضا فرمان سلطنة كرلوس الذي امره على النيابة فاخذوا يتبعون عليه هذين الامرين ويبرهنون على انهما النيابة ليس على شروط الصحة وهو يبرهن لهم على صحتها فلما اشتد الجدال بينهم هم اكزيمنس وهم معه حتى انتهى بهم الى فرجة فاذا هم ينظرون الى جيش عظيم بالاسلحة ومقدار جم من المدافع فقال لهم اكزيمنس ها على صورة هذه هي مستندي واعتمادي بها احكم قسطيلة حتى بات

ملكا

سنة ١٥١٦

ملكنا كرلوس فاستلمه عنا بما نعتقد به فاعجبهم هذا القول المنسوب بالجرأة والانفة حتى عليهم الصمت وتوجهوا وهم متعجبون منه وعلموا انه لا ينفعهم العصيان والخروج على رجل بصير في العواقب واثق بما تدافع به عن نفسه ونصر مقاصده ولم يكن في وسعهم ان يجربوا عليه عصبة عامة لمعارضته في مشروعاته ولذلك لم يحصل في مدته شيء مما يوجب خلل قشطيله ويقلل راحتها ما عدا بعض فتن صغيرة حربية نشأت عن بعض الاشراف لما قام بنفوسهم من السخط

مطلب
تحزب وزراء الفلمنك على اكزمنيس

وكان هنالك من غير الاشراف من شارع اكزمنيس وعوقه عن تنفيذ مقاصده وذلك ان ارباب مشورة الملك كرلوس ببلاد الفلمنك كان لهم عند هذا الملك كلمة نافذة وقول غير مردود فارادوا أن يجعلوا ادارة اسبانيا كادارة مملكة البلاد الواطئة لاجل اضعاف شوكة اكزمنيس لانهم كانوا يغارون منه لمعارفه وفضله لا سيما وكان لا يعبأ بما يوجب منه ومنهم المحبة والمودة بل كان مستقلا عن غيره في جميع امور فكان عندهم عزله حتم حتى يمكن ان يصيرهم لا كونر يبذل جهده في علو شان ملكهم وهو بشوكته يكاتب كل شكوى قدمت في اكزمنيس فتقبل في ديوان مدينة بروكسله ببلاد الفلمنك من غير توقف وبذلك حصلت عدة موانع لا عبرة لها الا كونها صعبت على اكزمنيس في مشروعاته ولكن لما لم يمكن لوزراء الفلمنك ان يطعنوا عن

مطلب
تولية الملك كرلوس لاثنين يشركان اكزمنيس في نيابة قشطيله

السابقين خوف على انفسهم او اغراضهم عجزوا عن اضعاف شوكته بجعل اناس معه في نيابة قشطيله وذلك لانهم وجدوا ان ادريان دوترخطه الذي ارسل نائبا على قشطيله مع اكزمنيس لا يلحق شأوه في الحزم والعزم حتى يمكنه ان يرده عما يعلو آماله بصير فحملوا الملك كرلوس على ان يولي معه في نيابة قشطيله الشهير لاشو احد امراء فلندره وكان من وفور العقل وكمال الفطنة والامير امن شوف احد اشراف الفلمنك وكان شهيرا بالعزم والثبات فلم يخف على اكزمنيس قصد الفلمنكيين من تولية هذين الاميرين معه ومع ذلك لما وصلا اليه تلقاهما مع ما يليق بمقامهما واظهر لهما من الاحترام والتجمل ما لم يكن في شريعته ولكن

سنة ١٥١٦

لما ارادا ان يدخلا في شأن الادارة ويعرفا اصولها وفروعها بعسكر
عليهما وصلا بعاملهما تمام العامل به ادريان وقام وحده بادارة مصالح المملكة
هذا وأهل اسبانيا هم اشد الملل كراهة لحكومة الغرباء عليهم فلا يطيعون
امارة احد اجنبي فاستحسنوا من اكزيمنس ما كان يفعله لاجل صيانة
على شوكته في منصبه حتى ان الاشراف لهذا السبب نسوا ما اساءهم به
اكزيمنس واخفوا ان يبقى السابقة بعد لانهم من اباه وطبعهم وبقاء الشوكة
الملوكية بيد احد من بلدهم يحسبون صولته او جوره احب اليهم من جعلها بين
ايدي اناس غرباء لا يألفونهم بالطبع ولا يطيعون حكمهم فيهم
وكان اكزيمنس حينئذ يفعل جهله ويرتكب عليه الخطوب لما انه مع
اتساع دائرة مقاصده السياسية الداخلية التي كان وزراء الفلمنك يعلمهم
ودسائسهم يفكرون عليه في تدبيرها كان مشغولا بحرب من عظيم مع البلاد
الاجنبية احدهما كان في شأن مملكة نوار حيث كان اغار عليها عن قريب
الملك جاندلبرطه واراد ان ينزعها من حكومة اسبانيا وذلك ان المملكة
المذكورة كانت لهذا الملك بعصبانية فرديناند فلما مات فرديناند ظن
جاندلبرطه انه يمكنه استرجاعها لاسيما وكان ظاهر الاحوال يغريه ويرين
له آماله حيث كان كرلوس لم يحضر الى اسبانيا وكان امراؤها في فشل
وشقاق فظن بذلك جاندلبرطه انه ينجح في مشروعه ويأخذ بلاده من غير
مشقة ولكن يقظة اكزيمنس وفطانته افسدا عليه ما كان دبره في هذا الشأن
حتى ذهب سعيه هباء منثورا فكان اكزيمنس بفهمه الثاقب ورأيه
الصائب قد تبصر العاقبة وادبر له ما يجري على هذه المملكة فكان اول شيء
بدأ به حكمه هو انه ارسل اليها جيشا عظيما يقوم بحفظها وضبطها احسن ما كان
الملك جاندلبرطه مشغولا مع بعض عساكر من جيشه بحصار مدينة
سنت جان دوبورط ادهمهم العرم الحمير ومالوا على البعض الآخر من هذا
الجيش ويعد ذلك فعند ذلك اخذ الملك جاندلبرطه في الفرار فكانت هذه
الواقعة آخر الحرب المذكور لكن لما كانت مملكة نوار وقتئذ كثير المدائن

والقلاع

سنة ٣٩٢٦

والقلاع الغير المحصنة بحيث لا يمكن ان يدافع عن نفسها اذا اغار عليها جيش
ذو انتظام وضبط ودراية بالفنون العسكرية بل ربما كانت هذه القلاع تشتر
ولا تقنع بان يجدها الاعداء ملجأ يأوون اليه امثال اكزيقسيس الذي كانت
لا تزيده همته بهدمها كلها ما عدا مدينة تيلون فانه ابقاها وعزم على ان
يحصنها تحصينا جيدا ولولا هذا الاحتراس العظيم لانتزعت بوار من بلاد
اسبانيا لان جيوش العرب ساروا اغاروا عليها بعد ذلك المرار العديدة واخذوها
بدون مشقة الا انه كان يحصل لهم بعد الاستيلاء عليها جميع المشاق التي تحصل
للجيوش في ارض اعدائها واما اهل اسبانيا فكانوا يأخذون من الاقاليم
الاسبانيولية القريبة منهم جميع ما يحتاجون اليه من العساكر ويغيرون
عليهم كالغيلان فكانوا اذا اشتد الحال بهم لا يجدون قلعة يتحصنون
بها ويأوون اليها فيتركون البلاد في اقرب مدة كما فعلوها ويركنون الى
الفرار

واما الحرب الثاني فكان ببلاد افريقية مع الشهير هورووربروس اي ذي
اللحية الصفراء وكان من ارباب القتال في البحر فصار بشجاعته ملكا على بلاد
الجزائر وتونس ولكن لم ينجح اكزيقسيس في هذا الحرب كما نجح في الاول وذلك
ان عسكر الجيش الاسبانيولي سلك مسلكا رديئا وكذلك الضباط خاطروا
بانفسهم من غير بصر ولا حزم فانتصر عليهم هوربرى بدون مشقة وهلك
مقدار جسيم من عساكر اسبانيا ومن بقي منهم رجع يجر ذيل الخزي والعار
ومع ذلك لم يتغير حال اكزيقسيس من هذه الهزيمة التي لم يسبق له غيرها
ويستدل بها على ثبات الجنان وازدياد همته وروعته وما كان احد يظن منه ذلك
لانه كان اذا شرع في مقصد لا يباله بغير الانعدام فيه وبغيره

وقد نسيت هذه المصيبة في اقرب زمن ولكن حصل بعدها بقليل امر اوقع
اكزيقسيس في الحيرة واغضبه بازاء اهالي اسبانيا وهو وضع سلوك
الفلمنكيين ارباب دولة كرلوس وذلك لان الامير سوره نديم الملك
كرلوس واعظم وزرائه كان مع فضله ومعارفه له خصلة دنيئة وهي طمعه

سنة ١٥١٦

ودناءة نفسه فلما تولى كرلوس ملكا على اسبانيا امكن لهذا الامير ان
يشفي غليل طمعه وذلك ان كرلوس مادام ببلاد الفلمنك كان كل من
يطلب منه شيئا او نعمة ما يذهب اليه فكان الناس يدخلون اليه افواجا افواجا الا انهم
رأوا انه لا يمكنهم نيل مرامهم الا بواسطة الامير شيور فاخذوا يشترون
الهدايا ويستميلونه بالرشوة الى اغراضهم على قدر اوطارهم فاستجلب كنوز اسبانيا
وخزائنها الى البلاد الواطية وصارت المناصب وغيرها تباع في ديوان كرلوس
وربما كان المنصب وما اشبهه يطلبه عدة اناس فيزايدون فيه بالرشوة كأنه بضاعة
في سوق يؤدى عليها بالمزاد ولا يتسلمه الا من يشتريه باغلى الاثمان فاقتدى بسائر
ارباب الدولة بالامير شيور في هذا الامر الموجب للعار والفضيحة وجعلوا
كلهم بضاعة يتجرون فيها على رؤوس الاشهاد فاغتاظ اهل اسبانيا من ذلك
حيث رأوا ان اعظم مناصب بلادهم كان يشتريها اناس غرباء من الفلمنك
لا يرغبون في سعادة اسبانيا ولا في عمارها ولما كان اكزيمنس بطبعه
يمج مثل هذه الامور الدنيئة وكانت نفسه عزيزة نفيسة تجل عن مثل هذه
الرذائل التي تدنس المرء وتزري بالعرض اخذ يشكي من قبح سلوك الفلمنكيين
واخبر الملك بذلك حيث تحقق له ان اهل اسبانيا اصحاب حرية وانفة
لا يطيقون قبح سلوك الفلمنكيين وقد ازداد غيظهم واشتد غضبهم حتى
ضاقت عليهم الارض بما رحبت وان اسبانيا صارت في حالة تستدعي حضوره
اليها بدون براح ولا مهلة لكي يزيل بنفسه غمامات الكروب وضبابات المخاوف
والخطوب التي انعقدت وتراكمت على المملكة

مطلب
حث اكزيمنس لكرلوس على الحضور الى اسبانيا

وكان كرلوس يعرف انه قد تأخر زمنا طويلا عن الذهاب الى اسبانيا
ليأخذ زمام ممالكه ولكن كان ثم دواع موجبة تعيقه عن ذلك مدة اخرى
ولا تأذن له بالارتحال من مملكة البلاد الواطية وذلك ان الحرب الذي انعقد في
بلاد ايطاليا بسبب عصبة كمبريه كان لم يزل باقيا على حاله لم تخمد نيرانه
وان كانت شرور الاحزاب في هذا الحرب قد سلكت طريقا تخامده وحصل
بينهما الفشل والشقاق حيث تعاهدت مملكة فرانسا مع جمهورية

سنة ١٥١٦

البنادقة بعد أن كانت من جملة المتعصبين عليها وكان الامبراطور
مكسمليان والملك فردیننده مستعصيين وان يحاربان مع الفرنساوية
بعد أن كانوا في مبدأ الامر متعاهدين معهما حتى ان الجيوش الفرنساوية هي
التي نصرتهما واتعب بعضهما الفلاح والظفر فكان فردیننده ترك لحفيده
كرلوس ممالك عظيمة ترك له ايضا هذا الحرب الكبير والظاهر ان الامبراطور
مكسمليان كان يحرض كرلوس على ان لا يدع محاربة الفرنساوية لما انه
كان شديد الولوع بالمشروعات الجديدة ولكن كانت تجارات الفلمنك قد
تأسست مدة هذا الحرب على ما بقي من آثار تجارة اهل البنادقة وصارت
تنمو وتزداد فخافوا ان يحاربوا الفرنساوية خوفا من ان يجر ذلك الى اضرارهم
وتعطيل تجاراتهم وكان الامير شيوره ذا فراسة عظيمة ودراية كبيرة
في معرفة مصلحة بلاده ولكن كان طمعه في الغالب يلهيه عنها الا انه في تلك المرة
لم يسمع بجواب بعينه بل اظهر ان الصلح بين الفلمنك وفرانسا ضروري
لا بد منه وان الحرب تضر ببلاد الفلمنك كل الضرر فكتب في اسباب الصلح
الى فرنسيس الاول ملك فرانسا وكان شديد الاحتياج له بعينه حتى
يعتمد عليه ويأمن على فتوحاته الجديدة التي كان استولى عليها في ايطاليا
فحصل له السرور والفرح باعراض هذا الصلح عليه وكان وكيل كرلوس الامير
شيوره المذكور ووكيل فرنسيس الامير بواري وكان كل منهما ناظرا
على مملكته في صغره مربي كرلوس تحت ادارة شيوره وفرنسيس تحت
ادارة بواري وكان كل من هذين الوزيرين يرغب في الصلح لما انهما كانا
يعلمان ان معاهدة الملكين هي اسعد حادثة لهما ولرعاياهما فتذاكر
الوكيلان في شأن ذلك بمدينة نوايون وبهذا الامر في مدة يسيرة وكان
الغرض من ذلك عقد مشارطة بين الملكين بها تكون معاهدتهما معا
ومدافعتهما عن بعضهما عند الضرور بحيث لا يخلي احدهما عن الآخر وكان
من جملة الشروط الاصلية زواج كرلوس للاميرة لويزة بنت
فرنسيس الاول ولم يكن له سواها وكان عمرها وقتئذ سنة واحدة وكان

مطلب
عقد الصلح بين كرلوس
وملك فرانسا في (١٣)
اغسطس

سنه ١٥١٦

فرنسيس فمن هذه المشارطه شارع كرلوس في مملكة نابلي فتركها له فرنسيس بعد في نظير سوابقه وجهارها ولكن حيث كانت هذه المملكة قد ملك اسبانيا جعل على كرلوس ان يدفع لملك فرانسا مائة الف ريال في كل سنه حتى يحصل عقد النكاح وبعد ذلك يدفع خمسين الف ريال مادامت الاميره لم تلد من كرلوس واشترط الراى ايضا على انه حين وصول كرلوس الى اسبانيا يذهب اليه ورثة الملك جان داليرطه ليطلبوا حقهم في مملكة نوار فان لم يرضهم كرلوس وجب على فرنسيس ان يساعدهم بجميع طاقته فنشأ عن هذه المعاهدة اتحاد كرلوس و فرنسيس وكان لها ثمرة اخرى عظيمه وهي ان مكسيمليان رأى انه لا يمكنه مقاومة مملكة فرانسا وجمهورية البنادقة معا فاضطر الى عقد الصلح معهما وابطل الحرب الطويل المهول الذى ترتب على عصبة كمبريه وبالجمله فقد ترتب على معاهدة كرلوس و فرنسيس ان بلاد اوروبا تم لها مكث بعض سنوات وهي في الراحة والاطمئنان وان كان قد حصل فيما بعد بين هذين الملكين عداوة كبيرة نشأت عن طمعهما فعكرا بلاد اوروبا واوقعا فيها الفشل والشقاق مدة حكمهما

مطلب منع اهل الفلمنك كرلوس عن السفر الى بلاد اسبانيا

ثم انه بعد المشارطة بسنه نوايون فتحت سبل اسبانيا لكرلوس وصار لا يخشى شيأ اذا سافر اليها ولكن كان اهل الفلمنك لا يمكنون منه أن يفعل هذا السفر حيث يعلمون انه يعود عليهم بالخسار والضرر وذلك ان كرلوس مدة اقامته ببلاد الفلمنك كان يصرف ايراده وسنوياته وكانت فائدته بتدبيره تعود على رعاياه الفلمنكيين من غير ان يشركهم فيها احد لان بلادهم كانت تحت الحكومة وجميع الانعامات الملوكية كانت توزع بايديهم وتسار بين حالهم في تلك الصور وما كنهم في صور ثم اذا سافر كرلوس الى اسبانيا لا بد من الحد بان يحرموا من تلك الفوائد الجليله وذلك انه عند حلوله باسبانيا ربما اعطى لاهلها عيان ادارة بلادهم فتصير مملكة البلاد الواطية معتبرة كاقليم تابع لبلاد اسبانيا وبعد ان كان اهل الفلمنك يصرفون كيف شاؤا

سنة ١٥١٦

مطلب
خوف الملك كسمن اكزيمنس

فى الانعامات الملوكية وتعطوبها لمن ارادوا واضطروا الى طلبها من ايدى اهل اسبانيا وما كان يخشاه الامير شيوره زيادة على ذلك هو معاملة اكزيمنس للملك لان هذا الحبر باستقامته وشرف نفسه كان له فى عقول الناس ما يرهوى فكان من الممكن انه يصله ومعارفه وجلالته وكرسيه ان يحمل الملك كرلوس لما انه كان شابا بالالان ويربيه الصنائع العظيمة ويمكن منه سعار النفوس الكريمة الى مدبهاله اكزيمنس واذا عرف كرلوس صفاته وخصاله الحميدة فلربوبه باهل الفلمنك لانه يرى ان طباعهم منافية بالكلية لطباع هذا الحبر الصادق ورأوا رأيا آخر وهو ان كرلوس ان يرك لوربا الفلمنك ما كان اهم فى مصالحهم من الحل والعقد فان اكزيمنس يعتصب من ذلك ويراه من المعرة بملة الاسبانيولية التى هو بها فيبذل جهده فى المدافعة عن حقوق بلاده كما فعل ذلك لاسباب المرابا والحقوق الملوكية فكل هذه الاسباب دعت وزراء الفلمنك الى بذل جهدهم فى منع كرلوس عن السفر الى بلاد اسبانيا وحيث كان هذا الملك امنه سريع الميل لا تحربه حتى تعرف قلوب الرجال لا سيما وكان يحب الوطن الذى ولد به ابى السفر الى وقت آخر ومكث بمملكة البلاد الواطئة سنة كاملة بعد مباشرته مدة سنة واون

مطلب
سفر كرلوس الى اسبانيا

ولكن كان اكزيمنس دائما يرسل الى كرلوس ويلح عليه فى الحضور الى اسبانيا وكان حذره مكتسبا ان يحمله على السفر حتى اظهر اهل اسبانيا القلوس عشيته عنهم فعزم كرلوس على السفر ولم يرجع عن عزمه ولما سافر صحبه الوزير شيور وعدد من اشراف الفلمنك وسكر ادا بها وهم فى ابهة وروبق عظيم واما صحبوه ارعبهم فى مشاهدة جلالته وقدرته فى غير بلادهم ولكون انهم حظى بخصوص احسانه ووعد ممنوح كسب السمعة ومعه هؤلاء

فى (١٣) من شهر ايلول سنة ١٥١٧

المذكورون وبعد ان جاب مسافة كاد فيها اهوالا واخطارا رسا على مدينة ودلاوسفور فى اقليم الاستورى مع ابهج موكب واعظم احتفال وسر لحضوره سائر الناس لانهم كانوا ينتظرونه مع مزيد الشوق كما هو شأن ملك

سنة ١٥١٧

مكتب رسائل طويلة بلا تسطير ملكا مقتدرا رغب في الوقوف على حقيقة واحدة
اشراف اسبانيا يهرعون اليه من كل فج عميق واظهروا من هيبتها الروحية
والرتبة ما لا يمكن لاهل الفلمنك ان ينسجوا على منواله

وكان اكزيمنيس مسرورا بحضور الملك ويعد ذلك من اعظم ما نسبه
اسبانيا من الامور السعيدة فاخذ يهرول بين يديه بقدر ما يأذن له به هرمه
وضعف بنيته لان هذا الرجل العجيب بمسكه سياسته على المملكة كان لم يزل على
نسكه وزهده ما لخارج عن الحد وكان مع ذلك له مواظبة عظيمة على الاشغال
الصعبة ولا شك ان هذا يهدم اعظم القوى ويضعف صحة الاجسام فكان
يعتكف كل يوم عدة ساعات للعبادة ويؤدي الصلاة والادعية على الوجه الاتم
ثم يشتغل بالمطالعة وقراءة الكتب هذا وكان لا يتطلب اطلاعا عن حضور المشورة
ويقرأ جميع الاوراق والعرضحالات التي تقدم له وعلى المراسلات والاعلامات
اللازمة ويحرر بنفسه سائر مصالح الدولة مدنية كانت او عسكرية او دينية
جميع اوقاته كانت لا تخلو عن اشغال مهمة جسيمة وكان اذا اراد ان يريح
نفسه من الشغل يمكث مع الرهبان وعلماء اللاهوت ويناظرهم في مسائل
مشكلة من علوم اللاهوت المدرسية فبعيشته على هذا الوجه وطعنه
في السن صارت صحته كل يوم في التناقص والهبوط فسافر ليلقى له الملك وهو
على هذه الحالة فاصيب في مدينة بورنكلوس ببلاد اسبانيا بمرض
شديد وظهرت عليه علامات مخوفة نفسه حتى زعم من كانوا معه في هذا السفر
انهم رأوا فيه علامات السم الا انهم لم يعرفوا من فعل ذلك معه هل هم اشراف
اسبانيا لبغضهم فيه بما فعله معهم او هم وزراء الفلمنك لغيرتهم منه

فلما ثقل على اكزيمنيس المرض ولم يمكنه السفر مكث بمدينة بورنكلوس
المذكورة وكتب الى كرلوس ما كان قاساه من عزائه يحثه فيه بيانا
كما هو دأبه نصحه بان يطرد جميع الامراء الفلمنكيين الذين كانوا معه لان
افعالهم السابقة اغضبت اهل اسبانيا واذا استمروا معه ولم يطردهم يغضب
منه الاسبانيولون ويعصونه وزيادة عن غلبة عمالته واحتياجه له

لمهمة

سنة ١٥١٧

لتفهيمه حالة الممالك الاسبانيولية ويوقفه على طباعها فصرف امرآ الفلمنك وامرآ اسبانيا وبذلوا جهدهم في منع الملك عن مقابلة اكزيمنس حتى انهم بعد ان انتقل اكزيمنس الى مدينة ارانده صاروا يبذلون جميع وسعهم ويحاولون كل المحاولة في ابعاد الملك عن هذه المدينة حتى لا يجتمع به ويسمعهم بطلب جميع المقاصد التى اوصى بها اكزيمنس واخذ كل من امرآء اسبانيا والفلمنك يفعلون ما يهمهم اكزيمنس والملة الاسبانيولية ان شوكته قربت السقوط ولم يبق على عهده اياها بالكلية الا اليسير واشتهروا في اذاعة هذا الخبر بين الخاص والعام في اسبانيا حتى انهم في الاشياء الواهية التى يستوى وجودها وعدمها عند اكزيمنس كانوا يبذلون جهدهم في فعل ما يظنون انه يغيظه ويوجب غمه وحزنه ومع انه كان من عادته الجلد على تحمل الاساءة والاذى حصل له في تلك المرة كل الجزع والضجر ولم يمكنه تحمل هذه المعاملة السيئة لانه بسبب نفعه في الخدمة واستقامته كان يؤمل من كرلوس ان يكافئه باحسن من ذلك حيث انه احيى له مملكته بحكمته واصلحها حتى صارت في حالة زاهية زاهرة لم تحظ بها قبل ذلك وصار للتاج الملوكي شوكة عظيمة مديدة لم يسبق مثلها لغيره ممن حكم قبله من الملوك فلم يقدر اكزيمنس في عدة احوال على ان يخفي غيظه وغمه ويكتم ما يوجب سكنه وهمه واظهر التأسف على سوء حظ وطنه وبلاده واخبر بانه سيحصل لها مصائب شتى بسبب سفه الغرباء وظلمهم وجهلهم فبينما كان مضطربا اشد اضطراب بسبب هذه الامور اذ جاءه كتاب من الملك كرلوس ليس فيه من الاحترام ما يكفي في الدلالة على اهتمام المرسل بالمرسل اليه لبرودة عبارته وفيه اذن له بالذهاب الى ابرشيته ليقضي بها مع الراحة ما بقي من عمره الذي لم يسترح فيه لحظة واحدة فحين وصل هذا الكتاب الى اكزيمنس وقرأه ازداد غما واشتد المه وكانت غيرته نفسه تقضي بانه لا يعيش بعد هذا الخذلان وربما اضر به ما كان قائما بنفسه من انه سيحصل لوطنه مصائب شتى وبالجملة فلم يحتمل الغم الذي قام بنفسه من هذه الفكرة فمات بعد ان قرأ كتاب الملك ببعض ساعات واذا نظر

مطلب
خيانة كرلوس

مطلب
وفاة اكزيمنس في ٨
من شهر تشرين الثاني

سنة ١٥١٧

الانسان الى كثير من مشروعات هذا الوزير وعظمها وبقاحبها مع انه لم يهتم بالسياسة الاجنبية بل شهد بانه قد استوجب المدح الجليل والثناء الجميل لفراسته في المشروعات وفطنته وحزمه في المشروعات وشدة عزمه في تعميرها وشهرته بالقريحة والذهن والتقوى وجميع تلك الخصال الحميدة مرسومة الى الآن في اذهان اهل اسبانيا فتراهم يثنون عليه في كل وقت وحين وقد اشتهر في عصره من بين الوزراء بالتصوف حتى انه بمفرده هو الذي شرفه اسبا وطنه باسم الصوفي وقال عليه الاهالي مدة ادارته للمملكة ان الله قد اكرمه بظهور خوارق العادات على يديه

مطلب عقد مشورة الكورطس بمدينة ولادوليد سنة ١٥١٨

وبعد موت اكزيمنيس بمدة قليلة دخل كرلوس في محفل عظيم بمدينة ولادوليد وجمع فيها مشورة وكلاء مملكة قشطيلة ومع انه كان ملكا بالفعل لم تقر تلك المشورة على ذلك وكان اهل اسبانيا لم يزالوا يرون ان التاج الملوكي انما هو حق امه جوانه فقط اذ لم يوجد في التاريخ ان اسبانيا تولع بالمملكة في حياة ابويها ولهذا السبب لم تقره مشورة وكلاء المملكة على ذلك مراعاة للرسوم القديمة واحتراما لا لاحداث امور جديدة كما هي عادة المشورات الاهلية من انها لا تعدل عن الرسوم الجارية ولا تميل الى ابتداع شاذ او بدعة ولكن حين حضر اليهم كرلوس وصار وزراؤه يبذلون غاية جهدهم من التهديد والتحيل والحذق سلمت مشورة وكلاء المملكة في هذا

مطلب مبايعة كرلوس بالملوكية في قشطيلة

الامر ورضيت بان يكون شريكا مع امه بشرط ان يوضع اسمه بعد اسم امه في جميع ما يتعلق بالمصالح العامة ووقع الاتفاق ايضا على انه ان برئت جوانه من اختلال عقلها وجنونها فانه تقطع بحصر الملوكية فيها من غير ان يشركها احد واستقر الرأي باتفاق تلك المشورة على ان تعطى للملك كرلوس على سبيل التبرع ستمائة الف من الدوقات يأخذها بالتقسيط على ثلاث سنوات وهو مبلغ جسيم لم تعط مثله لاحد من ملوك قشطيلة

مطلب غيظ اهل قشطيلة

ولما طلب كرلوس ذلك المبلغ من ارباب مشورة وكلاء المملكة اجابوه من غير توقف الا ان ذلك كان اول ما فعله بعد حلوله في الملوكية فساء به غم عظيم

سنة ١٥١٨ م

في سائر اقطار المملكة وكان الوزير شيوره مؤدب كرلوس قد صار عنده
بمنزلة ابيه حتى كان لا يتكلم ولا يحكم بشيء الا بموجب ما ينصحه رأي هذا
الوزير وكان دائما لا ينفك عنه امراء الفلمنك بحيث كان لا يمكن لاحد من
اهل اسبانيا ان يدنو منه الا نادرا ولا يكلمه الا بحضرتهم ولما كان لا يعرف
من اللغة الاسبانيولية ما يكفي كان اذا سئل عن شيء يجيب بجواب قصير جدا
وفي الغالب لا يحسن العبارة في الافصاح عن مقصده فظن معظم
الاسبانيوليين انه بطيء الفهم قاصر الذهن وزعم بعضهم ان بينه وبين امه
شبها عظيما حتى اخذ الناس يقولون فيما بينهم انه لا يصلح لادارة المملكة اكثر
منها واما الذين وقفوا على حقيقة طبيعته فلم يأخذوا بظواهر حاله بل عرفوا انه
ذو معارف غزيرة وفطنة كبيرة الا انهم اتفقوا كغيرهم على انه يميل لاهل الفلمنك
لكونهم ابناء وطنه لا سيما وقد نشأ معهم ولكن لسوء حظ كرلوس كان جميع من
معه من الامراء الفلمنكيين غير جديرين بثقته بهم وركونه اليهم لانهم كانوا
لا يحبونه محبة صادقة ولا يسلكون مسالك النصح في مصالحه بل كان مطمح
نظرهم جمع الذهب وكانوا يخشون ان يدرك كرلوس حقيقة حالهم او يبعد
منهم الاسبانيوليون فيكون ذلك سببا في حرمانهم من شوكتهم ونفوذ
كلمتهم في اسبانيا فكانوا اذا وجدوا فرصة يتعدون الحدود في السلب
واكل اموال الناس لانهم كانوا لا يطمعون ان يبقوا زمانا طويلا على نفوذهم
ونفوذ كلمتهم فكانت جميع المناصب الرفيعة والوظائف الشريفة والانعامات
لا يعطى بها الا اهل الفلمنك او من يشتريها منهم على رؤوس الاشهاد وكان
شيوره وزوجته والامير سواج الذي نصبه كرلوس في تولية
قصادر قسطيلة يقدمون اكثر من يتسابقون الى كل ما كان فيه
ازدياد هذا الاختلاس واتساع دائرة بيع المناصب وما اشبهها ولم يذكر هذه
الحوادث المؤرخون الاسبانيوليون دون غيرهم حتى يتوهم عدم صحتها
او يعد من مبالغات المؤرخين بل ذكرها المؤرخون الاجانب ففي مكاتبات
المؤلف بطرس مارتير انكلوريا الذي كان وقتئذ بديوان اسبانيا ما يعاب

١٥١٨

رائدة في وصف شره الفلمنك وطمعهم فينتقدها العقل كل الانتقاد مع
انه لم يكن ثم سبب يحمل هذا المؤلف على ارتكاب الكذب في حق اسلافه وبدون
اسباب ليس لها وجود وقد قال المؤلف المذكور انه في ظرف عشرة اشهر نقل
من اسبانيا الى مملكة البلاد الواطية من النقود (صنف معاملة) مليون
ومائة الف فاكرو وهنالك حادثة اخرى اغضبت اهل اسبانيا اكثر من
جميع تلك المظالم وهي تقليد غليوم دوكروايه وهو من اقارب شوريه
منصب المطرانية على طليطلة مع انه كان شابا لم يبلغ السن الذي تعينه
القوانين الكنسية لمن يتولى هذا المنصب فظهر لهم ان تقريبه هذا الامير
الغريب الى هذا المنصب الذي هو اعلا المناصب الدينية بمملكتهم واعظم
مناصب بلادهم على الاطلاق ايرادا وثروة محض ظلم واجحاف بل وتنبه بذل
للملة الاسبانيولية بخلاف المصلحة او البغضة كلا من القسيسين والامرآ
الى الميل على المعارضة في هذا الشان

سنة — ثم سافر كرلوس من مملكة قشطيلة وترك اهلها في غم شديد بشكوتهم من
ادارته وتوجه الى مدينة شراغوسة ليجمع فيها مشورة وكلاء المملكة
فاجتمع في سفره باخيه فرديناند وكان يريد أن يبعده عن ممالك اسبانيا
بوجه حسن فتعلل بان جده مكسيميليان مشتاق الى رؤيته ومشوق
الى معاملته وارسله الى بلاد النمسا ولا ريب ان هذا الاحتراس عظيم ناشئ عن
الحزم وسداد الرأي لانه لولا هذا الاحتراس لفقد كرلوس جميع ممالك
اسبانيا لانه بعد سفر الامير فرديناند بقليل حصلت ببلاد اسبانيا فتن
واقلاقات بسهولة يجب ان يتحقق انه لو كان فرديناند موجودا اذ ذاك
لاعطاه الاسبانيول تاج مملكتهم لانهم كانوا يحبونه حبا جما ويميلون
اليه كل الميل وكان فرديناند طماعا بحيث لا تاذن له نفسه مع اشارة خاصته
عليه ان يعرض عن التاج اذا عرض عليه

سنة — وكان الاراغونيون الى ذلك الوقت لم يعرفوا كرلوس ملكا عليهم ولم يجمع
مشورة وكلا المملكة بامره ولا باسمه بل اجتمعت باسم الخوستيسيا

(في الهامش: يس مشورة وكلاء اراغونه)
(في الهامش: وقف الاراغونيين الشان وعصيانهم بالقسطيليين)

(اى الشاصى الاعظم) لان هذا الحق كان من خصوصياته ومن اياميته سلو الحكرى الملوكى بمن سعله ولما انعقدت هذه الشوره واجتمع اربابها وعرض كرلوس عليهم ان يتابعوه على الملوكيه انكروا عليه ذلك ونازعوه اكثر ارباب مشوره وكلا قسطيله لكنهم بعد مدة طويلة فى المنازعه وعدم التسليم مال منهم ذلك على ان يشركه مع امه حانه وكان ذلك منهم بعد ان اخذوا عليه موثقا على رؤوس الاشهاد انه لا ينحرمه الاراغونس ولا يتعدى على ادنى شئ من حقوقهم ومزاياهم كما هى عادتهم مع كل من تولى عليهم وقد توسعوا ايضا بانه الوصف حين طلب منهم كرلوس مبلغا على سبيل التبرع كما طلب من مملكة قسطيله فانه لما طلب منهم ذلك مكث ارباب مشوره وكلا المملكه عدة اشهر وهم لا يسمح باعطائه هذا المبلغ فانه بعده لجمع المملكه وتصرفه فى دون الساج فقصوا منه تلك الدوق الى كان عدة وسبب مسدر من طويل صب لم يس منه الملك كرلوس الاصلح قليل ولما شاهد اهل اراغون ما حصل فى قسطيله صاروا فى حذر عظيم واحترسوا بقدر ما امكنهم وحملوا التعدين عن بعضهم لما رأوا ان المحافظه على حقوق اسا وطنهم وما يدعونه من المزايا والخصوصيات مهما كانت اولى من كونهم يسلون للعريا فى امور مملكتهم فيسلون اموال وطنهم كما فعلوا بمملكة قسطيله

وفى اثناء انعقاد الشوره بمدينه سراغوسه اتت رسل الملك فرنسيس الاول ورسل ملك نوار الذى كان سابقا الى تلك المدينه ليطلبوا من كرلوس ان يتخلى عن مملكة نوار كما هو مقتضى الشروط المتفق عليها فى المشارطه التى انعقدت بمدينه نوايون ولكن لما كان كرلوس لا يريد تسليم هذه المملكه فوض الامر فى شأنها الاشراف قسطيله فلم يرضوا به وبعد مدة حصلت مذاكرة بين الفريقين فى مدينه مونتپيليه (احدى مدن فرانسا) لاجل انهاء هذا الامر بالتى هى احسن ولكن كانت هذه المذاكرة لا طائل تحتها ولم ينقطع ما فيها من الاسبانوليين والفرنساوية

١٥١٨ لأن رسل الفرنساوية كانوا يعللون بأن عدم تسليمها لاغتصابها من محض
التعدي والظلم وأما رسل اسبانيا فلم ينظروا إلا إلى عظم مال المملكة كله فيبقى
على موسم تسليمها

١٥١٩ ثم سافر كرلوس من مملكة اراغون إلى مملكة قطالونيا فمكث فيها
انتظار ما طلبوا بلاد واهلها يشتكون من سياسته وما أخذ منهم من النقود كان
أهل قطالونيا أشد من مملكة اراغون هذا وكان أهل اسبانيا يحقدون
الفلمنكيين لما ارتكبوه من الظلم والاختلاس في سائر الأقطار الاسبانيولية
لأسباب وكانوا أصحاب حرية وغيرة نفس فلم يطيقوا أن يفعل الأجانب في بلادهم
على ما تقتضيه هواهم النفسانية وأطماعهم الفاحشة فبذلوا جهدهم
فيما يكون به إنقاذ بلادهم من اختلاس هؤلاء الأغراب وظلمهم

ولما اشتد ظلم الفلمنكيين في قشتالة صمم أهلها على أن يتركوا الإهمال الذي
أفضى بهم إلى أمور شنيعة وجعلهم محتقرين عند غيرهم من أهالي اسبانيا
وتعاهدت مدينة شقوبيا ومدينة طليطلة ومدينة اشبيلية
وعدة مدن أخرى من أعاظم مدائن قشتالة على المدافعة عن حقوقها
ومزاياها ومع أن الأشراف قد لزموا السكوت في هذه الفرصة ولم يبذلوا
جهدهم كما كان يؤمل منهم كتبت المدائن المتعاهدة للملك تقريرا بينت فيه
على وجه التفصيل أن المملكة في أسوأ حال لسوء إدارة بطانة الفلمنكيين
وكان موضوع هذا التقرير هو الشكوى من تقليد الغرباء مناصب اسبانيا
ونقل أموالها إلى بلاد الفلمنك وزيادة الجرائم والغرامات وطلبت من الملك
أن يصغى إلى هذه الأشياء ودققت في ذلك غاية التدقيق وبينت كل الخسارة
حتى قدمت هذا التقرير ناولوا الملك في مدينة سراغوسه ثم في مدينة
برسولونه فلم يعتن الملك به اعتناء فعتب المدائن المتعاهدة وتعصبت مع بعضها
على الملك وترتب على ذلك في مملكة قشتالة المعاهدة الشهيرة بمعاهدة
الجمعية المقدسة ونشأ عن تلك المعاهدة في ممالك اسبانيا اختلال عظيم
وفشل كبير حتى تزلزل الكرسي الملوكي واضطرب وكادت صورة اسبانيا تتغير

بالكلية

سنة ١٥١٩

مطلب

موت الامبراطور مكسيمليان في ١٢ من شهر كانون الثاني

بالكلية ونسخ ترتيبها الذي كانت عليه
ولم يمكث كرلوس مدة طويلة بعد سنة ترسولونه الاولية وقوع حادثة
موسومة بأنها اكثر من عصيان القسطليين وتوجب تشويش مملكة
قطالونيا معه وانساعها من اخطائه ما نطلبه منها وتلك الحادثة هي
موت جده الامبراطور مكسيمليان ثم لم يكن موته في حد ذاته عظيم امر
لانه لم يكن صاحب شوكة ولا فضل ومعارف حتى يأسف على هذه
الا انه ترتب عليه عواقب شنيعة صار بها من اعظم الحوادث التي ذكرت
في تواريخ القرون المتأخرة وذلك لانه نشأ عنه تعكير الهدنة والصلح العام
الذي كان ببلاد الافرنج وترتب عليه أن صار بين فرنسيس الاول وكرلوس
عداوة وبغضا نشأ عنهما تعكير اوروبا بتمامها حتى اضطرت جميع دولها الى
حروب مهولة عمت بعظم ممالكها وطالت مدتها اكثر من سائر الحروب
التي حصلت في عهد جمهورية الرومانيين
وكانت المنازعات والفتن التي نشأت عن اغارة كرلوس الثامن ملك فرانسا
على بلاد ايطاليا نبهت همة ملوك اوروبا لاهمية المنصب الامبراطوري
(منصب امبراطورية المانيا) وذلك ان الامبراطورية الالمانية كانت تدعي
ان لها حقوقا في بعض ايالات ايطاليا وان لها التصرف المطلق والسيادة
والولاء على بعض آخر ثم ان الاباطرة الذين كانوا اهل المعارف والشوكة كانوا
لا يدعون تلك الحقوق وكانوا لا يستعملون تلك السيادة الا نادرا ولكن كان
من المعلوم انه متى حكم في المانيا امبراطور ذو شوكة وذهن وحزم وذكي
واجتهد في هذا الشأن نجح كل النجاح ودخل تحت حكمه معظم بلاد
ايطاليا ومع ان مكسيمليان كان ضعيف الشوكة كثير التردد في المشروعات
عرف أن يجلب لنفسه ولآل خلفه من جميع الحروب والمشاورات التي
حصلت في ايطاليا مدة حكمه هذا وكان رئيس الامبراطورية الالمانية
له الكلمة على سائر ملوك النصارى وكان للمنصب الامبراطوري حقوق
عظيمة لا سيما اذا كان المنصب المذكور بيد امبراطور ماهر يمكنه احياؤها

١٥١٩

وبعد هذا فانها تزداد عظما ورونقا وبتلك الاسباب كان هذا المنصب
جديرا بان يكون مطمح انظار ملوك الافرنج وميدانا تتسابق فيه
اطماعهم

مطلب مكسمليان في اثبات تاج الامبراطورية لكرلوس

ثم ان الامبراطور مكسمليان كان قبل موته بمدة قد بذل جهده في ابقاء
المنصب الامبراطوري لعائلة الاوستريا وسعى في ان يجعل حفيده كرلوس
ملك اسبانيا خليفة في الامبراطورية ولكن حيث كان من الشروط المقررة
وقتئذ ان البابا هو الذي يتوج الامبراطور في محفل عام وكان مكسمليان
لم يتوجه البابا كان معتبرا انه امبراطور ولي بطريق الانتخاب لا غير
ولم يرد به احد من المؤرخين على ان هناك فرقا بين امبراطور توجه البابا
وامبراطور ولي بطريق الانتخاب ومع ذلك لم يتيسر لمكسمليان في كل
من دواعي ايطاليا و المانيا سوى لقبه ملك الرومانيين وحيث لم يثبت
في التواريخ ان ملكا من ملوك الرومانيين قد جعل له قبل موته خليفة يجلس
بعده في الحكم وكان اهل المانيا يحترمون قوانينهم ورسومهم القديمة
ابوا ان يمكنوا كرلوس من هذا المنصب حيث لم يكن له فيه اسم مقيد في قوانين
الامبراطورية وامتنعوا كل الامتناع من تنفيذ اغراض مكسمليان في هذا
الشان

مطلب تعرض كل من كرلوس وفرنسيس في طلب منصب الامبراطوري

ولما مات مكسمليان جد كرلوس نفسه في طلب المنصب الامبراطوري
الذي اهتم جده قبل موته في اثباته له ولم يضيع وقته في تطلبه الملك فرنسيس
الاول وحصلت بينهما عداوة ومخاصمة عظيمة صارت مطمح انظار ملوك
اوروبا لعظم مقام المتنافسين الى هذا الغرض واهمية ما كانا يطلبانه فكان
كل منهما يسعى في تحصيل هذا المنصب بنشاط كانه مستيقن النجاح في سعيه

مطلب دعاوى كرلوس في شأن منصب الامبراطوري وجه طمعه في النجاح

فاما كرلوس فكان يرى ان المنصب الامبراطوري مقرر من طويل لم يخرج
من عائلة الاوستريا فهو حقيق بان يطلبه بطريق الوراثة لا سيما وكان لا يرى
في الامبراطورية امرا صعبا بحيث يعوقه شوكة منازعة فيه وكان يعلم ان اهل
المانيا لا يرضون بترقية ملك اجنبي عليهم حيث ان المنصب الامبراطوري

مطلب

سنة 1519

مشهورون عندهم لم يميلوا إلى غيرهم لاسيما وفرنسيس الأول زيادة على كونه
أجنبيا منهم كان له أسباب أخرى تمنع من صلاحيته لأن يكون إمبراطورا
في ألمانيا منها أن رعاياه الفرنساوية كانوا مباينين لأهل ألمانيا
في العوائد والأخلاق والحكومة بحيث لا يمكن التأليف بين قلوب هاتين
الأمتين هذا وكان كرلوس يأمل أن ما عرضه مكسيمليان قبل موته
في شأنه أن لم ينجح فقد ألقى ذكر كرلوس في أذهان الأمراء المنتخبين وثم أمر
آخر كان مقويا في طلبه التاج الإمبراطوري وهو أن دولته الوراثية في ألمانيا
كانت حاجزا حصينا يحمي إمبراطورية ألمانيا من إغارات الدولة العثمانية
التي كانت تخشاها وتهدد جميع ممالك أوروبا وكان السلطان سليم الثاني
بفتوحاته العديدة الكبيرة ومحاربته الغزيرة وأطماعه قد أوقع الرعب في قلوب
الملوك الإفرنجية لأنه هزم دولة المماليك وتغلب على آخرهم وضم بلاد مصر
والشام إلى دولته فحصل من ذلك الوقت في الدولة العثمانية اطمئنان عام
وخلت من الفتن والمعكرات الداخلية حتى كان يمكن لهذا السلطان الماهر
أن يشن الغارة على جميع ملوك الإفرنج ويوجه إليهم جيوشه التي كانت إلى ذلك
الوقت تظهر جسيمة أو خطيرة ولا يمكن لأحد من الملوك مصادمتها ومقاومة
قواها التي كانت لا تكل ولا تعرف فلم تكن هناك واسطة في حماية الإمبراطورية
من قوى هذا السلطان التي كانت تستعمل بالعزم الأحكم وأتقن من كون تولية
على الإمبراطورية ملكا مثل كرلوس له دول واسعة في البلاد الألمانية
التي كانت أول عرضة لإغارات الدولة العثمانية بل وكان لا يصلح أحد لذلك
أكثر منه حيث كان قوي الشوكة فيمكنه عند الضرورة أن يقابل جيوش
الإسلام بقوة عزم وثبات جنان لكثرة عساكره وأمواله التي كانت ترد له من
محصولات معادن الدنيا الجديدة (أمريكا) ومن تجارات البلاد الواطية
فهذه هي الأسباب التي كان كرلوس يعضد بها ما قصده في شأن الاستيلاء
على الإمبراطورية وقد استحسنها أولو العقول الزكية والآراء السديدة
بل ورأوا أنها براهين قاطعة لا يمكن جحد نتائجها ومع ذلك فلم يقتصر هذا الملك

١٥١٩

على تلك الاسباب القوية بل احد يستميل عقول ارباب الحل والعقد في هذا
الشأن بمبالغ جسيمة من الاموال حتى لم يبق شيء الا وبذله لاجل الظفر بمقصده
واجتهد سرا على طريقة الدس العظيم الذي كان رسمه مستورة وكذلك اعلم
سوابه وبالجملة فقد استمال بالهدايا النفيسة عقول من يبيع عرضه بقبول
الرشو وحل بذلك كل مشكل قوي واما ضعفاء الناس فانه اغرى السذج منهم
بالتمويه والتهديد

واما فرنسيس الاول فكان ايضا بذل جهده في مثل كرلوس في اخذ
المنصب الامبراطوري وأمل النجاح والظفر واذاع رسله الذين بعثهم سرا الى
الالمانيا انه يجب على من يحب مصلحة الامبراطورية ان يقيم امرا عائلة
الاوستريا ان التاج الامبراطوري انتقالي لا وراثي فمتى انه يجوز لغير
امرا تلك العائلة ان يطلبه ولا يليق ان يطلع من شمسها وحسبها ان تعتبره كانه
متاع من امتعتها او شيء من املاكها لانه ربما لم يكن في امرائها من يصلح له
وانه يلزم للامبراطورية ملك يكون بكبر سنه قد ربى له ملكة وصارت له درايه
وخبره بكثرة تجاربه حتى يمكنه ان يمنع حكومة ملك الامبراطورية التي
كانت وقتئذ في اضطراب واختلال بسبب المذاهب الدينية الجديدة التي كانت
متولعة بها عقول بعض الناس وكان يخشى ان تعتريها عاقبة مشؤومة شنيعة
واذاعوا ايضا ان كرلوس بسبب انه صغير السن قليل الخبرة لعدم تجاربه
وممارسته للامور ولم تظهر منه ما يدل على براعته في الفنون الحربية لا يمكنه ان
يقاوم عدوا مثل السلطان سليم الذي قضى عمره في الحروب وتمكن من فتوحها
واشتهر في عنوان عديدة ولا يصعب مقاومة هذا السلطان المنصور الذي فتح
بلاد آسيا على ملك مثل فرنسيس ارغم في صغره انوف السويسيس وقتل
بجنودهم مع انهم كانوا اهل ضبط وربط ودراية تامة بالعسكرية حتى كان
لا يظن احد الى ذلك الوقت انه يمكن لاي ملك كان ان يقهرهم ويظهر عليهم
فاذا حكم فرنسيس في الامبراطورية وضم الجسالة الفرنساوية المشهورة
بالشجاعة والشهامة الى العسكرية الالمانية المشهورة بالضبط والربط

والثبات

ملخص
...ب الى بني علمها
...بس دعواه

سنة ١٥١٩ م

والشبان بألفه من مجموعهما جيش عظيم يفزع منه العدو وبذلك يمكنه
عند اقتضاء الحال ان لا يضطر الجيوش الاجنبية حتى يأتي الى بلاده بل يبادر
بالاغارة عليهم في بلادهم واذاعوا ايضا ان تولية كرلوس على الامبراطورية
مخالفة لقانون من قوانينها الاصلية وهو ان كل ملك كانت بيده مملكة نابلي
لا يجوز له ان يحكم على الامبراطورية لا سيما وكرلوس مطلب دوقية ميلان
فلا بد وان يحصل بينه وبين ايطاليا حرب عظيم فاذا تولى على الامبراطورية
ربما جر ذلك الحرب الى اضرارها وصارت عواقبه مشؤومة عليها

وبينما كانت رسل فرنسيس الاول تبدي هذه الاسباب وما اشبهها في جميع
دواوين المانيا اذ بلغ هذا الملك ان توليته على الامبراطورية فيها عسر
لكونه اجنبيا عن ديارها ولا يعرف لغتها ولا اخلاق اهلها وعوائدهم فأخذ
يبذل جهده فيما يكون به ازالة تلك الموانع وجعل يستميل عقول ارباب العقد
والحل بالهدايا العظيمة والوعود الحسنة ولين الكلام وزخرفة القول وحيث
ان اوراق الحوالات لم تكن معلومة وقتئذ صار رسل فرنسيس يسافرون
من بلدة الى اخرى ومعهم قطارات من الخيل محملة بالذهب ولا شك ان هذا
الامر مما يوجب العار والفضيحة لباذلها وقابلها

مطلب
آراء ملوك الفرنج الاخرين

وكان ينبغي لملوك اوروبا الآخرين أن يدخلوا واسطة في هذا الشأن الذي له
رنات عظيم وتاثير كبير في مصالح ممالكهم حيث ان مصلحتهم العامة كانت
تقتضي أن يعضدوا بعضهم على هذين الملكين المطالبين للامبراطورية لانه
ان ولي احدهما عليها تقوى شوكته وازدادت صولته بشيء يخشى منه اضاعة
حرية اوروبا باجمعها ولكن لم يمكن لاحد منهم ان يعرف حق المعرفة انه من
من الضروري اللازم لتحصيل الراحة والامن العام ان يكون هناك ميزان
تعادل بين قوى الممالك وبعضها بحيث لا يتعدى القوي منها على الضعيف
لان اذهانهم اذ ذاك كانت لم تصل الى معرفة اهمية هذا التعادل لانه لم يندرج
في مذاهبهم السياسية الاصل الذي يتعادل به عدة ممالك هذا وكانت الاغراض
متسلطة على نفوس بعضهم وكان البعض الآخر عاجزا عن ادراك العواقب

والنصر فيها الا قليلا وكان منهم من يخشى ان يغتصب احد الملكين المطلقين
للامبراطورية فلم يأخذوا في شيء من اسباب تلك العصبة او المعاهدة التي
كانت لازمة لتحصيل الراحة العامة ومن جملة عصبة منهم على ان يكون واسطة
في هذا الشأن لم يبذل جهده كما ينبغي ولم يعتن به كل الاعتناء

١٠١٩

واما اهل السويسة فكانوا يخشون ان يرقى فرنسيس او كرلوس الى
المنصب الامبراطوري ويرغبون في تولية ملك آخر يكون ضعيف الشوكة
مثل الممالك والاراضي ولكن كانوا يبغضون الفرنساوية فبذلوا جهدهم
في تعطيل مقاصد فرنسيس وافساد مادته وابدوا ان الاصوب تولية
كرلوس على الامبراطورية

لـــــ السويس

وكذلك اهل البنادقة كانوا يرون ان مصلحتهم تقتضي ان يمنعوا كلا من هذين
الملكين عن الاستيلاء على الامبراطورية ولكن كان بغضهم لعائلة الاسترسا
اكبر واشد لطمعها ولان مجاورتها لهم كانت مشؤومة عليهم بحسب ما اضرت
بعظم جمهوريتهم وبحار دولتهم فعدلوا عما كانت تقتضيه الاصول السياسية
ومن ثم بادروا بالدخول في حزب ملك فرانسا

للـــــ آه اهل جمهورية بنادقة

وكان هنري الثامن ملك انكلترة معتقدا انه من عزه على منع كل من
ملك فرانسا والملك كرلوس من الاستيلاء على هذا المنصب الذي يفوق
صاحبه سائر ملوك الافرنج ولكن مع ان هنري المذكور كان يفتخر
غالبا بانه ميزان التعادل ببلاد اوروبا لم يكن جامعا لما تستدعيه هذه
الوظيفة من التبصر وادراك العواقب واصابة الرأي والتؤدة والحزم فلم يستطع
ان يحكم بدون تعصب لهذا المنصب الامبراطوري بل بادر مع من بطانته فكان
مثال الاثنين المذكورين اللذين كانا مطمح نظر ملوك الافرنج وبعث رسولا
من عنده الى بلاد المانيا لطلب التاج الامبراطوري فلقاه امراء المانيا
بالتبجيل والاكرام وكذلك رسول البابا فانه لاقى التسليم والاحترام
ولكن لم يتيسر له شيء في شأن توليته سيده على الامبراطورية فعند ذلك كتب
البابا انه لم يعد وسيلة في ذلك وان تطلبه لهذا الغرض قد مضى في الزمن الاخير

للـــــ ا هنري الثامن

ولما

سنة ١٥١٩

فلما وصل كتابه الى هنرى صدق ان تأخيره هو السبب فى عدم نجاح حروبه
لولا السلم بعطاء غيره والظاهر انه قد صرف همته عن هذا الغرض
حتى انه لم يتعرض فيما بعد لمنع كل من الملكين المذكورين عن الاستيلاء على
الامبراطورية ولا لمساعدة احدهما على الآخر

واما البابا ليون العاشر الذى اشتهر بمعارفه السياسية وبولعه بالفنون
فهو الذى لاحظ دون غيره حركات كل من فرنسيس وكرلوس ملاحظة عالم
ماهر متبصر من الاسباب والمسببات وهو الذى رأى عليه ان فى نصرة عظيمة
من نصرتهما على فقد الاطمئنان والراحة من بلاد اوروبا هذا وكانت احكام
البابا واحكام الامبراطور تتعارض فى امور شتى وكان كل منهما يتعدى
على حقوق الآخر وكان البابا لا يامن على اراضى الكنيسة الرومانية
الا اذا كانت شوكة من يجاوره ضعيفة فكان لا ينغصه الا من ان يتولى على
الامبراطورية ملك ذو شوكة كبيرة وعز بعيد عن ان يحصل عنده قلق عظيم خشية
من تولية احد هذين الملكين فكانت نيته لا ينبغى ان تعطى كرسى الامبراطورية
للملك كرلوس لانه كان ملكا على اسبانيا و نابلى والدنيا الجديدة
وكانت شوكته عظيمة لا يدوم معها وكد الكنيسة الرومانية وكان يرى انه ينال
من الخطر عليه وعلى كنيسته تولية فرنسيس حيث كان اقوى قوى الشوكة
فكان ملكا على فرانسا ودوقا على ميلانه وملتزم جنوة فادرك
هذا البابا ان تولية كل من هذين الملكين على الامبراطورية تضر بالكنيسة
الرومانية كل الضرر وتجر الى سقوط استقلالها ويجر بها ويعكر على بلاد
ايطاليا بل ويمكن انه يضر بحرية اوروبا كلها ولكن حيث كان هذان
الملكان ذوى شوكة قوية وبطش شديد يجب ان لا يامن من عداوتهما اذ كان
يمكنهما الانتقام منه بطرق مختلفة رأى البابا ليون انه لا بد لهذا الامر
من الخداع والحزم فانه عمل كلا من هاتين الوصلتين واحدث سرا بحسب امر
البابا على كونهم يحصون بامرائهم ويعملوا على الامبراطورية حسب
ارادتهم كثيرا مما يمكنه ان يقوم بادارة مصالحها ويوفى بما حق الوقفة

١٥١٩

وذكروا بأن كرلوس لا يسوغ توليته على الامبراطورية بموجب القوانين
والرسوم القديمة لأنه ملك على ناپلي ومن كان بيده ملك المملكة لا يجوز له
أن يتقلد بالمنصب الامبراطوري هذا وكان يحرض فرنسيس على المنصب
في مقصده ولم يكن قصده بذلك نجاح فرنسيس أو أنه كان يحب له ذلك
رجحانه على كرلوس بل كان ذلك منه سياسة وخديعة لأنه كان يعلم علماً
يقيناً أن أهل ألمانيا يرجحون الملك كرلوس عن فرنسيس الأول
فكان يأمل أنه إذا نجب فرنسيس على تطلب الامبراطورية ودعى
فرنسيس ورأى أن أهل ألمانيا يرجحون كرلوس عليه يبذل غاية
جهده في إعطاء التاج الامبراطوري لملك آخر غير كرلوس وإذا أمن
أن فرنسيس هو الذي يجد المساعدة والإعانة ورأى كرلوس أنه لا يمكنه
الاستيلاء على الامبراطورية يسعى بلا شك في إعطائها لملك آخر غير
فرنسيس واعتقاده بهذا الوجه نجح في خداعه وحرم كلاهما من
الامبراطورية ولا ريب أن مقتضيات الأحوال كانت إذ ذاك لا يسوغ للبابا
أن يسلك في هذا الغرض غير تلك الطريق فقد ترشح غاية من الحزم والحذق
إلا أن أمرها لم يكن على ما سبق من الغلط والسفاهة وذلك أن الرسل
الفرنساوية كانوا يلهون سيدهم ويقوون أمله بأن المنصب الامبراطوري
يثبت له واحداً واتصا يعمل وكمل البابا حتى نسي ما أوصاه به سيده واستمر
فرنسيس يدعي في كونه هو الذي يولى على الامبراطورية دون غير ولم ينل
بإعطاء المنصب الامبراطوري لأحد غيره أو غير غريمه فسدت آمال البابا ليون
وخاب سعيه

طلب
انعقاد مشورة الديت
١٧ من حزيران

هكذا كانت آمال المتنافسين وآراء الملوك الأجنبيين الذين كان لهم مآرب
يدعوهم إلى التوسط فيها حين انعقدت مشورة الديت أي العموم على
حسب العادة في مدينة فرنكفورت لأن الحق في انتخاب الامبراطورية كان
منذ زمن طويل بأيدي السبعة أمراء المعبر عنهم بالذين يقال لهم منتخبون بضم الميم
وكسر الخاء المعجمة وقد سبق في الإتحاف أصل إنشاء هؤلاء المنتخبين وما

صوابهم

سنة ١٥١٩ م

صولتهم وطمعهم وما يتعلق بهما وكان المنتخبون وقتئذ هم الامير البرطه
دوبرندبورغ مطران ميانسه والثاني هرمان دويه ويد وكان
مطران رويس والرابع لويز ملك بوهمه والخامس الكونته لويز
وكان حرسه بالاطينالي صاحب الطيان واملاك الشطى نهر الرين والسادس
فريدريك دوق سكس والسابع يواكيم الاول مركيز براندبورغ
فاجتمعت بعد رسل الملكين المتقدمين يبذلون علانية ما امرت به الظاهر

مطلب
آراء الامراء المنتخبين

فاسدة الباطن ويوزعون بين ايدي المنتخبين ويكثرون لهم من الهدايا
النفيسة ومع ذلك لم يبين المنتخبون امرا مهما عندهم يعتدونه اصلا لحرية
القوانين التي عليها رتبت الامبراطورية وذلك الامر هو ضعف شوكة
الامبراطور لان الجمعية الجرمانية كانت عن جمهورية كبيرة مشتملة على عدة
دول يكاد كل دولة منها يكون مستبدة بنفسها فجميع اعضائها يحبون ان تكون
شوكة الامبراطور ضعيفة حتى لا تضيع حقوقهم ومزاياهم وهذا الامر
كان من مواضع الطبيعة الحكومة الامبراطورية ولوازمها لزوما ذاتيا حتى
ان ارباب السياسة من اهل المانيا كانوا لا يهملونه ولا يحولون عنه باي
وجه كان ولذلك مكثت الامبراطورية عدة قرون من غير ان تولى عليها امير
يكون قوي الشوكة او يكون له اراض وممالك واسعة ولولا هذا الامر لما بقي
عند من عايلات المانيا الاعيان يحفظون بأسه لانهم ومزاياهم التي
اكتسبوها في ظرف تلك المدة الطويلة وحيث كان الامر كذلك رأى
المنتخبون ان توليتهم لاحد هذين الملكين يفضي بهم الى العبث والنصب حيث
رأوا ان توليتهم احدهما كانت عن اعطاء الامبراطورية لسيد يتصرف فيها كيف
شاء لا لرئيس يكون اعماله مقصورة على ارادة ارباب الحل والعقد في الدولة
ورأى المنتخبون انهم يصيرون كآلات الرعية بعد ان كانوا اولي رتبة
الامبراطور

مطلب
عرض المنتخبين التاج الامبراطوري على الامير فردريك دوق سكس

وبهذه الاسباب صرف المنتخبون النظر عن كل من كارلوس و فرنسيس
وجعلوا مطمح نظرهم فريدريك دوق سكس وكان امير صاحب

سنة ١٥١٩

معارفه وآدابه قد استوجب المدح والثناء الجميل من اهل عصره حتى كان
حسده بانه لقب بالحكيم العاقل واجمعوا جميعا على اعطائه التاج
الامبراطوري الا انه لسر منه وعقل لم يغتر بروني هذا التاج وبهجته ولم يبادر
بقبوله كالملهوف الذي لم يرد لابد منه في العواقب لان هذا الامير كان يرى
ان هذين الملكين اللذين هما اقوى منه شوكة واعظم منه دولة وسلطنة
لا يسلمان له في هذا التاج الذي حسبا كانا احق به في طلبه فيوجب ذلك لتعكر
في المعاملة ثم الى ان قبله فتعجب الناس من وفور عقله حيث ان عظم التاج
الامبراطوري وعلو شأن المنصب الذي كانوا يدعونه اليه لم يمنعه عن التبصر في
العاقبة ورأى ان ضعف شوكة الامبراطور مع انه من عمدة وجوه متعددة من الامور
الصائبة المبنية على العدل الا ان عدم التحول عنه في جميع الاحوال ليس من
الصواب بل لا شيء اكثر منه مخالفة لحسن السياسة والادارة فكيف في رده
يقول في زمن الامن يحتاج لامبراطور ضعيف الشوكة حتى لا يتعدى
على حقوقنا ومزايانا واما في زمن خوف الحرب والفتن فلابد لنا من
امبراطور قوي الشوكة شديد البأس حتى نكون في أمن واطمئنان وها هي
الجيوش العثمانية بقطعها الآن تحت لواء سلطان ماهر ذي بطش وعمل
قد قوى عزمه بنصرته في غزوات جمة وظفره في مشروعات مهمة فيأبى
لان يغير على المانيا مع هؤلاء لم تنسوه انها في القرون الخالية والاعصر
الماضية ولا سيما اذ لكل زمن مقتضيات مخصوصة تستلزم امورا جديدة
وتبطل ما كان من الامور الضرورية معتبرا ومعدودا وبنا على ذلك يلزم
اعطاء التاج الامبراطوري لملك يكون اقوى مني شوكة واشد مني بطشا
واما انا فلا قدرة لي على تحمل اعباء الامبراطورية لانها ثقيلة علي وعلى غيري
من امراء المانيا حيث لم يكن لنا اراض واسعة ولا ايرادات جسيمة
ولا شوكة عظيمة تكفي في مقاومة العدو القوي البطش الذي يخشى منه الاغارة
على بلادنا وعلى كل حال فالمناسب الراجح يستلزم ان يعطى التاج لاحد الملكين
السابقين وهما فرنسيس و كرلوس فقد انحصر الامر فيهما لان غيرهما

مقالته
امتناعه من قبول التاج

لا يمكنه

سنة ١٥١٩م

لا تمكنه عند الاحتياج ان يأتي بالجيوش اللازمة لحمايته وطنا والذب عنها ولكن حيث ان كرلوس ملك اسبانيا هو والدوق النمسا صيب بعد غصوا من اعضا الاعبراطورية ومن امراء اشهاب تب الممالك التي ورثها عن جده مكسيمليان وسبب ان بلاده متصلة بالاراضي الامبراطورية التي يخشى عليها من اغارات جيوش الاسلام اكثر من غيرها فظهر لي ان استصحابه في شأن التاج الامبراطوري مبني على اساس متين واصل مكين وانا اري تولية على الامبراطورية انسب والبق من تولية فرنسيس لانه اجنبي لدين منا ولا نعرف لغتنا واما كرلوس فهو من دمنا ولحمنا ومن بلادنا وبنا على ذلك اري ان التاج لا يعطى لسواه وهو مولاه

ولا شك ان هذا الرأي الصادر عن مكارم الاخلاق والهمة العالية التي قل من اتصف بها من الرجال والمعتمد بالبراهين المقبولة يكون له ثمرة عظيمة ولذلك صار له موقع عظيم في قلوب المنتخبين فلما رأى رسل كرلوس ان فردريك قد صمم مع سندهم صنعا جملا ارسلوا اليه مبلغا جسيما من الاموال واخبروه بان ملكهم سكافيه باكثر من ذلك ولكن لا يخفى ان هذا الامر الذي اعرض عن التاج الامبراطوري لكرم نفسه لا يقدم على ما يوجب الدناءة وقد دس العرض بقبول شيء من هذه الهدايا ومواشيهم على اعراضهم وذلك لانه ان قبلها كان كانه باع رايه بتلك الهدايا وهذا من اقبح ما يزري بالمروءة والشرف فلم يقبل منها احد رسل اسبانيا بل رجوه في ان يأذن لهم بتوزيع بعضها على ارباب دولته فاجابهم بانه لا يمكنه منعهم عن قبول ما يعطى لهم لكنه يطرد من راس دولته كل من يقبله ابدا منها ولو درهما واحدا

وحيث ابي فردريك قبول المنصب الامبراطوري وبين وجه عدم صلاحية نفسه هو وسائر امراء النمسا نفي كل امير المانى من هذا المنصب وانحصر في الملكين المتقدمين فوجب ان ينتخب واحد منهما للسلطنة هذا وكان ثم اسباب تدعو لترجيح كرلوس كنسبه وقرابته ووضع دولته التي ورثها عن آبائه وزيادة على ذلك كان رسله الذين بعثهم الى بلاد المانيا صادقين

مطلب
رد فردريك للهدايا التي ارسلها اليه رسل الملك كرلوس

مطلب
انعقاد مجلس لانتخاب المنتخبين

سنة ١٥١٩

في خدمته ما دل على انه جهدهم في سد اعتراضه فاصاب حيث كتب لاو كان قد بعث الى المانيا الكردينال دوغوركو والسنيور ارارد ولامرك اسقف لتيجه فوفقا برسالتهما على وجه اكسبهما الشرف والفخار وابديا من الحزم وحسن التدبير ما عجز عنه رسل الملك فرنسيس ولا غرو في ذلك فان دوغوركو مكث زمنا طويلا وهو وزير ونديم للامبراطور مكسيمليان فوقف على حقيقة اخلاق اهل المانيا وعرف كيفية المداولة معهم واما اسقف لتيجه فكان الملك فرنسيس قد حرمه من المنصب الكردينالي فلما لاحت له تلك الفرصة صار يبذل جهده في تعطيل آماله واستعمل في ذلك جميع ما تؤمله له همته الطماعة وحقده على هذا الملك ثم كان ارباب ديوان الانتخاب يميلون الى جانب كرلوس شيأ فشيأ حتى ان وكيل البابا بعد ان مكث مدة طويلة وهو يعارض ولا يسلم في توليته رأى ان معارضته لا جدوى لها ولا طائل تحتها وان تولية كرلوس لا تمنع البابا من عمل ما يحث كرلوس على رعايته وتحويله سطوة حيث اذن له على سبيل النيابة عن البابا لكون ان يجمع بين التاج الامبراطوري وتاج نابلي مع ان ذلك لم يسبق لغيره وكان البابا يتعلل به في منع كرلوس من الاستيلاء على الامبراطورية ويبدي انه ملك على نابلي فلا يجوز له الجمع بين تاجها والتاج الامبراطوري حيث لم يسبق ذلك لاحد قبله كما هو مقتضى نص القوانين

مطلب انتخاب كرلوس للامبراطورية

ولم يتم امر هذه المنازعة الى ان وجب تبديد بلاد اوروبا في الخبر الآتي ثمانية وعشرين من شهر يونيو (سنة ١٥١٩) من الميلاد بعد موت مكسيمليان بخمسة اشهر وعشرة ايام وكيفيته انه لما ان ستة انفار من السبعة المنتخبين انحط رأيهم على كرلوس ملك اسبانيا واما السابع وهو مطران تريوس فلم يزل يدافع عن ملك فرانسا ويبرهن على انه هو الجدير بالمنصب الامبراطوري فلما لم يجد لتوليته سبيلا تحول عما كان عليه اولا ووافق الستة الباقين فبعد ذلك نيب التاج الامبراطوري للملك كرلوس بموجب اقرار هؤلا السبعة ارباب ديوان الانتخاب

ومع

سنة ١٥١٩

ومع ان المنتخبين رضوا القدماسات باعطاء التاج الامبراطوري لكرلوس ظهر عليهم الغم والضجر لانهم كانوا يخشون صولته وقوة شوكته فاخذوا يستعدون بجميع ما يحفظهم منه ويقيهم مما عساه ان يقع من تعديه على حقوق الجمعية الجرمانية ومزاياها الثابتة لها من قديم الزمان وذلك ان هؤلاء الامراء المنتخبين منذ اختصاصهم بنصبه ويرون موالاته كانوا يلزمون كل امبراطور عند توليته ان يقر بتلك المزايا ويأخذون عليه المواثيق والعهود ان لا يتعدى على شيء منها باي وجه كان ولما كان التاج الامبراطوري لا يعطى الا للملوك الضعاف ليس لهم ما يخشى منه السطوة والبأس كاتساع الاراضي ورجحان العقول كان هؤلاء الامراء يرون ان التزام الملوك المذكورين بمجرد المشافهة انهم لا يتعدون على مزايا الجمعية الجرمانية يكفي في صدقهم واجتنابهم لكل ما يضر بحقوق تلك الجمعية ولكن لما كان كرلوس بمكانة من الشوكة والصولة رأوا ان الوعد منه مشافهة لا يكفي في امنهم على مزاياهم فسلكوا معه مسلكا آخر لكي يتأمنوا من بأسه وبطشه وحرروا قانونا بينوا فيه مزايا المنتخبين وخصوصياتهم ومزايا امراء الامبراطورية ومزايا المدائن وسائر اعضاء الجمعية الجرمانية وذكروا ان المواد المذكورة في هذا القانون لا يجوز للامبراطور ان يتعدى على شيء منها ووضع رسل كرلوس امضاءهم فيه على سبيل النيابة عن ملكهم يعني وضعوا عليه علامة القبول وامره هو امضاءه بنفسه حين لبس التاج الامبراطوري ومن ذلك الوقت صار المنتخبون يلزمون كل من تولى امبراطورا باقرار تلك الشروط وبالجملة فهذا القانون الذي هو كناية عن مشارطة بين الامبراطور والرعية يعد الآن ببلاد الالمانيا كانه حاجز حصين يقي الاهالي من تعدي الاباطرة او كانه تمسك اعظم شرطه قانونيه يأمنون بها على حقوقهم ومزاياهم

مطلب
اعلام كرلوس بانتخابه امبراطورا

ولما كان كرلوس بمدينة برشلونة مشتغلا بما كان حاصلا وقتئذ من المعارضة حيث كانت مشهورة وكانت مملكة قطالونيا لا تسلم له في شيء من المواد التي عرضها على اربابها السنداكو وانهم ادخلوها الحرم من مدينة

١٥١٩ م

من فرنكفورت بأن المنصب الامبراطوري قد تم له وانه ولي امبراطورا فوجد
ارا المنصب بعد وصول هذا الخبر اليه حصل له من الفرح والسرور ما يقوم
عادة عند كل شاب طماع اذا ظفر بما يترتب عليه تقوية شوكته وتعلي
منصب عظيم يعلو به فوق سائر ملوك عصره من ابناء جنسه وتعلق آماله
من وقتئذ بما ترتب الفخار والمعالي التي يعلق بكثرة مدة حكمه * ويعرفه
احواله في ذلك الوقت يقف الانسان على ازدياد اطماعه التي جعلت بارعة
بما تتشوق اليه النفوس وترغب في الاطلاع عليه

فقد حصلت بعد ذلك بقليل حادثة وان كانت غير مهمة الا انها تدل على ما قام
بنفسه من الانفة والشمم بسبب رفعته الى اوج المنصب الامبراطوري وتلك
الحادثة هي انه في جميع الوثائق والاوامر الصادرة عنه بوصف كونه ملكا على
اسبانيا كان يلقب نفسه بلفظ ماجسته اي صاحب العظمة والرفعة وما كان
يلقبونه بهذا اللقب الجليل حيث جعل علامة جديدة للتشريف والاحترام
وكان ملوك اوروبا الى ذلك الوقت يلقبون بلفظ ألتس اي علو الشان ولفظ
غراس فقط اي ولي النعم ولكن حيث ان الطبيعة البشرية تميل دائما الى ما فيه
شرفها وعلو مقامها اقتدى بذلك ملوك اوروبا بملوك اسبانيا ولقبوا
ملوكهم بلفظ ماجسته وصار هذا اللفظ من ذلك الوقت دالا على علو الشان
وزيادة القدر حتى ان اضعف ملوك الافرنج في عصرنا هذا صاروا يلقبون انفسهم
به وامراؤهم لم يمكنهم الا ان يصرح لهم بلفظ آخر اعظم منه واعلى شرفا يلقبونه
انفسهم حتى يمتازوا عن غيرهم

مطلب تألم الاسبانيين من هذه الحادثة

وكان من اللازم ان اهل اسبانيا يفرحون بارتقاء الملك كرلوس الى
الكرسي الامبراطوري ويسرون بذلك كسروره الا انهم كانوا يعلمون ان هذا
المنصب لا بد ان يخرجهم من حضور ملكهم عندهم واقامته ببلادهم ويجعلهم
تحت حكم نائب من نوابه ومثل هذا الحكم في الغالب لا يخلو عن الجور والظلم
فعمهم بسبب ذلك الحيف كانوا يعلمون ان هذه الحادثة لا بد ان تفضي بهم
الى بذل دماء ابنا وطنهم في حروب لا مصلحة لهم فيها وان كنوزهم وخزائنهم

ستنفد

سنه ١٥٢٩ م

سيعدق مصالح عزمهم وان عقولهم سيعرون في فتح سياسات ايطاليا و المانيا فجميع هذه الاسباب رأوا ان توليه ملكهم كرلوس على الامبراطوريه من الحوادث السيئه التي تصير لبلاد اسبانيا وذكروا ما كان عليه اسلافهم من الشجاعه وحب الوطن حيث سعوا في مشوره قسطليه الملك الفونس الحكيم عن الخروج من مملكته ليذهب الى المانيا وسوس تاج الامبراطوريه وظهر لهم ان ذلك احق ما يقتدى به في مثل هذه الحادثه

ومع ذلك لم يلتفت كرلوس الى ما حصل من عناد الاسبانوليين من الغم والحزن في هذا المعنى بل قبل التاج الامبراطوري الذي اتى به اليه العوسه البالاطينى المسمى فردريك في محفل عظيم من امرآء المانيا وقدمه اليه باسم الامرآء المنتخبين واظهر كرلوس انه يريد الارتحال الى بلاد المانيا ليأخذ منصبه الجديد لان ذلك كان من الضروري اللازم حسبما توجبه رسوم الجمعيه الرومانيه ومواسها الاعتياديه بان تجري احكامه واوامره في الامبراطوريه قبل ان يكلل تاجها على رؤوس الاشهاد في محفل عام

مطلب ازدياد عزم الاسبانوليين

فلما اشتهر بين الناس ان كرلوس عزم على الارتحال الى بلاد المانيا ازداد عزم الاسبانوليين وتسلط الحزن على قلوب اهل المملكه على اختلاف طبقاتهم حتى ان البابا ليون كان قد اعطى كرلوس عشر الايرادات السنويه التي تحصل من املاك قسطليه ليستعين به في حربه مع جيوش العثمانيه فاجتمع قسوس قسطليه للمذاكره في هذا الشان وابوا ان يعطوه ما اذن به البابا وادعوا ان هذا المبلغ لا يصح ان يطلب منهم الا ان كان يحتاج حقيقه على دفع النصرانيه من جيوش الاسلام فلما بلغ ذلك البابا ليون وكان لا يطيق مخالفة امره حكم على المملكه بالمنع وهو عزل القسوس عن وظائفهم ولكن لم يعبأ احد بهذا الحكم ولم يترتب عليه كبير فائده وجعله كافه الناس من قبيل الظلم حتى ان كرلوس نفسه طلب من البابا ان يبطله ورجع عنه وبهذه الحادثه حصل لطائفه القسوس العز

سنه ١٥١٩

حيث سألوا البابا في طلبه ولم يحصلوا بأمر كرلوس وعاد ذلك عليهم بالمنفعة حيث اعتقوا انفسهم من الغرامة التي اراد البابا ان يفرضها عليهم وقد حصل في اثناء ذلك بمملكة بلنسيه التابعه لمملكة اراغون فتنه اشد هولا من الفتنة السابقة حسبما ذكرناه انما اعظم منها خطرا وطالت مدتها اكثر من الاولى وكان مبدأوها ان راهبا من اصحاب القس صار يحث سكان مدينة بلنسيه التي هي تحت مملكة بلنسيه وحضهم على حمل السلاح ليمنعوا من بعض اناس جاوزوا الحدود واتبعوا سبيل التعسف والطغيان فلما حمل اهل تلك المدينة السلاح وتحمسوا في هذا الامر قام باعينهم انهم شوكة عظيمة وأسرعوا باحتقارهم على اسيادهم من كل من قصدهم بسوء وتعدى عليهم فعند ان فهموا من اراد الراهب السابق حثهم أبوا ان يتركوا السلاح ويعودوا الى الصلح كما كانوا بل تعاهدوا معا ورتبوا اصحابهم فرقا على نسق الفرق العسكرية واخذوا يمارسون التعليمات الحربيه ويواظبون عليها حتى كانهم جنود منتظمة وكان الغرض الاصلي لهم من تلك المعاهدة واقوى الاسباب الباعثة عليها هو اضطهاد اسيادهم من ظلم الاشراف والاكابر لان المرابا الارستوقراتيكية اي مزايا الاشراف كانت بمملكة بلنسيه اكثر واعظم مما كانت تعرفها من ممالك اسبانيا حتى ان الاشراف منها كانوا لا يعرفون ان ثم بداوة اذ بهم بسالمهم مما يصدر منهم ويحاسبهم عليه فكانوا لا يتعاملون من عدا طائفتهم من الاهالي معاملة الاتباع فقط بل كانوا يعاملونهم معاملة الارقاء والاسرى فلما دهمهم هذه الفتنه التي لم تكن تخطر ببالهم حصل لهم منها رعب شديد وفزع عظيم وخافوا ان تقوى شوكة الاهالي وتستمروا على خروجهم وعصيانهم حتى يعدوا انفسهم من حكومة الاشراف وينحلوا باسيهم فبدلوا جهدهم في اطفاء نارها وسلوك طريق السياسة والتدبير لما رأوا انه لا يمكنهم ذلك الا بواسطة السلاح استعانوا بالامبراطور كرلوس وطلبوا منه ان يأذن لهم بالهجوم على العاصين وكذلك الاهالي بعثوا الى الامبراطور المذكور وكلا يطلبونه بالمظالم التي كانت حاصلة لهم

مطلب
في الفتنه التي حصلت بمملكه بلنسيه في ذلك الوقت

مطلب
ارد ياد نيران الفتنه
سنه ١٥٢٠

سنة ١٥٢٠

من الاشراف وتضرعون اليه ان يدخلهم تحت كنفه وحمايته من تعدي الاهالي وصل رسلهم الى الديوان في وقت كان فيه كرلوس في حنق شديد على الاشراف عن انه لما كان يلزمه الارتحال الى بلاد المانيا وكان في قلق بسبب تأخيره عن هذا السفر وكان لخاصته الفلمنكيين رغبة عظيمة في رحلته ليصلوا الى وطنهم بالاموال التي جمعوها من مملكة قسطيلة لم يمكنه ان يذهب بنفسه الى مملكة بلنسية ليعقد مجلس ووكلاء المملكة فعين الكردينال ادريان ليكون عنه في تلك المشورة وامره بان يأخذ على الاهالي مبايعته على الطاعة وبالاستعداد وان يثبت لهم مزاياهم وحقوقهم في مجلس عام حسب العادة الجارية وان يطلب منهم مبلغا من النقود على سبيل التبرع كما طلبه من مملكتي قسطيلة واراغون ولكن رأى اشراف بلنسية ان ذلك من قبيل العار لبلادهم ومملكتهم حيث ان لها الحق كغيرها من ممالك اسبانيا في ان يشرف بحضور الملك لها وانه بحسب قوانين مملكتهم ورسومها لا يجوز لهم ان يبايعوا بالملوكية امرا لم يحضر عندهم ولا ان يعطوه امدادا يستعين به واستمروا مصممين على ذلك حتى لم يمكن بلوغ مطلوبه منهم باي وجه كان فغضب كرلوس من قبح سلوكهم واخذ بناصر الاهالي وامرهم ان يثبتوا على ما هم عليه من حمل السلاح على الاشراف فرجع رسل الاهالي فرحين مسرورين وبلغاهم ابناء بلادهم باحتفال عظيم حيث كانت نجاة الوطن على ايديهم وكثر الاهالي حينئذ وعتوا عتوا كبيرا وطغوا وبغوا حتى طردوا الاشراف من المدن وانتخبوا جملة من الصناع اقاموهم حكاما في بلادهم وعقدوا فيما بينهم معاهدة شهيرة سموها معاهدة الجرمانادا او معاهدة الاخا فصارت تلك المعاهدة فيما بعد اصلا لجميع الفتن التي وقعت بمملكة بلنسية بل ولجميع المصائب الكبيرة التي حلت بها .

وكانت مملكة قسطيلة حينئذ في اضطراب واختلال فلما شاع الخبر ان كرلوس قد عزم على الرحيل من اسبانيا احدث عنده مدن كبيرة تشكي من سفره وكتبت له ان يرجع عن ذلك وحذرت شكواها الى كافة

سنة ١٥٢٠

عن صبانه سابقاً في شأن ظلم اتباعه الفلمنكيين وجورهم فحاول كرلوس
الرسل الذين اتوا اليه من طرف تلك المدآئن ولم يأذن لهم بالدخول لديه
ليبلغوه ما هم مرسلون بصدده لكنه رأى انه يصعب بهذه الطرق اطفاء نيران
فتن هذه المدآئن الكثيرة فدعا ارباب مشورة وكلاء قشطيلة بمدينة غاليسية
في اقليم قومبوسطيله وكان غرضه من انعقاد تلك المشورة ان يطلب من
اربابها مبلغاً آخر ليستعين به على مصاريف سفره لان وزراء الفلمنكيين كانوا
باختلاسهم قد اضروا واعترا ثبه فلم يبق عنده ما يكفيه حتى يظهر في المانيا
بالمظهر اللائق بالمنصب الامبراطوري الذي هو مدعو اليه ولكن كان اقليم
قومبوسطيله بعيدا عن مملكة قشطيلة وكان الاجل المضروب لدفع
المبلغ الذي طلبه اولاً لم ينقض فكان هذان الامران وهما عقد المشورة بهذا
الاقليم البعيد وطلب الاعانة قبل انقضاء الاجل من اسوء الحوادث عاقبة
واشدها هولاً وخطراً حتى انه قد نشأ عنها فتن الامة الاسبانيولية
وغضبها حيث كانت ذات حرية زآئدة وكانت عادتها ان تصبر على ملوكها
فيما يطلبونه لا سيما مكتب القضاة لكرلوس يشكون من هذين الامرين
هذا وكان سكان مدينة والادوليد يأملون ان انعقاد المشورة يكون
عندهم فلما رأوا ان كرلوس يريد انعقادها بمدينة غاليسية غضبوا
واشهروا السلاح على الملك وجنديته وبلغ منهم الغضب مبلغاً حتى صاروا كالمجانين
فلو لم تحصل زوبعة عاصفة ساعدت كرلوس وجماعته على الفرار لقتل كل
من كان معه من الفلمنكيين ولعسر عليه هو الرحيل الى اقليم قومبوسطيله
فكان كرلوس كلما مر بمدينة يشكي اليه اهلها من تكوين
امر انعقاد المشورة في مدينة غاليسية الا انه كان قد صمم كل التصميم على عقد
المشورة بهذه المدينة فلم يلتفت لقول احد ممن يشكي اليه في ذلك وقد بذل وزراء
كرلوس ما في وسعهم من الشوكة والحيلة ليكون انتخاب ارباب المشورة من
اناس يساعدونهم على اغراضهم حتى لا يتوهوا في قبول مقاصدهم ومع
ذلك كان غضب جمهور الملة شديداً حتى انه عند افتتاح المذاكرة في المشورة

مطلب
افتتاح المذاكرة بالمشورة في اول يوم من شهر نيسان

ظهرت

سنه ١٥٢٠

فظهرت علامات الحزن والغم على وجوه كثير من رسل العمالات ووكلاء الملة حتى كان يخشى ان يناقضوا الملك كل المناقضة ويصدوا عليه وعلى وزرائه جميع مقاصدهم فاما مدينة طليطلة فتعاطت ما تقتضيه العادة الجارية عندهم من قديم الزمان وهى ان الوكلاء يتعينون بطريق القرعة فوقعت القرعة فى تلك المرة على رجلين غلب عليهما انهما احد ارسوة من الوزرا الفلمنكيين فلما نسب عليهما هذه الجناية لم يرض اهل طليطلة ان يبعثوهما فى تلك المشورة ويأمنوهما على مصالحهم وارسلوا بدلهما اناسا اوصوهما بان لا يصرا بحضرة انعقاد المشورة فى مدينة غاليسة واما رسل مدينة سلمنكة فأبدوا انهم لا يأخذون على انفسهم مسا هانا بالصدق والامانة الا اذا رضى كرلوس بانتخاب محل آخر لعقد المشورة غير اقليم غومبوستلة واما رسل مدينة بورو ومدينة مدريد وقرطبة وعدة مدائن اخرى فابوا كل الاباء ان يسلموا للملك فى الامداد الجديد الذى طلبه قائلين انه لم يسبق لهم مثل ذلك من ملوكهم بل هو امر مخالف لقوانين المملكة مع عدم الحاجة اليه الآن لكرلوس ووزرا الملك لم يدعوا اسا يمكن تأثيره فى الجمعيات الاهلية ويستعطفون ارباب الا فعلوه فاخذوا يستعطفون بعض الناس بالاموال وبعضهم بالمناصب والمواعيد وبعضهم بالتخويف والتهديد وكان الامير سوريه وغيره من الامرا الفلمنكيين لا يغفل عن مواساة طائفة الاشراف بالتملق والمداهنة وكان الاشراف فى غيظ وغيرة شديدة من استقلال الجمعيات البلدية الاهلية وجرأتها الحاملة لها على العصيان والخروج فانضم بعضهم الى حزب كرلوس وساعدوه بما كان يطلبه وبعضهم كف عن معارضته ومناقضته فى نيل مآربه وتبعيد اعراضه وبالجملة فمع تمسك الملة من هتك حرمة الرسوم القديمة المبنية عليها الحكومة انحط رأى الجمهور فى المشورة على اعطا كرلوس ما طلبه من الاموال على سبيل التبرع فاخذه الا ان ارباب المشورة عرضوا عليه ان يعينهم فى المظالم التى تشكت منها الملة سابقا ولكن الا انه لم يكن ما كان يأمله ضرب صفحا عن هذا الامر

مطلب ارتداد عزم اهل قسطيلة

لعلمه انه لا يستحضر بارادته عليهم ولم يحصل لهم شكوى في شأنه
وحيث لم يبق ثم ما يمنع الامبراطور كرلوس عن السفر لاظهار معاهدته الى
كان اضمرها الى هذا الوقت وهي انتخاب اناس يحكمون نيابة عنه في اسبانيا
ليقوموا بتدبير مصالحها مدة غيبته فجعل الكردينال ادريان نائبا على
مملكة قشتالة والامير حوالى دولانوي على مملكة اراغون
وولى الامير دييع ماندوزه قونته ملطو على بلنسية فصرح
القشتاليون بتولية الاجنبيين واما ادريان فمع انهم كانوا يحترمونه
ويطيعونه دون غيره من سائر الامراء الفلمنكيين لم يساعد توليته الا ازدياد
كراهيتهم لاهل الفلمنك وغيظهم منهم حتى ان الاشراف وان كانوا قد تحملوا
من المظالم ما هو اعظم من ذلك غضبوا كل الغضب ورأوا ان تولية هذا الرجل
مغايرة لهم ويكسبهم العار والخزي فادعوا ان هذا الانتخاب فاسد لمخالفته
لاصول المملكة وقوانينها وبذلوا جهدهم في ابطاله ولكن كان كرلوس على
غاية من الشوق الى الارتحال الى بلاد المانيا وكان بتمادي الفلمنكيين
في قلق عظيم من المكث في اسبانيا فلم يعتبر شكوى القشتاليين ولم يجب
عن ادنى وسيلة تعبر عن نهاية اضرارهم بان نيته كانت وقد اشتد احنه في الظهور
بمدينة طليطلة وترتب عليها ما يعقبه عواقب سيئة مشؤومة فركب البحر
من مدينة كورونيا في ٢٢ من شهر آيار وعجل بالرحلة الى المانيا
لياخذ تاج الملك مع انه بهذه العجلة عرض مملكته لاضاعة تاجه القديم الذي
هو اعظم فائدة من الجديد واشد مكانة

(المقالة التاسعة)

من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان

قد كان ثم عدة مقتضيات تدعو كرلوس الى الحضور ببلاد المانيا حتى
يعجل حضوره بها من ابتداء الاستيلا لروما وذلك ان الامراء المنتخبين كانوا
في قلق عظيم من طول غيبته لان الكرسي الامبراطوري كان خاليا عمن يقوم
بادارة الامبراطورية وزيادة على ذلك كانت دول كرلوس الوراثية في هرج

واضطرابات

سنة ١٥٢

مطلب
لما عزم كرلوس اسبانيا
ون عنه ويقومون
الخ ممالك اسبانيا مدة
غيبته

مطلب
ارتحال كرلوس الى البلاد
المانية

مطلب
قدوم حضور كرلوس ببلاد
المانيا

سنة ١٥٢١

واضطراب بسبب الفتن الداخلية التي كانت وقعت في جهاتها وازدياد
بارجاتها وكانت المذاهب الدينية الجديدة تتقدم كل يوم تقدما عظيما حتى كان
اطفاء شرار الفتن الناشئة عنها يستدعي زيادة الحزم والعزم ومع ذلك كله
كان ملتفتا لامر آخر جسيم وهو حالة سلوك ملك فرانسا فكان كرلوس رأى
نفسه عرضة للاخطار العظيمة ان لم يحترس بجميع ما في وسعه للمدافعة عن
نفسه من هذا الملك الشديد البأس والشوكة

مطلب
منشأ العداوة بين كرلوس وفرنسيس الاول وازديادها بالتدريج

ولما اخذ كرلوس وفرنسيس الاول يتنازعان في شأن التاج الامبراطوري
تعاهدا ان يتسامح بعضهما على المراعاة والاحترام بحيث لا يظهر من احدهما
لصاحبه ادنى شيء يدنس عرضهما او يزري بشأنهما فقد قال فرنسيس الاول
مع خلوص طويته كما هو عادته في معاهداته ما معناه نحن نسعى في تحصيل
غرض واحد فيلزم ان يبذل كل منا جميع وسعه في تحصيل هذا الغرض فاذا
ساعد احدنا الحظ ودعي الى هذا الامر وجب على الآخر ان يرضى بالمقدور
ويحفظ عهود الصلح وعلائق المحبة انتهى ولاشك ان مثل هذين الملكين الساميين
ذوي الهمم وشرف النفس المتولعين على حد سوا بنيل العلا والفلاح
لا يستغرب منهما البقاء على هذا المساق لكنهما ادركا فيما بعد انهما قد تعاهدا
على امر لا يمكنهما مراعاته وحفظه حسبما انه فوق طاقة البشر لان النفوس
البشرية لضعفها لا تستطيع ان تمكث على حفظ مبادئ الصلح اذا رأت ان عدوها
قد تغلب على غرض هو اقصى مناها فانه لما رجح جانب كرلوس عند اهالي
اوروبا ودعي الى الكرسي الامبراطوري غضب فرنسيس غضبا شديدا
وداخله من الحقد ما داوم عاد يتكل من طماعه خائب آمالها ومن ثم نشأت
العداوة التي لم تخمد نارها من قلوب هذين الملكين مدة حكمهما لا سيما وكانت
اغراضهما متعارضة وكانت اسباب الاختلال والفشل متراكمة بحيث
تكاد شرار الحروب لا تنطفي ابدا من بينهما فاما الاغراض التي كانت
متعارضة فهي ان كرلوس لم يعمل بما في البند الاصلي المسطر في مشارطة
نوايون السابق ذكرها (وحاصل هذا البند هو ان بلاد النبره من طلبه

سنة ١٥٢٠

مملكته من كرلوس ولم يمكنه جار الملك فرنسيس ان ينضم الى حزبه
ويدافع عنه على اى وجه كان) فلم يقبل كرلوس بهذا الشرط وابى ان ينصف
حناد البرطه الذى كان ملك نواره وطرد منها بدون حق لا سيما وكان من
مصالح فرنسيس وشعائر شرفه يدعوه الى اعادة حناد البرطه الى
كرسى نواره حيث سلب منه بطريق الاغتصاب والتعدى واما فرنسيس
فكان يطلب تاج نابلى لانه كان للملكة الفرنساوية فغلب عليه الملك
فردينند ظلما وعدوانا ممن كان ملكا على فرانسا قبل فرنسيس وضمه
الى مملكة اسبانيا وكان الامبراطور كرلوس يطلب دوقية ميلان
لانها من اراضى الامبراطورية فغلب عليها فرنسيس وصيرها فى حكمه بدون
ان يبرره عليها من يلزم اقراره وكان كرلوس ايضا يعد دوقية بورغونيا
من مخلفات ابائه واسلافه فغلب لويز الحادى عشر ملك فرانسا عليها
بغصب الاغتصاب هذا وكان فرنسيس قد جدد حينئذ عهود محبة اكيدة
مع دوق غو بلدروس وكان الدوق المذكور عدوا لكرلوس ولعشيرته
فأودع ذلك فى قلبه غيرة شديدة

المبحث
الاسباب التى حصلت
بحصول الحرب بين
فرنسيس وكرلوس

ولاشك ان مثل تلك الاسباب الساقة توجب الشقاق والحرب ولو بين ملكين
آخرين سالمين عن المعاداة والطمع وحيث كان هذان الملكان يعلمان ان الحرب
ربما تكون خطرا وعواقبه وخيمة وانه بعد نصب ميدانه لا يرجى لهما عود
الى الصلح ظهر على كل منهما انه فى حيرة كبيرة خوفا من العواقب الخطرة التى
ينشأ ضرورة من هذا الحرب فمكث كل منهما مدة وهو يتبصر فى عاقبة امره
ويحسبوا اما العسكريه ويتأمل فيها ويتروى فى نفسه ويسعى فى استمالة ملوك
اوروبا الآخرين ليعينوه فى مشروعاته

المبحث
ولايتهما مع البابا

وكان البابا ليون يخشى كلا من هذين الخصمين لانه كان يعلم ان من يغلب
منهما يستولى على بلاد ايطاليا ويتصرف فيها كيف شاء وكان احب
شئ اليه ان يسعى فى اضرام الحرب بينهما الا انه رأى ان بلاد اللمبردية الساده
تصير ميدان الحرب والازدحام ولولا ذلك لبذل جهده فى ايقاع الفشل والتخاصم

بينهما

سنة ١٥٢٥ بينهما حتى يتعدم قواهما في الحروب لكنه كان يرى ان ذلك يعود عليه بالضرر وانه بمجرد حصول الحرب بينهما تتضرر حدود فرانسا وحدود اسبانيا حتى يلاقي بدوقية ميلان فتصير تلك الدوقية ميدان القتال بين الحربين وحيث انها قريبة من بلاده وله مصلحة كبيرة في هذا الحرب ولا يمكنه ان يمكث خاليا اي لا يحصل لنفسه مدخلا فيه ويضم الى احد الحزبين اضطر بهذه الاسباب الى ان يسلك على حسب مقتضيات الاحوال اذ ذاك واخذ يتداول مع كل من الامبراطور كرلوس وملك فرانسا ويسلك طرق المتاهية والتملق ليستوجب مخبتهما بخادعته فترجاه كل منهما الرضا الكلي ان يكون ظهيره ونصيره فاظهر انه حلى الاغراض مع انه كان يضمر خبثه وبيته ولا يبدي ما في طي طويته واستعمل طرق الخداع والمكر الى ان اشار بها في عصره ارباب السياسة من اهل ايطاليا

مطلب تداولهما مع اهل السادقة وكانت مصالح اهل السادقة في هذا الحرب كصالح الباب فكانوا يحبون اتفاقا على ان لا تكون ايطاليا ميدان الحرب بين الفرنسيس وان لا يكون لجمهوريتهم مدخلية فيه ولكن مع مخادعة البابا ليون وما اظهره من التخلي عن الاغراض كان ثم علامات جلية واشارات واضحة تدل على انه ميل لحزب الامبراطور وذلك اما لانه كان يحسب اكرمه فرنسيس اولا لانه كان يعلم انه انفع له منه واما اهل السادقة فكان يظهر منهم انهم ان الجاهم الضرورة الى الدخول في احد هذين الحزبين لا يدخلون الا في حزب ملك فرانسا لاسباب عندهم مصاهية للاسباب التي تعتب البابا على الدخول في حزب الامبراطور كرلوس ولكن كان لا ينبغي ان ينتظر كثيرا اعانة من ملوك ايطاليا لانهم كانوا يغارون غيرة شديدة مما عداهم من ممالك الافرنج ولا يعدون ان يزيد شوكة مملكة منها عن الاخرى بل كان اعظم مقاصدهم السياسية المحافظة على اتمام المساواة والمعادلة بين شوكة هذه الممالك حتى كان لا يمكن لاحد ان يحولهم عن هذا الراي ويدخلهم في حربه لاعانته الا ان اظهر لهم المنافع الحسية والفوائد العظيمة

١٥٢٠

مطلب لاتفاقهما مع ملك انكلتره

مطلب ان عظم شوكة ملك انكلتره

مطلب وصف هنري واخلاقه

ولقد بذل كل من الامبراطور كرلوس وملك فرانسا غاية جهده في استمالة
ملك الانكلتر اليه وادخاله في حزبه لانهما كانا يعلمان ان هذا الملك بعد من
ينحاز معه اعانته دونه لا يؤمل من غيره وانه ليس كملوك ايطاليا يجعل
ذلك موقوفا على اختلاف سياسته وكان ملك الانكلتر وقتئذ هو هنري
الثامن وقد تولى على هذه المملكة سنة ١٥٠٩ وكان طالعه سعيدا حتى
كان يؤمل ان حكومته ستكون اسعد الحكومات واعظمها بهجة ورونقا وكان
جامعا بين حقوق عشيرة تودور الملوكية وعشيرة لنكستر وهذه
الحقوق كان يعارض بعضها بعضا فلما سعى في معاهدته كل من كرلوس وملك
فرانسا وادعيا له بالطاعة ازداد بهجة في اعين رعاياه وغيرهم حتى امكنه
ان يتصرف في ادارة مملكته كيف يشاء وصار يحكمها مع شوكة قوية وكلمة
مطلقة لم يتجاسر احد من ملوك قبله من الملوك على مثلها الا ويكون عرضة
للاهوال والاخطار بل وامكنه ايضا ان يجعل لنفسه مدخلية في مصالح
الممالك الاجنبية البرانية مع ان انكلتره مكثت قبله زمنا طويلا
تبذل جهدها في هذا الغرض ولم يمكنها لما كان فيها من الفتن والمنازعات
الداخلية وزيادة على ذلك كان هنري المذكور قد ورث عن اسلافه خزائن
واموالا لا تحصى فصار بها من اغنى ملوك الافرنج واعظمهم ثروة وذلك
ان الملك الذي كان على انكلتر قبله عرف بحسن ادارته وحزمه ان ينشر الوية
الامن في المملكة حيث اصلح الخلل والفساد الذي نشأ فيها عن الحروب المديدة
الداخلية غير ان هذا الامن لم يمكث مدة مستطيلة حتى تعود للمملكة الانكليزية
شوكتها وقوي عزمها فلما نشبت نفوس الانكليز من الفشل والشقاق الذي
كان بينهم ولحقهم الخزي والعار من كونهم مكثوا زمنا طويلا وهم يجعلون
وطنهم ميدانا لسفك دماء امثالهم جزعوا كل الجزع رغبة في اظهار
شهامتهم وشجاعتهم في حرب احد في اي مملكة اجنبية لكي يمحوا اذكار عار
آبائهم وما جرى لاسلافهم وكانت طبيعة هنري تلائم حال مملكته وميل رعاياه
فكان طماعا باشتهار امره وفخار وكان مغرما باتساعه وحبه في سائر

سنة [illegible]

انواع التعليمات العسكرية التي كانت في ذلك العصر الحسنة الاهم في تربية الامراء وبذلك صار من صغره ولوعا شغوفا بالحرب والقتال وكان مولعا كل الولع بالتصدي الى حروب اجنبية كي تشتهر او ان حكومته عادية عظيمة سيما كان كذلك اذ لا حيلة لتلك الفرصة العظيمة وكان هذا المتصدر في واقعة عنفوانه وفي محاصرة مدينة نيوارة ومدينة تورنيه فصار بتلك الفتوحات يرفل في حلل الفخر والسودد وان لم يترتب عليها كبير جدوى لبلاد انكلترة وبين عند ملوك الافرنج انه ذو شوكة عظيمة وبين كل من كرلوس وملك فرانسا انه سعيد من يساعده كل التطلع وزيادة على تلك الاسباب كانت هذه الآمال في كل امارة جديدة بسبب وضع دولته مخصوصا وكانت مدينة كالس من جملة بلاده فكان يسهل عليه بواسطتها ان يدخل في مملكة فرانسا ومملكة البلاد الواطئة فهذه الاسباب القوية كان مالكا لبلاد اوروبا وراعيا لجميع حرمها وكان لا يصلح غيره لان يكون حكما بين ملك فرانسا والامبراطور كرلوس وكان يعلم انه بهذه الاسباب السابقة يرجح على غيره ويعرف انه لاجل ابقاء المعادلة والمساواة بين ملوك الافرنج حتى لا يعتدي ملك على آخر يلزمه ان يحافظ على ابقاء تلك المعادلة بين كرلوس وملك فرانسا بحيث لا يظهر احدهما على الآخر لان من قويت شوكته منهما اضر بالآخر وخشي منه على بقية ممالك اوروبا غير انه لم يكن خاليا من الاغراض ولا مستكملا للسياسة والحزم اللازمين لتعمير هذا المشروع الجسيم بل كان صاحب اغراض يميل الانقياد الى شهوات نفسه من حب الاحاطة الداعي لاطماعه وكان يميل الى المباهاة والتفاخر ومن كانت هذه صفته لا يمكنه ان يدبر مثل هذا الامر السياسي الجسيم ولا ان يتبعه بدون فتور حتى يتمه ويقضي امره في كل وسيلة اخترعها مدة الحرب بين كرلوس وفرنسيس هل أن راعى المصلحة العامة او مصلحة نفسه بل كانت جميع تلك الوسائل يبعثه عليها هواه النفسانية التي طمست على بصيرته فعمي عن ادراك مصالحه الحقيقية وهذا هو الذي منعه عن ان يكون له صولة عظيمة ومدخلية كبيرة

في مصالح اوروبا فلم يجن ثمرة تلك الفرصة الجليلة التي كان يسهل عليه اقتناؤها بموجب مقتضيات الاحوال اذ ذاك ولو لاحت هذه الفرصة لملك آخر اكثر منه سياسة وتحيلا ولو كان ادنى منه صرامة وعقلا لاغتنم منها فوائد جليلة ومنافع جزيلة

سنه ١٥٢

ومع ذلك فلا ينبغي ان نقول ان مشارب فريدريك وغروره الدائمة هي التي اوقعته في سبل الغي التي سلكها في ادارته وتدبيره بل نقول ان الذي اوقعه في اغلبها هو خساسة وزيره ونديمه الكردينال ولسي لانه كان شريرا طماعا كثير الاغراض دنيء السلوك خبيث الطوية وكان من اراذل الناس فرقي من حضيض الرعاع الى اوج الامارة وصارت له صولة وشوكة لم يصل اليها قبله احد من الرعايا وكان له موقع عظيم في قلب فريدريك وان كان اشد الملوك غرورا وتكبرا ولما كان هذا الوزير له معارف غزيرة في كل مادة امكنه ان يجمع بين امرين متناقضين وهما الوقار والمنادمة وكان ذا عقل ثاقب وفهم صائب لا يكل من المداومة والمواظبة على الشغل وكان يعرف ظاهر الدولة وباطنها حق المعرفة ويعرف اغراض الممالك الاجنبية ومقاصدها فامكنه ان يوفق على ما ينبغي بما يخص تصرفه المطلق وكان ذا ادب في احواله واطواره ظريف المنطق يدع العمل بميل النفوس الى مسامرته وحكاياته ويسارع الى سماع عباراته بحب السرور والتجمل له براعة عظيمة في العلوم الادبية التي كان فريدريك مشغوفا بها وبهذا كله استولى على قلب فريدريك المذكور حتى صار نديمه ووثق به كل الوثوق ويعتمد عليه في كل امر جل او قل وصارت شوكته تقرب من الشوكة الملوكية الا انه كان لا يستعمل تلك الشوكة في جميع الملك الا استكبارا به او حبا لكسب ملكة التعظيم والجاه وكان طماعا مبذرا فاقتضت نفسه حظا من الاموال والغنى ولم يكتف بما حصله منها بل كانت آماله متعلقة بتحصيل امور جديدة تزداد بها عظمته وعلو شأنه ولما رأى انه صار ذا شوكة كبيرة وموقع عظيم في قلب الملك فريدريك وان كان لا يستطيع ان يصغي الى مشورة غيره في شيء احد سلك مسلك الكبر والعتو الذي

ملخص
ان طباع وزيره الاول والكردينال ولسي

يغير

سنة [illegible]

بغرمية النفوس ولم يلتفت الى غير اغراضه وهواه الفاسدة حتى اضطر
كل من اراد استمالته او استمالة المملكة هنري ان يتملق له ويداهنه ويوهمه بما
يرضي منه الحشمة الطماعة

مطلب
مداولة الملك فرنسيس مع الوزير ولسي

وفي ذلك الوقت كان جميع ملوك الافرنج يحرصون على استمالة هنري
اليهم فسلكوا جميعا مع وزيره ولسي سبيل التملق والمداهنة وارتكبوا
من الدنايا ما يزري بمقام الملوك فلم يبق احد منهم الا واتحفه بهدايا نفيسة
او وعده بامور جسيمة ليستعطفه ويستميل منه الطماعة الكبيرة الشرهة
وفي سنة ١٥١٨ اختار الملك فرنسيس الامير بونيفيه وجعله
سفيرا بانكلترا وكان من احذق ارباب دولته واشهر ندمائه واكثرهم نشاطا
وامره بان يبذل غاية جهده في استعطاف ولسي واستمالته الى حزب
فرانسا واظهر فرنسيس محبته الى ولسي المذكور بما يدل على
التبجيل والاحترام وصار يثق به ويعتمد عليه في كل شيء فكان يشاوره في اهم
المصالح ويعمل ما يأمره به ويمتثل نصيحته بدون توقف وجعل له مرتبا عظيما
فاحبه ولسي وظهر منه ما يدل على ذلك حتى انه الح على الملك هنري
برد مدينة تورني الى ملك فرانسا وحسن له ان يزوج بنته ماريه لابن
فرنسيس وان يحسب هذا الملك مما كان يطلبه منه وهو ملايينه والاحتياج عليه
ومن ذلك الوقت تجددت روابط اكيدة بين دولتي مملكة انكلترا ومملكة
فرانسا وكان فرنسيس يعتقد ان استمالة الوزير ولسي اليه
واستعطافه اياه من اهم الاشياء واكثرها نفعا فلم يزل يحافظ على ابقاء
المحبة بينهما ويظهر له غاية ما يمكن من الاحترام والاكرام فكان لا يخاطبه
في مراسلاته الا بقوله الى والدنا او وصينا او ولينا ومربينا واما كرلوس فمع تمام

مطلب
مودة الامبراطور كرلوس للوزير ولسي

سعيه غير غفل عن تجديد مبادي هذه المحبة لكنه كان له قرابة قريبة بهنري
ملك انكلترا فرأى انه احق بمحبته من الغير فعندما اخذ تاج مملكة
قسطلة جعل يسعى في استعطاف ولسي واستماله اليه ورتب له [illegible]
ثلاثة آلاف من الفرنكات (الفرنك اربعة غروش) واول ما اهتم به كرلوس هو

سنة ١٥٢

الغضب مما ضيع به مصالحه ملك انكلتره مع ملك فرانسا لانه كان يخشى
عاقبتها حيث ان ملك انكلتره وملك فرانسا كانا شابين في لطائف
ابهتها عند مقابلتهما فيقع بينهما المحبة الاكيدة والمودة المتينة لاسيما وكانت
طباعهما تقتضي ذلك فيأخذ كل منهما بقلب صاحبه ولكن لم يمكن لكرلوس
ان يمنع هذه المقابلة وبعد ان اعدت جميع الاشياء ومواد الاحتفال اللازمة
لمقابلة هنري و فرنسيس واحترس كل من ديوان فرانسا الملوكي
وديوان انكلتره كل الاحتراس حتى لا يخشى على هذين الملكين من ملك
المقابلة وعن زمانها ومكانها ولم يكن ذلك الا بعد مدة مضبوطة له بسبب تحصيل
لوازم الاحتفال واتخاذ وسائل الاحتراس المتقدم ذكرها ارسلت البرد والسعاة
الى سائر الدواوين الملوكية ليدعوا منها الامراء المشهورين بميدان السباق
والعاب التورنواس والمرماح التي يحصل بين هنري و فرنسيس
وامرائهما الشوالرية اى الفرسان وكان لكل من هنري و فرنسيس
محبة كبيرة في مثل هذه المحافل فكان يعجب كل منهما من السرور بهذا المحفل
العجيب البهيج وعن البسط والفخار الذي يحصل لهما منه لاسيما وكانا يعلمان
انهما سيظهران منه عظم الابهة والرونق فيصير لهما موقع عظيم في قلوب
الناس وكان للكردينال ولسي كذلك رغبة تامة في اظهار همته بحضرة
ارباب ديواني هنري و فرنسيس ليرى الملة الانكليزية والملة الفرنساوية
صولته العظيمة عند هنري و فرنسيس فلما رأى كرلوس انه لا يمكنه
منع مقابلة هذين الملكين اهتم بان يجعلها غير مجدية بحيث لا يخشى عاقبتها
ولا ينتج لفرنسيس غرض منها ولما رأى ذلك بادر الى ملاقاة هنري قبل ذهابه
الى فرانسا لملاقاة الملك فرنسيس ولاجل ان يستميل الملك هنري
ووزيره ولسي اظهر من الادب وسعة الحلم والمداهنة اكثر مما فعله ملك
فرانسا وذلك انه لما سافر من مينا قورون كما تقدم قصد انكلترة ورسا
على مدينة دورس ولم يخش على نفسه من شيء اعتمادا على كرم الملك هنري
السامي ومروءته فتعجب الملة الانكليزية من مجيء كرلوس الى انكلترة

ذهاب كرلوس الى انكلتره

على

سنة ١٥٢٠

على حسن عمله ولكن كان الوزير ولسي عظم سبب محبته وجميع مساعدته وذلك انه حصل من مثل مدة كرة في هذا الشأن من هذا الوزير بروارة عديوان اسبانيا الملوكى فاحطط الرأى على ان كرلوس يتوجه الى انكلتره لتزور ملكها هنرى وكان كرلوس اذا كانت ولسي اوساطة ينول الحب الاعتبار واضاف الى المبلغ الذي كان رتبه اولا سبعة آلاف من الدوكات (نوع من النقود) وحين رسا كرلوس على دورس المتقدمة كان الملك هنرى عند سفره كنتو بري قاصدا الذهاب الى مملكة فرانسا لمقابلة ملكها كرلوس اسرع بارسال وزيره ولسي اليه في مدينة دورس وسر بهذا الخبر سرورا عظيما وتلقى كرلوس مع غاية السرور والاكرام والتبجيل والاحترام وكان الزمن عن براعة كرلوس لم يمكث بانكلتره الا اربعة ايام لكنه في هذه المدة القليلة عرف بشاهدته وحزمه كيف يستميل الملك انكلتره ويرغب الوزير ولسي حتى احذ بعقله وقلبه من جزب فرانسا وجعله في جزبه وذلك ان هذا الوزير لم يكن مكتفيا بالمقام والثروة والصولة والكلمة النافذة التي كانت له بل كان دائما يبحث عن منصب الپاپا الذي هو اعظم المناصب الدينية وحيث كان فرنسيس يعلم رغبته في ذلك رأى ان وعده اياه باعانته على تحصيل هذا المنصب هو اقوى واسطة في استمالته اليه فوعده بانه عند خلو كرسي الپاپا يبذل غاية جهده في اجلاسه عليه وكان الامبراطور كرلوس اعظم من فرنسيس صولة واشد كلمة في هذا الشأن حين وعد ولسي بانه يصرف جميع جهده الى تحصيل منصب الپاپا فرح ولسي كل الفرح وعدل عن العصبية لفرنسيس واخذ يبذل غاية جهده في تدبير مصالح كرلوس مع ان ما وعده به الامبراطور كرلوس كان بعيد الحصول جدا لان الپاپا ليون العاشر كان جديدا في عنفوان شبابه ولكن لم يتعهد بمشارطة في ذلك الوقت بين هنرى و كرلوس وانما وعده هنرى بانه بعد مقابلته لملك فرانسا يذهب اليه في البلاد الواطئة ويزوره في نظير زيارته له

مطلب
استمالة كرلوس للملك هنرى ووزيره ولسي

سنة ١٥٢٠

مطلب
مقابلة هنري لفرنسيس وذلك في ٧ من حزيران سنة ١٥٢

ثم ان مقابلة هنري مع ملك فرانسا كانت في سهل منبسط بين مدينة غينة ومدينة أردرس وبهذا السهل اظهر كل من الملكين واتباعهما أبهة وزينة عظيمة حتى سمي هذا السهل معسكر الجوخ المذهب لما كان به من مزيد من الخلع المرصعة والحلل المزركشة ومكث الملكان مع بعضهما ثمانية عشر يوما وفي تلك المدة كان الامراء أرباب ديوان فرانسا ودولة انكلتره يبدون ما يدهش العقل من ألعاب الفرسان والمحافل الطربية وغيرها من الملاعب البهية التي كانت عبارة عن عادات ذلك الزمن وسلك فرنسيس مع هنري في تلك المدة مسلك الادب وعامله المعاملة التي تستعطف القلوب فأثر ذلك في هنري ومال الى فرنسيس الا ان الوزير ولسي اذهب بخداعه ما كان قد رسخ في قلبه من المحبة لفرنسيس وصحبه ايضا في مقابلة مع الامبراطور كرلوس بمدينة غرافلينوس ثم ان كرلوس لم يقابله مع الرونق والبهجة التي تلقاه بها فرنسيس قريبا من مدينة [illegible] لكنه اعتنى بمصالحه السياسية اكثر من فرنسيس ووفقه في النجاح

في ١٩ من شهر تموز

مطلب
ما قام بنفس هنري من عظم شوكته

ولما رأى هنري ان كلا من كرلوس و فرنسيس كان يجتهد في استمالته والتودد اليه وهما اعظم ملوك الافرنج ظن ان ذلك منهما اعتراف له بانه ميزان التعادل بين الممالك الافرنجية ولم يزل هذا الظن يقوى في نفسه حتى كان دائما يلهج بقوله من ساعدته انا فاز بالنجاح وظفر بالمقصود ويحكى من نتيجة هذا الظن حين عرض عليه كرلوس ان يكون حكما بينه وبين فرنسيس في جميع الامور وأي شيء يدل على صفاء باطن كرلوس وخلوص طويته اكثر من كونه يختص هو بنفسه ولخصمه على حد سواء حكما بينهما ولكن كان قد اخذ بعقل الوزير ولسي فانحيازه لهنري حكما بينه وبين خصمه كان في الواقع اعظم الاشياء مخادعة واسوأها عاقبة لملك فرانسا كما علم ذلك مما حصل فيما بعد

مطلب
تتويج كرلوس بالتاج الامبراطوري

ومع ان كرلوس كان يحب البلاد الواطية لانها اصل عرشه ومسقط رأسه لم يمكث بها في تلك المرة مدة مستطيلة بل بعد ان اقام بها وطنه وفعلوا معه ما يليق بمقامه من الاكرام والتبجيل والاحترام سافر منها الى مدينة

١ كسيلا

انكلترا تسلمت منهما تاج الامبراطورية لانه توجت قرمان الذهب كان هذه المدينة على نوع الامبراطورة فالبس كرلوس تلك المدينة تاج الامبراطور شرلمانيا بحضرة جمعية كبيرة لم تسمع مثلها وتمن من ذلك الوقت شرلكان اى كرلوس الخامس وكان نوعه مع الروتق والبهجة التى تعجب بها اهل المانيا فى محفل العموم به لاسيما محافل الامبراطوره

سنة ١٥٢٠ في ٢٣ من شهر تشرين الاول

وبعد تولية الامبراطور شرلكان بقليل تولى على الدولة العثمانية خصم صعب وخطر عليه وهو السلطان سليمان الفاتح الذى فاق سلاطين الدولة العثمانية فى الخصال الحميدة الجليلة والمشروعات العظيمة وفاقهم ايضا فى الفتح والظفر باعدائه وكتب ذلك العصر حرا ان وحده اعظم الملوك الذين ظهروا الى ذلك الوقت ببلاد اوروبا ثم كان السلطان سليمان والبابا لئون العاشر والامبراطور شرلكان والملك فرنسيس الاول والملك هنرى الثامن قد ظهروا فى اعصر متقاربة لكانت معارف كل واحد منهم تكفى فى فخار العصر الذى ظهر فيه فما بالك وقد ظهروا كلهم كالكواكب الساطعة فى القرن السادس عشر فكان لهذا القرن من الرونق والبهجة ما لم تسمع اخبره من القرون لم يحصل حرب بين فريقين منهم الا ونادرا الى مدة سوى عظيمة ومعارف حسنة فكانت ادنياء رصيف قواهم وقرائحهم راجحا على حد سواء فلا تفوق فرقة احدهم ولا قواه العسكرية فرقة الآخر ولا قواه ونشأ عن ذلك حوادث حسنة ووقائع عظيمة تثير الرغبة وتشوق النفوس الى الاطلاع على تاريخ هذا العصر ونشأ عنه ايضا منع ارديادقوة احد هؤلاء الملوك على غير وذلك من اهم الاشياء لانه لو زادت شوكة احدهم على الآخر ربما انصرف ذلك بحرية اوروبا ثم ترتب عليه تغير وسوء حظ العالم

مطلب تولية السلطان سليمان الفاتح على كرسى الدولة العثمانية

واول شئ افتتح به الامبراطور شرلكان تدبيره فى امبراطورية المانيا فى انه امر بعقد مشورة الديت اى مجلس العموم بمدينة وورمس

مطلب انعقاد مشورة الديت فى مدينة وورمس

١٥٢

في ٦ من شهر كانون الثاني سنة ١٥٢١ وكتب في مراسلاته الى امراء المانيا
ان الغرض من عقد هذه المشورة المذاكرة في معرفة الوسائل التي بها يكون منع
هذه الآراء الدينية الجديدة حيث انها خطر يخشى منها على بلاد المانيا
واضرام نيران الفتن منها ويخشى منها نسخ دين آبائهم واسلافهم

وكان شرلكان يعني بتلك المذاهب الدينية التي نشرها المبتدع لوثير
واصحابه منذ (سنة ١٥١٧) فان هذه المذاهب كانت سببا فيما لحق دين
النصرانية من النسخ واعتقد بعض اوروبا من امر البابا وحكمه
واضعف هذا الحكم في البعض الآخر حتى صار لا ثبات له وترتب على ذلك
انقلابات وتغيرات كانت اكثرها للنوع البشري واكبر من سائر التغيرات
التي حدثت منذ ظهور دين النصرانية فادى سعي مريد الالتفات الى معرفة
الحوادث التي كانت سببا في ظهور هذه المذاهب الدينية الجديدة ومعرفة
الاسباب التي ساعدتها على سرعة التقدم وحصولها فنقول

فمن تحقق المورخين ممن تخلى بحميته عن ارتكاب الخرافات واتباع
سبل البدع والبرهان على ان نجاح لوثير في مشروعاته اثر باهر مخصص
بمقدرات الهية واحكام ربانية كيف لا وقد نسخ دينا قد قام متمكنا من قلوب
الناس منذ قرون خالية واعتبر رياسته مؤيدا باهل الشوكة والسطوة
وله من يدافع عنه ويذب عن شعائره مع الغطرسة والحزم بدين جديد تحار بعزه
وعنايته وبحر هذا المشروع الجسيم الصعب من غير ان يكون له شوكة قوية حتى
يحمل الناس ويكرههم على قبوله فان الله عز وجل اذا تعلقت ارادته بشيء
ولو بعد ان كان الناس من المستصلات دبر امره بتسهيل الطرق وقضى بتحريره
وقد استدل الناس على نصر الله عز وجل لدين النصرانية في عهد عيسى عليه
السلام بآيات باهرة ومعجزات ظاهرة اثبتت ان هذا الدين حق صحيح لا ريب
فيه وبنا على ذلك لو فرض ان من نسخ دين النصرانية فاستنطق من المذاهب
الدينية ليس ملهما او مساعدا منه من رحماني او اودع سر الهي اخرجه
عن طور البشر من بعض الوجوه نقول ان من العجب الذي يعد من خوارق

لما ما وقع في دين النصرانية من النسخ

العادات

سنه ١٥٢٠

العبادات كون الدهر عصيانه فتساعد هولا المتطهرين المشرعين حسب مهد العقول الى قبول مذاهبهم فظفروا بمرامهم مع ضعف شوكتهم وبسالتهم وانتصروا على اعدائهم مع انهم كانوا اصحاب شوكة وسطو ونشروا اعلام مذاهبهم رغما عن انف اخصامهم فهذا دل على ان القدير جل جلاله كما انه هو الذي شرع دين النصرانية اقتضت حكمته ايضا ان يخرج عنه دين جديد وينقل من حالة الضعف والخمول التي كان عليها في مبدء امره الى اقصى درجات القوة والظهور

مطلب
ضعف اسباب الدين الجديد في مبدء امره

وان هذه الحادثة العظيمة (اى تغيير الدين) كانت في مبدء امرها واهية ضعيفة ولم يكن يحسب الظاهر الامر مثل الصدفة والاتفاق وذلك ان البابا ليون العاشر حين جلس على كرسي الكنيسة الرومانية لم يجد بيت ماله ايراداتها الا انها كانت قد نفدت في المشروعات الكبيرة التي تعلقت بها آمال البابا اسكندر السادس والبابا جاليوس الثاني الذين كانا قبله على كرسي الكنيسة وكان هو سخيا كريما ناظرا في علاقة ان تسلك مسالك التوفير والتقتير مع انه كان لا بد منه في اعادة خزائن الكنيسة الى ما كانت عليه وكان مصاريفه كل يوم في ازدياد لانه كان يدير امرها بالبذخ ويحب المباهاة والاسراف في امور معيشته ويعطي لارباب العلم والمعارف والصنائع والعوارف العطايا الجزيلة ويصلهم بالصلات الجليلة فلما راى ان ايراد الكنيسة لا تكفي في ذلك اخذ يبحث عما يكون به ازدياد تلك الايرادات من الوسائط والوسائل واستعمل في ذلك ما يمكن اختراعه لفرائض النفوس التي لا انتهاء في هذا المعنى فكان من جملة تلك الوسائط ان اخترع هذا البابا طريقة بيع الغفران

مطلب
بيع الغفران الذي جدده البابا ليون العاشر

وتكثير التسامح (يعني ان من اقترف ذنبا يغفره له البابا ويدفع له مبلغا معلوما فيتجاوز عنه ويغفر ذنبه) وذلك انه مبني على حسب الدين الروماني بقال ان ما عمله القديسون البررة من الاعمال الصالحة وخدمته ما يزيد على ما لا بد منه في نجاتهم وسلامتهم ويضم الى حسنات سيدنا عيسى عليه السلام ودعواته الصالحة لجنس البشري ويودع في كنز لا ينفد منه مراح ولا نفاد ولو استعار منه

١٥٢ سه

جميع العباد واعظ سمعالند هذا الكبر لمارى بطرس خليفة المسيح عليه السلام ثم وارثيها عنه الباباوات فيعمونه من شاؤوا فانا اعطى احد الغفارى البابا الذى هو خليفة عيسى عليه السلام مقدارا من الاموال وسمع له البابا بطرد الى شى من هذه البركات غفرت خطاياه وذنوبه وكذلك اذا احب احد روح ميت من العذاب ودفع المبلغ فى نظير ذلك فان روح الميت تطهر من ذنوبها وتخلص من العذاب واول ما ظهر هذا الغفران فى القرن الحادى عشر وكان على يد البابا اوربان الثانى حيث كان يجعله جزاء لمن يحمل السلاح ويسير الى فتح ارض القدس واخذها من ايدى الاسلام ثم صار هذا الغفران يعطى لمن يحضر رحلا مقاتلا فى تلك الغزوات ثم توسع فيه حتى صار يعطى لمن يدفع مبلغا من الدراهم يستعان به على تعمير بعض امور دينية امر بها الباباوات ولما حكم البابا ليون العاشر عمم هذا الغفران وجعله لكل من بذل شيأ من الدراهم لاجل بناء كنيسة مارى بطرس فى مدينة رومة ولما بذل ليون العاشر جهده بعد ليون فى تتميم هذه الكنيسة الفاخرة الكبيرة المصاريف جعل يداعل سلمه فى بيع الغفران ثم ان البرطة مصحف مقاسة ومطران مكدبورغ هو الذى اعطاه اذاعة هذا الغفران وجعل له فى نظير ذلك نصيبا من ثمن تلك البضاعة ووكل البرطة المذكور راهبا من رهبان الاحد بقال له تتزل باذاعة هذا الغفران فى بلاد سكس وكان هذا الراهب شرس الاخلاق الا انه كان حسن القريحة فسار ان البضاعة التى لم ير الباباوات العامة راعى مصاب الاحوال وزاد على ذلك اعانه رهبان طائفته ورجال مدة الوطنية على ما بين ونجح فيها غاية النجاح لكنه سلك سبيل السفاهة والوقاحة فكان هو ورهبان طائفته يبالغون فى مدح الاسرار والبركات التى اودعها الله فى غفران الكنيسة وكانوا يبيعونها بثمن حتى رغب تجارهم من الاخلاط الذين يعتمدون ما يلقون ويحرمون بكل ما يسمعون ويتجاوز هؤلاء الرهبان حدود الحياء والادب فى مخاطباتهم وسلوك وامثال تعرفها الملوك ويتحرفها

سنة ١٥١٧

النفوس حتى اعصوا الناس ودنسوا حرمة النفوس واشد عصب الملوك والامراء والاسراف حب رأوا ذهب اتباعهم ذاهبا الى كثر المالك لنون العاسر لنصرته مع الاسراف والتبذير وكان القديسون من النصارى ساعون على ضلال العامة ويرون لمالهم حب كانت تعول على هذا الغفران وتهمل في شعائر الدين وعلم العبادة وتعدل عن الفضائل التي تحث عليها دين النصرانيه حتى انتهى الحال ان صار اجهل الناس واعماهم بصيرة يتأذى من فجع ملوك روما واصحابه حيث انهم كانوا يصعون في اللعب واللهو والسكر والمعاصي الموجبة للعار والفضيحة جمع الاموال التي كانت ترد لهم من التجارة في الغفران مع العامه التي تعتقد انها الباطلة واوهامها العاطلة لا تحصل بدل ما تكون به في السعادة الابديه والخسران السرمدية وبالجملة فصار جميع الناس بعد ذلك يتمنون ابطال هذه التجارة المضرة بالجمعية والدين

مطلب
في الكلام على لوتير وصفاته

ثم ان المسمى مارطين لوتير رأى انه لا يجد فرصة اعظم من هذه لتعمير ما زينه وانه لا يمكن ان تصير عقول الناس وطبائعهم مستعدة لسماع مقالته اكثر مما كانت عليه ونشد واحد بتحذيرهم في شأن فساد هذا الغفران ويبرهن لهم على انه باطل لا اصل له وبين فجع سلوك من كانوا يسعون به وفساد عقائدهم ويعيبهم ويسبهم وكان لوتير المذكور قد ولد في مدينة اسلابان بمملكة سكس وكان اهله من ذوي الفاقة والفقر ومع ذلك ربي تربية حسنة وتمكن من العلوم وفي ابتداء تعلمه اظهر امورا عديدة تدل على انه من ذوي النهى والقرائح النادرة وكان منتبها بالطبع الى كل امر صعب يقصر دونه همم الرجال ورغب في المنصب الديني الذي يزهد به المرء في الدنيا وزخارفها ويحب العزلة والخمول والتورع فاعتكف في دير من اديار الطائفة او الرتبة الاوغسطينية (هي رتبة من القسوس متمسكة بمذهب القديس اغسطين يرى ان ارواح القديسين لا تصعد الى السماء الا بعد يوم الحساب حتى تعلم ما لها وما عليها) وبذل اقصى طاقته وجهدهم في نحو طلب هذا المقصد ولم يمكنهم منعه عنه حيث كان يميل اليه بالطبع فدخل الدير المذكور ولبس حلة القسيس ولم يمض مدة قليلة الا واكتسب

سنة ١٥٠٢

منه شهرة عظيمة بالتقوى والتحصيل والاجتهاد العجيب بحيث كانت همته
لا تفتر الا بواحد من مدرسي عظام الفلسفة السكولاستيكية وعلم اللاهوت
السكولاستيكي (راجع سكولاستيكي في الاتحاف) وكان كل من هذين العلمين
اذ ذاك كثير الاحتراز في حججه واسع المرتبة وعزيز العمل فيدهشه التشاغب
ومبهمه الصعاب امكنه ان يدرك ما يراد فاتقنهما ووقف على مكنون حقائقهما
ولكن لما كان ذوقه سليما وذهنه حادا مستقيما تمكن من هذه المعارف ورأى
انها مخدعة الجدوى وعرف انها من الامور الفرضية التي لا طائل تحتها
فعدل عنها بالكلية وسمت همته واخذ يبحث في الكتاب المقدس عما هو
اقوى وأوكد منهما في الاصول الدينية والعلمية فوجد نسخة من كتاب العهد
القديم والجديد كانت مهملة في كتبخانة الدير الذي كان به فاخذها وبذل جهده
في مطالعتها وتفرغ لها بالكلية واستمر على ذلك مع الرغبة الزائدة حتى انه بعد
مدة قليلة تعجب منه سائر اقرانه حيث كانوا لم يتعودوا على اقتباس شيء في علم
اللاهوت من الكتاب المقدس وحصل له تقدم عظيم في هذا الامر الجديد
وازداد صيته وشهرته في المعارف والعبادة حتى ان الامير فريدريك صاحب
سكس لما انشأ مدرسة في مدينة وتنبرغ التي هي كانت دار اقامته
اختاره من بين اقرانه وادخله بتلك المدرسة ليعلم بها اولا الفلسفة ثم علم
اللاهوت فوفى لوتر بما ادعي اليه على وجه عجيب حتى كان يعتبر انه زينة
المدرسة وبهجتها

وكان لوتر ذا كلمة نافذة وشهرة عظيمة حين اخذ الراهب تتزل في اذاعة
الغفران بالبلاد التي حول مدينة وتنبرغ وهو يعزو اليه خصوصيات
وفضائل بدعية خيالية تقارب بأن يراها ذو بال عقول الناس بغربات البلاد
وصار لها في قلوبهم موقع عظيم ولما كان اهل اقليم سكس ليسوا اكثر
معارف من غيرهم من اهالي الاقاليم الالمانية حصل لهذا الراهب
عندهم في هذا الامر نجاح عظيم حيث وجد فيه ابا سالمة كما وجد في غير
وكان لوتر يتأذى ويتألم غاية الالم من رؤية من كانوا يبيعون الغفران

مطلب
تصدي لوتر لمنع بيع
الغفران

وبهابهم

سنة ٢٥٢

وبهتانهم وبخوف من كانوا يشترونه وسخافة عقولهم وكان بيع الغفران مبنيا على مذهب الشهير توماس داكين وغيره من العلماء السكولاستيكية وكان لوثير لا يثق بآراء هؤلاء العلماء ولا يعوّل على مذاهبهم لكونه قرأ الكتاب المقدس واجتهد ليلا في حفظ علم اللاهوت فلم يجد فيه شاهدا يعضد بيع الغفران الذي هو من البدع المضر المخلة بالمروءة والديانة وكان شديد الحمية فلم يمكنه ان يخفي رايه ويكتم ما في ضميره وقد رأى اهل بلاده متوغلين في اودية الغفلة ضالين في عرصات الريع والتي تصعد على ... الكنيسة الكبرى بمدينة وتنبرغ وصار ينقد ويبالغ في تنديد من كانوا يبيعون الغفران ويؤدبهم بلسان حاد ويأتي ببراهين قاطعة جلية تقضي بان هذه العادة من البدع الفاسدة والاوهام الكاسدة وافهم الاهالي انه يجب عليهم الاعتماد في نجاتهم على غير ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه المقدس * وحيث ان النفس تتشوف لكل امر جديد وترغب فيه غاية الرغبة صارت آراء لوثير مطمح انظار الناس كافة لا سيما وكان له شهرة عظيمة من قبل وحين صعد المنبر كان كانه من عكاظ او سحبان وائل فاخذ يشنع على ضلال من كانوا يبيعون الغفران ويشترونه ويفند هذا المذهب وينذر الناس بانهم لا يسوغ لهم غاية ان يعتمدوا في نجاتهم على غير ما هو منصوص في كتاب رب العالمين فسحر الالباب بفصاحته واستولى على القلوب ببلاغته فلما رأى ان العامة قد جنحت الى مذهبه واجتذب بذلك اسرار مآربه يستنهضه ويقوي عزمه فكتب في هذا الشان الى منصب ماينسه (وهي جزء من اقليم سكس كان تحت حكم هذا المنصب كما تقدم) وبالغ في قبح سلوك الرهبان والاقسة الذين اناط بهم باذاعة الغفران ونشره بين الناس وفي نبذ آرائهم وعقائدهم ولكن كان هذا الكاهن يحب نجاح هؤلاء الرهبان فلم يكترث بعقبهم عن سلوكهم الا مع الذي تجاوزوا فيه الحدود واول ما اهتم به لوثير هو انه اعتنى باستمالة عقول العلماء الاله ليوافقوا على آرائه واقترح لهذا الغرض خمسة وتسعين مسئلة تتضمن آراءه في شأن الغفران ونشر هذه المسائل بين الناس لكن لم ينشرها في صورة

مطلب
نشر لوثير مسائل لاجل
ابطال بيع الغفران

مسائل صنفها بخرومه بمسائل في صورة مواد ظنية فصلها تشير لها الناظرة فيها
حتى تتعلق بقلوب الناس فاستدعى او دعا العلماء الى نفي ما لا يستفتونه منها
امثال المكاتبة او بالمشافهة وعين الايام التي جعلها لاجتماع العلماء عليه لاجل
المذاكرة فيها ومع ذلك كله اظهر انه منقاد عابد لاسيادة لكنيسة رومة وانه
مطيع لكل ما تحكم به البابا حسب الايام التي اعتقدها الاجتماع من غير
ان يظهر له معارض ولا مخاصم فحاطل التشيرت تلك المسائل في جميع
بلاد المانيا وفرنسا في سائر ارجائها مع رغبة عن سه وهمة قصة وتعجب
كل الناس من فرط جسارة لوتير التي ادته الى السد في جهة ما اعتبره البابات
الذين هم عماد دين النصرانية والى القدح في عرض الرهبانية الدومينيكانية
اي رهبان عبد الاحد مع انهم كانوا رؤساء محكمة التفتيش والقصاص في امور
الدين فكانوا مهابين يخشى بأسهم كافة الناس

ثم ان نفوس الطائفة الاوغسطينية الذين كان لوتير من زمرتهم كانوا
مطيعين كل الطاعة لكنيسة رومة كغيرهم من نفوس الطوائف الدينية
الاخرى ومع ذلك فلم يعارضوا لوتير ولم يتصدوا لمناقضة آرائه او منعه عن
اذاعتها واظهارها بين الناس لانه كان له عندهم منزلة كبيرة وموقع عظيم بسبب
معارفه واخلاقه الا انه كان الى ذلك الوقت محترم احكام البابا محترما انقيادها
ولا يخفى ان المنافسة والعصبية الباطنية لا ينقطع ابدا من بين طوائف نفوس
الكنيسة الرومانية لعدم انقطاع طمع الرهبان وغيرتهم من بعضهم وبسبب
ذلك حصل لنفوس الطائفة الاوغسطينية غاية السرور والفرح من قدح
لوتير وذمه في نفوس الطائفة الدومينيكانية وتشنيعه عليها لانهم كانوا
اعداءهم وفرحوا حين رأوا ان ذلك يجر الى احتقار نفوس تلك الطائفة
وبغضها عند سائر الاهالي واما حاكم سكس الذي كان وقتئذ اعقل امراء
المانيا وكان لوتير من رعاياه فلم يلتفت ولا غضب من تصدي لوتير لنقض
بيع الغفران بل كان يعتقد رأيه سرا ويود أن تكون المنازعة التي حصلت ابتداء
بين النفوس في هذا المعنى سببا في تخفيف مظالم كنيسة رومة التي تدل

مطلب
عند نفوس الطائفة
الاوغسطينية التي كان
لوتير من جملة اربابها الرأيه
تأييدهم لمذهبه

الامراء

سنة ١٥٢٤

مطلب
فيما كتبه عدة من علماء اللاهوت في مناقضة لوتير

الامرا جهدهم زمانا طويلا في ابطالها ولم ينجحوا

وقد تصدى عدة من العلماء لمناقضة لوتير وبذلوا غاية جهدهم في تأييد الآرآ والمذاهب التي كانت اساسا لشوكة الكنيسة الرومانية ومسألتهم وعقب هذا كتب الراهب تتزل رده على مسائل لوتير ونشر بعده هريكورن الى على هيراودرو وكذلك العالم الثيولوجي (اي اللاهوتي) المسمى اكسيوس بذل وسعه في مناقضة ارآ لوتير واما الراهب برورياس وهو احد رهبان الطائفة الدومينيكانية وكان رئيس المحكمة ومفتش عموم امته بمحكمة القصاص والتفتيش الدينية فقد كتب على مسائل لوتير وشنع عليه كل التشنيع الا ان لوتير كان قد حجه في سبح الغفران مستدلا على براهين قاطعة جلية مستنبطة من العقل او منتسبة من الكتاب المقدس واما اخصامه فكانوا لا يعتمدون عليه في ردهم الا على آرآ العلماء السكولاستيكية واوامر البابات والاصول المتسببة التي كانت موجودة اذ ذاك فكانت ادلتهم غير كافية واحتجاجاتهم غير شافية حتى ظهر للناس انهم عاجزون عن الرد وان مجادلتهم مبنية على مجرد الاغراض النفسانية وصاروا لا يعتبرون باقوالهم حيث راوها مخالفة لما تقتضيه العقل والنقل وما اثبته الشريعة النصرانية

مطلب
عدم اعتناء ديوان رومة بمذهب لوتير في مبدء امره

واما ديوان رومة فلم يخش من ظهور مذهب لوتير ولو كانت به بلاد المانيا في اضطراب واختلاف بل لم يعبأ به اصلا وذلك ان البابا ليون العاشر كان ذا ولع عظيم بالمسرات والتنزه وكان دائما مشغول الفكر بمقاصد سياسية جسيمة وكان لا يميل الى المجادلات الثيولوجيكية اي اللاهوتية وان لم يكن مرها لوثور عمله حين وصلت اليه الاخبار بما صدر عن لوتير في بلاد المانيا من التشنيع والقدح في الاصول الدينية لم يحمله ذلك على التعصب بل عده من جملة المجادلات والمشاكلات السكولاستيكية حيث راى ان لوتير ليس الا راهبا من آحاد الرهبان المهملين الذين لا يهتم برأي راهب في مسائل سكولاستيكية اخذ يعتقده في شر صقع من المانيا واعماله

سنة ١٥٢

في عبارة منه كما هو مألوف حسب أمرهما في قالب حسي غير معقول هذا
ما نطق به البابا المذكور وكان لا يخطر بباله بل ولا ببال لوتير نفسه أن عاقبة
هذا الأمر تضر بالكنيسة الرومانية لأنه كان يعد المجادلة الحاصلة في هذا المعنى
بين الطائفة الأغوسطينية والطائفة الدومينيكانية من جملة المجادلات التي تقع
عادة بين القسوس بسبب تحاسدهم وغيرة بعضهم من بعض حتى ظهر منه أنه
قد عزم على عدم التصدي لهذه المجادلة وصمم على أن يترك أمرها لكل من
الطائفة الأوغسطينية والطائفة الدومينيكانية ليتذاكروا فيها مع
ما في قلوبهم من العداوة لبعضهم

مطلب
آراء لوتير وانتشارها

ولكن لما اغتصب لوتير أصحابه بعدة جماعة حرروا وردوا عليه وخطأوا أقوالهم
وبالغوا في كل عبارة صاروا يلحون على البابا ويحثون ديوان رومة على
عقاب لوتير في نظير جرأته وجسارته الزائدة عن الحد لا سيما وكانت آراء
لوتير قد انتشرت بأوروبا في جميع الأقطار الألمانية فاستنبط حينئذ ديوان
رومة من غفلته واجتهد في كل وسيلة يستلزمها منع عاقبة تلك الآراء
واضطر ليون العاشر نفسه إلى البحث عما يدفع عن الكنيسة الرومانية سوء
عاقبة الآراء المذكورة حيث صارت من الأمور الخطرة التي لا ينبغي إهمالها
والسكوت عنها فأمر لوتير أن يحضر بعد ستين يوما إلى مدينة رومة

مطلب
أمر البابا الصادر إلى
ر بالحضور إلى رومة

في الديوان بين يدي العالم بريرياس وكان من جملة من ردوا عليه وتصدوا
لنقضه ونقض آرائه كما تقدم ولذلك وكله البابا بالنظر في آراء لوتير والحكم
عليه بما يراه مناسبا وكتب هذا البابا أيضا إلى الأمير منتخب سكس يرجوه
أن لا يتعرض لحمايته رجل دنس أساء النصرانية ببدعه وضلالاته وكتب لرئيس
الطائفة الأوغسطينية أن يزجر هذا الراهب السفيه الذي دنس الطائفة
الأوغسطينية بأجمعها وعكر على الملة المسيحية في سائر الأقطار النصرانية
فلما رأى لوتير مراسلات البابا وعلم أن العالم الذي أناطه البابا بالنظر في رأيه
والحكم عليه هو عدوه بريرياس أدرك حقيقة الحال وعرف ما يقضى
به في شأنه إذا هو توجه إلى رومة

فلذلك

سنه ١٥٢٠

مطلب
امر البابا وكيله بان يحكم على لوتير في المانيا

فلذلك يدل على انه جهده في عدم الذهاب الى رومه وطلب ان يحكم عليه في بلاد المانيا بحضور جمعية حلماء عن الاغراض وليست محلا للتهمة وكان علما مدرسة وتنبرغ يحثون لوتير ولا يستطيعون ان يلحقه ادنى ضرر او ادنى ملام الطائفة الا وعشيته كانت في سرف وسفاهة فكتبوا للبابا يرجونه ان يعافي لوتير من الحضور الى مدينة رومه والتمسوا منه ان يوكل في النظر في قضيته والحكم عليه بعض اناس من بلاد المانيا يكونون من العلماء المشهورين بالمعارف وقد طلب ذلك ايضا الامير منتخب سكس من وكيل البابا ومن منشور العفو الالمانيين الى كانت عنده اوكسبورغ وكان لوتير وقتئذ لا يقصد مناقضة احكام البابا ولا الخروج عن شوكته بل كان يجزم بان اصل هذه الشوكة سر الهي اودعه الله في البابا فكتب الى ليون العاشر كتابا في غاية التضرع والابتهال والانقياد والامتثال ووعده انه يعمل اوامره من غير توقف على دعويه وعافاه من الحضور الى مدينة رومه وامر نائبه في المانيا ان يبحث عن حقيقة الحال ويحكم بما يستحقه وهذا النائب هو الكردينال كاتيتان احد اربابا الطائفة الدومنيكانية وكان له شهرة عظيمة بين العلماء السكولاستيكية وكان قائما بخدمة الكنيسة الرومانية على ما ينبغي ويحب سعيها ويسعى غاية جهده في تحصيل ما تكون به فائدتها ومصلحتها

مطلب
حضور لوتير بين يدي نائب البابا

وكان عكس لوتير لا اسباب مفهومة ان يأتي فيصل دعواه بين يدي كاتيتان لانه كان من جملة اعدائه المظهرين عليه الا انه لم يتوقف ابدا في الحضور بين يدي كاتيتان المذكور حيث توجه فورا الى مدينة اوكسبورغ ليقابل هذا النائب بعد ان اخذ من الامبراطور تذكرة الطريق فلقاه كاتيتان بالترحيب والاكرام والتعظيم والاحترام واخذ اولا يسلك معه سبيل اللين والرفق ليرده عن آرائه لكنه لما رأى انه لا يليق بمثله ان يتحاور معه كانه قرين له الزمه بموجب اوامر البابا ان يرجع عن آرائه الفاسدة التي اذاعها بين الناس في شأن الغفران والقدح في الدين وان لا يعود بعد ذلك عليه ولكن كان لوتير يعلم

١٥٢

ان آراءه على منهج الحق لا خطأ فيها لا سيما وكانت حججه معقولة عند اعظم
علماء ذلك العصر واكثرهم معرفة ودراية فتعجب من قول كايتان حيث
دعاه الى الرجوع عن آرائه قبل ان يبين له وجه فسادها وعدم صحتها مع انه كان
يأمل قبل ذلك انه في محاورته مع هذا النائب العالم الغزير المعارف يسهل عليه
ان يرى فيه مما الهمه به احدا من الذين هم ما بين جاهل لا يدرك فحوى آرائه
ومتجاهل يريد اطفاء ضوء آرائه فينكر الحق ولو حصحص وظهر ويؤيد الباطل
وان خفي واستتر فلما رأى ان كايتان سلك معه مسلك الامارة والعنفوان
خاب امله فيه ويئس كل اليأس ولكن لم يرعو من تهديده له فقال للنائب مع
ثبات جنانه وطلاقة لسانه ان ذمتي لا تأذن لي بالرجوع عن آراء هي الحق
ولا محالة حيث لم يظهر فيها شيء يحملني على جحدها بعد اقرارها ونشرها الا انها
وجد مثل هذا الامر بعد من الحق ومما يسخط الله جل وعلا وبعضه ثم افاد انه
لا يزال في طاعة الكنيسة والامتثال لاوامرها وانه لم يقصد بذلك الا آراء
اضرارها فلا غرضه ان يعرض مسائله التي حررها على بعض العلماء الماهرين
فيقضون فيها بما يرونه مناسبا ووعد بعد ذلك انه لا يكتب فيما بعد شيئا يتعلق
بالغفران لكن بشرط ان تسكت اخصامه ولا يتفوهوا بشيء في هذا الشأن
فلم يعتن نائب البابا بقوله بل استمر على تهديده والزامه بالرجوع عن اعتقاده من
غير ان يشترط شيئا قبل او بعد وهدده بانه يصير مطرود الكنيسة رجيما محروما
من نعيمها ونعيمها ان لم يبادر بالاذعان ويعمل ما يأمره به وامر ان لا يدخل عنده
ما دام مصمما على عقيدته وظهر زيادة على ذلك مقتضيات اخرى يخشى منها على
لوثر فخاف عليه احبابه وظنوا ان تذكرة الطريق التي اخذها من الامبراطور
لا تكفي في حمايته من نائب البابا الشديد حقده وغضبه فحملوه على الخروج
سرا من مدينة اوكسبورغ ليعود الى وطنه فقبل لوثر نصيحتهم
الا انه قبل خروجه من تلك المدينة استعان بامر قد يسوغ عمله وهو انه رفع
الى البابا دعوى على خصمه في آرائه يريد فصل دعواه بين يدي جمعية مقدسة
عامة فيهم يميزها فيظهر الحق من الباطل

مطلب
ثباته في سلوكه

مطلب
رفع دعواه الى غير كايتان

سنه ١٥٢٠
مطلب
اعانه منصب سكس للراهب لوتير

مطلب
الاسباب التي حملت كاجتان على ان يسلم لوتر يوما ما لكه اولا

يعصب كاجتان من هروب لوتر وكتب الى فردريق يعصب سكس بعتب عليه بغاية الراحة الكاملة وانه سوكه بعد هذا ان يقبض على لوتر ويرسله اسيرا الى مدينة رومة اويطرده من بلاده وكان فرديق الى ذلك الوقت يدافع عن لوتر ويمانع عنه ولم يكن الاسباب الحاملة له على ذلك اسبابا سولوجية اى ناشئة عن ممارسته لعلم اللاهوت لان هذا الامير كان لا يعرض ابدا للمجادلات السولوجية والمحاورات اللاهوتية ولم يكن له فيها رغبة اصلا وانما كان الباعث له على محاماة لوتر مجرد اسباب سياسية كما يتقدم وكان لا يتظاهر بها ابدا ولا يقدم عليها الا بغاية الاحتراس التام وكان لم يسمع فقط وعظ لوتر ولم يقرأ شيأ من مؤلفاته وعلى ما كان له من الشهرة العظيمة بلاد المانيا لم يحضره فردريق اصلا ولم يشتغل في مبادئه لكن لما طلب منه كاجتان ان يقبضه او يرسله اسيرا الى رومه رأى انه لا بد له ان يسالك غير ما كان يسلكه اولا من المحافظة على عدم التظاهر في اعانة لوتر وذلك لانه كان قد صرف مصاريف كثيرة في انشاء مدرسته وانه في بهاء اعانة الاعتناء حتى صارت مهمة جدا اعتدت بسبع امرأة المانيا وكان يعلم ان بعد لوتر عنها يصير سببها لتعطيل امور عديدة وأبى ان يقبل ما ادعاه الكردينال كاجتان في حق لوتر واظهر انه لا يسلم ابدا وانما يكون به اضرار لوتر وانه يدافع عنه كل المدافعة هذا وكتب انه مع ذلك ... الازم اعتبار الكردينال كاجتان وتعظيم الباباوالحبرية

ثم ان تشدد الكردينال كاجتان في الزام لوتر بالرجوع عن مذهبه اغضب من وشدد من عمل بمذهب لوتر المذكور حتى لامه على هذا التشديد عدة من الولعين العارفين ولكن كان لا يمكن للكردينال كاجتان ان يسالمع لوتر خلاف ذلك وذلك ان مقصد رومه الذي طلب لوتر اولا للحضور بين ايديهم لفصل دعواه كانوا على غاية من الشوق والرغبة في تعطيله آرآئه وافسادها حتى انهم قبل فراغ الستين يوما التي جعلها البابا مهلة للوتر حكموا عليه بانه خارجي مبتدع وصفه البابا بدون هيئة

في عدة من اوامره ومكاتباته بانه ليس الا من عداد الشيطان الذين هم مطيعيه
للمآثم والفواحش او الارجاف الا لا بعديه وبناء على ذلك لم يكن ثم ما تسلم به
الكنيسة الرومانية من جانبه مذهب لوتير وبنى على شرفها واحترامها سوى
جبر هذا الرجل على العدول عن مذهبه واقراره بانه صادر عن خطاء لاسيما
وكان من قواعد هذه الكنيسة ان لا تتساهل في حكم من احكامها وان تأبى لها
ذلك وقد حرمته على نفسها بادعائها العصمة عن الخطأ والزلل

بيان الخطرة التي كان عليها لوتير

ومع ذلك فكان لوتير في حالة خطرة جدا بحيث لو كان لغيره لحرم من عليه
الامن والراحة وكان لا يظن ان فردريك يخاطر بنفسه في حمايته والممانعة عنه
لما انه كان صاحب رأي وتدبير وحزم واحتراس سيما فلا يعرض نفسه لغضب
الكنيسة وبطش البابا الذي يخشى بأسه وصولته بعض افراد من عظماء
امبراطرة البابا واقواهم شوكة وكان ايضا زاد ذلك اسباب اخرى تمنع لوتير
من انتظار الاعانة من فردريك وذلك انه كان يعلم ان الناس في ذلك الوقت
يحترمون اوامر الكنيسة وينقادون لاحكامها ويخشون غضبها ويعلم ايضا
انه لا شيء اسهل من تهديد فردريك وتخويفه وحمله على ان يسلمه ويتخلى
عنه لما ان اصل حمايته له كان لعلل سياسية لا لكونه ممن يتمسك بمذهبه وبرأ
مولعا به على صحتها واقرارها حتى يدافع عنه ولا يبالي وكان يعلم ايضا انه
ان طرد من بلاد سكسن لا يجد له ملجأ آخر ولا مأوى يأوي اليه وينصر
غرضه لاذى كل حسود واحتراز كل حسود ومع انه كان يعلم انه في حالة خطرة
يتقلد كل التجلد ولم يظهر عليه رعب ولا فزع بل ما زال يبرهن على صحة آرائه
وحسن سلوكه واستقامته ويخطئ اخصامه ويفسد آراءهم ويقدح فيهم اكثر
مما كان يفعله اولا

مطالبته بجمعية عمومية من القسوس

ولما رأى لوتير ان ديوان رومة لا يسلك معه سبيل الحق والاستقامة حيث حكم
عليه بدون بحث في بابه من الفرق المبتدعة علم ان البابا ليون لا بد وان يعذبه
ويحث على اضراره وبلغه الى التهلكة فحصن حمايته لنفسه من غضب البابا
ولم يكن له في ذلك الا وسيلة واحدة وهي أن طلب فصل دعواه بحضرة جمعية

سنة ١٥٢

خصوصية معتقدة من النفوس على تفضيل البابا على الكنيسة القاتولقية
وما انعقد عليه الرأي فيها يكون العمل بمقتضاه لان حكمها حجة قوية اكبر
من حكم البابا الذي هو فرد من جملة افراد الانسان وكل انسان قابل للخطا
فان مارى بطرس مع كونه اعظم البابات واكملهم وقع في الخطا
غير مرة

مطلب
فرمان جديد لتأييد عادة الغفران وتصديقها

وبعد ذلك بقليل ظهر ان لوتير لم يخطئ في مخاطبته بديوان رومة وذلك انه
صدر من البابا فرمان بتاريخه قبل تاريخ عرض لوتير يقتضي طلب عقد
مجلس قسيس عام لفصل دعوا ومدح الغفران بعبارة لم تسبق لاسلافه بل
ولا في اعصر الجهالة والخشونة وامر فيه جميع النصارى ان يعتقدوا صحة
الغفران ويعتبروا قوته سطرا من دين الكنيسة القاتولقية وذكر فيه ايضا انه يقتضي
سهام غضبه كل من عصاه او تبع مذهب من يقول بعدم صحة الغفران مع ان
مقتضيات الاحوال كانت وقتئذ تقتضي التمويه بمثل ذلك وتستدعي حسن التدبير
والمواساة ولم يؤثر هذا الفرمان في قلوب اصحاب لوتير بل اعتبروه من
الامور التي لا يمكن ان يخمن انها اوجبت تأييدها وعلموا ان البابا لم يأمر به الا لاجل
ما المحصولات الكثيرة الواردة عليه من بيع الغفران ومع ذلك فلولا موت

مطلب
كون موت الامبراطور مكسمليان من الامور التي اعانت لوتير

الامبراطور مكسمليان بعدما حكم به البابا على لوتير وضاع حجة عند
معظم اهل المانيا لان هذا الامبراطور كان دائما يميل الى تقييد مقاصد
الكنيسة وتأييد احكامها لاسيما وكان البابا وقتئذ صاحب شوكة وصولة
عظيمة واوعد باضرار من تبع مذهب لوتير او يؤيده فبعد موت هذا
الامبراطور انتقل الى الامير فردريق منتخب سكسن ما كان من بلاد
المانيا محكوما بالقوانين السكسونية فصار لوتير بذلك في حمى هذا الامير
الذي كان يدافع عنه ويحميه من حقد اعدائه واضرارهم وصار على غاية من
الامن والاطمئنان ومكث مذهبه جاريا بين الناس بدون حرج في خلال المدة
التي كانت بين موت مكسمليان وانتخاب شرلكان امبراطورا بدلا عنه حتى صار
فيما بعد منتشرا في عدة محال ومتمكنا من قلوب كثير من الناس وزاد على ذلك

١٥٢٠

كان البابا لاون العاشر ومشيدمسعولا بشأن انتخاب الامبراطور لكون ذلك اهم عنده من المجادلة الشولية بحيث كان لا يدري منها شيأ ولا يمكنه ان يتبصر في عواقبها فلما رأى ان فريدريق عمل الى حزب لوتير لم يدعو دعوا حوفا من ان يعصيه ويعوده وكذ عطيه وصوله يكسر في ديوان المحتسبين لم يحل بالحكم على لوتير بالكفر والخروج عن دين الكنيسة الصحيح مع ان لوتير كان له اعداء كثيرون لا يعدلون طرفة عين عن حث هذا البابا وتحريضه على ابداء لوتير واضراره

الحكم على لوتير

ولما كانت تلك الاسباب المانعة للبابا من اتباعه بعض البابا لاون العاشر حاول في امر لوتير حتى مضت سنة عشر شهرا ولم يحكم عليه بشيء لا سيما وكان البابا يكره بطبعه كل مجادلة ومحاورة سيما في مبدائها الاخصام ولكن في تلك المدة لم ينقطع مذاكرات رومة في شأنها هذا الامر بالتي هي احسن ومهد للمذاكرات عرف لوتير فساد ديوان رومة واحد لاله وعلم انه لا وجه الى تحويل ارباب عن بدعهم واوهامهم الفاسدة وضلالهم في اعتقاداتهم الكاسدة وانهم لا يسعون الحق ولو ظهر بالبراهين الرادعة والادلة القاطعة حتى ظهر عليه انه داخله الشك في كون شوكة البابا من الاسرار الالهية وحصل بتدبيره لتسلط على روس الاجهادية خاطره في هذه المسئلة بقوة من العالم اكسيوس وكان لسعة علمه ووفور فهمه من اعلم اخصام لوتير واشدهم خطرا عليه ولكن انتهت هذه المناظرة كغيرها من المناظرات السكولاستيكية بدون أن يترتب عليها ثمره ولم يلزم احدهما الآخر بحجة بل بقي كل منهما على رأيه ولم يتهاتشا في شأن المسئلة المذكورة

بلاد السويسة

وكما ان بلاد سكس هجرت من دين الكنيسة الرومانية لكثرة جورها وظلمها كذلك بلاد السويسة حصل فيها مثل ذلك فان الاسباب بعينها اثرت في ذلك الزمن تأثيرا فعولا وحملها على هتك حرمة دين تلك الكنيسة وذلك ان رهبان طائفة فرنسيس للمامرو بالماداعة صح الغفران في بلاد السويسة سلكوا سبيل الاسبان لاس في الطلم الذي اوجب بعض الرهبان الدومنيكانية

سنة ١٥٢٠

اى الاحداثه فى بلاد المانيا ومع ذلك فلم يرالواعظ نشر سيع العمران بدون عائق حتى وصلوا الى مدينه زوريكة فلما ارادوا ان يدعوا اهلها سيع العمران بزلهم العالم زونيغل ولم يكن دون لوتير فى الجسارة والرغبة فى سفاده النوع البشرى معارضهم والى ان نشر هذا الامر الردى الذى سخط المولى ونصره بالعباد وكانت حكومة السويسه وهى حكومة جمهوريه فلم يكن زونيغل كلوتير مكبولا بقيود الحكم بل كان حرا مطلق التصرف فى حركاته وسكناته فتم بسبع مساعدة مع بيان الطلب والجساره على رؤس الاشهاد ولم يخش بأس احد وصمم على هدم قواعد دين الكنيسة ويجاوزه بالكلية فسر لوتير لذلك حيث وجد له ظهيرا يؤيد مذهبه ويعضد آراءه وفرح فرحا شديدا من قبول هذا الراهب وانتشار آرائه الا ان اعداءه انتصروا عليهم من وجه آخر فى مدرسة كولونيا ومدرسة لوان حيث عقد علماء هاتين المدرستين آراءه وحكموا عليها بانها خطا محض

مطلب
جسارة لوتير وهدم مذهبه وارداد قبول آرائه

ولكن كان لوتير جسورا لا يخشى بأسا ولم يرد تعصب اعدائه وذمهم الا عصيانا وجموحا فاخذ يقدح فى دين الكنيسة ويفحص مع التدقيق عن اصوله ويفندها واحدا بعد واحد حتى زلزل القواعد المتينة التى تأسست عليها سوكة ديوان رومة وبرؤيتها اهل الباب لتوين العاشر انه لا يمكن ارجاع لوتير بالتى هى احسن هدا واخذ جماعة من الاحبار المتبحرين فى المعارف يلومون اعداء لوتير ويلومون الباب على حلمه واغضائه عن سفهه وجسارته مع قدحه فى الكنيسة بكل معصية ويتجبون من كونه لم يغضب عليه ولم يحكم بكفره حتى يحرم من نعم الكنيسة الرومانيه التى قدح فيها وهتك حرمتها مدة ثلاث سنوات وكانوا يقولون ان عظم شأن الكنيسة يقتضى عقاب هذا الرجل العقاب الشديد فى نظير وقاحته وتسفيهه لها وان الامبراطور الجديد يعضد الباب ويكون نصيره وظهيره ومن المعتقد ان الامير فريدريق منتخب سكس متمرن على سلك السياسة والحزم وما هو دأبه من الاحتراس والتبصر وتصدى لحمايته هذا الرجل ويعادى الباب والامبراطور ويتعدى فى ذلك مشوره الكردينالات عده

١٥٢٠

من البابا لنصرة هذه القضية وبعث على خصمها اصدر حكمها في شأنه على وجه مسؤول لا يحتمل نقضا ولا ردا فاجمعوا الفوانين لتحصيل امهات من جهة حكم صحيحة لا تقبل الجدل بوجه من الوجوه فلما كان اليوم الخامس عشر من شهر حزيران (سنة ١٥٢٠) صدر في شأن لوثير فرمان الحرمان الذي كانت عاقبته مشؤومة على كنيسة رومة واستخرجوا من مؤلفات لوثير احدى واربعين مسئلة حكموا عليها بانها من عقائد الفرق الزائغة التي تزري بالمروءة والانسانية وتنافي مكارم الاخلاق وكان هذا الفرمان يتضمن ان تحرم قراءة مؤلفات لوثير وان من يتجاسر على قراءتها يحكم عليه ايضا بالحرمان والطرد وفيه ايضا امر بان من عنده بعض نسخ من تآليفه يجب عليه ان يحرقها في النار وبعد ستين يوما ان لم يرجع لوثير عن مذهبه ويعترف على رؤوس الاشهاد بان ذلك من الخطاء المحض ويحرق سائر كتبه بعد من الفرق المبتدعة ويحكم عليه بالحرمان حتى يصير مخذولا مدحورا ويكون ممن استهوته الشياطين فعدل عن الحق وحاد وضل عن سبيل الرشاد وكان في هذا الفرمان ايضا امر لسائر الامرا ان يقبضوا عليه ويذيقوه من العذاب ما استوجبه لنفسه بسبب ما ارتكبه من الموبقات والكبائر ولما انتشر هذا الفرمان ببلاد المانيا اضطربت الآرا وتعددت المذاهب فكانت ارآ الناس تختلف بحسب اختلاف البلاد والمحال فاما اعدآ لوثير واخصامه فصرحوا كل الفرح ظنا بان هذا الفرمان يكون به ابطال مذهبه ومحو اصحابه واما احزاب لوثير فكان احترامهم للبابا كل يوم في التناقص فلما رأوا الفرمان ازداد غيظهم وسخطوا على البابا بل في بعض المدن تصدى الاهالي لمنع اشاعة هذا الفرمان وفي بعض آخر انبرى من تصدى لاشاعته ومزق الفرمان كل ممزق ووطئته الاقدام

ولم يرهبه لوثير بهذا الحكم حيث كان يعلم من قبل انه لا يسلم منه وانه لا بدّ من وقوعه فبعد ان رفع فصل دعواه الى مجلس مستوى عام كتب بعض مخطوطات طاعن بها فرمان الحرمان وكان يعلم ان البابا ليون قد سلك

المستند ... ن حرمان لوثير ثم تكفيره وطرده عن ... الكنيسة

المستند ... نشر هذا الفرمان في بلاد المانيا

مطلب ... هذا الفرمان في لوثير ١٧ من ... نوفمبر ... الثاني

سنه ١٥٢٤

في الحكم عليه بسبب الجور والتعدي فصار حتى رؤوس الاسياد ان هذا البابا هو المسيح الدجال الذي نص على ظهوره كتاب العهد الجديد وصار يصفه بالظلم والتعدي وبالغ في ذمه والقدح فيه اكثر مما كان عليه اولا وحرض جميع ملوك الافرنج وامرائهم على القيام عليه والخروج عن طاعته بحيث ان احكامه لا يكسبهم الا العار والمذلة وصار يمدح ويفخر على رؤوس الاشهاد بانه اسوجب غضب البابا في نظر جماعة بمعنى جماعته بالسرور وعده في حظ السعاده السرمديه ولم يكتف في اظهار احتقاره للبابا بمجرد الخطابه والكلام بل لما رأى في الفرمان الامر بحرق كتبه في رومه اراد ان يعمل في حق البابا مثل ما حكم عليه به فجمع المدرسين والطلبه الذين كانوا وقت تدريسه وسائر ... حتى صارت عنده كثيرة ورمى في النار كتاب القانون الروماني واحرقه مع فرمان الحرمان وما في ذلك عند جمع مدآس المانيا ثم ان الطريقه التي سلكها في تركه دينه وتحليل هذا الفعل وانه من قبل الصواب كان منها اشياء ادت اكثر من الفعل نفسه وذلك لانه استخرج من القانون الروماني نصوص مسائل تستعدها العقل تقتضي ان شوكة البابا فوق شوكة كل ملك واميرو وحصرو وحظر ووضع على هذه المسائل شرحا بين فيه فسادها وبرهن على انه مع تداول الايام يترتب عليها محو الحكومات الملكيه ودمارها

هكذا كانت حالة مذهب لوتر حين دخول شرلكان في المانيا فلم يكن احد من الامراء والملوك الى ذلك الوقت اتبع المذاهب الجديده وعمل بها ولم يكن حصل ادنى تغيير في صور الدين ولا ادنى تعد على حقوق القسوس واحكامهم وبالجمله فلم يكن انحط الرأي على ترجيح احد المذهبين على الآخر فانه وان كان شرار الجدال قد اضطرمت بين الحزبين الا انه لم يحصل به ولا انها في هذا المعنى بل كان كل من الفريقين يسأل ويجيب وينصب وينصب ويعارض الادله ويسقط المعلول بسقوط العله ومع ذلك فقد اثرت هذه الحادثه في عقول الناس بأن ترامو بأوهام احترامهم لدين الكنيسه ورسومها وادركوا ضعف الاوهام الكاسده والبدع الفاسده وبالجمله فلم تزل العقول من ذلك

مطلب
الحالة التي كان عليها التسبيح حين دخول شرلكان في بلاد المانيا

١٥٢٠ م

الوقت يزداد عظما واتساعا حتى وجد من يومئذ اتساع الفتن التي انتشرت
شرارتها في جميع بلاد المانيا فتزلزلت أرجاؤها واضطربت كل الاضطراب
فكان الطلبة يأتون أفواجا من سائر أقاليم الإمبراطورية إلى مدينة وتنبرغ
للاجتماع بلوثير فيدخل إلى تلك المدينة الشهير ملانكتون والشهير
كرلستاد وغيرهما من المدرسين العظام واحتووا على لوثير المذاهب الجديدة
ونقلوها إلى أبنائهم وطلبتهم فتلقوها عنهم مع الرغبة التامة التي تكون عادة للنفس
في كل أمر جديد مرغوب فيه تعتقد أن صحته قطعية لا تنكر وكان ديوان
رومه في أثناء تلك الحوادث يحكمه رجل يعد من أشهر البابات الذين حكموا
في الكنيسة الرومانية ومع ذلك فلم يبد هذا الديوان في تلك الواقعة ما اشتهر به
غير مرة ببلاد أوروبا من الحزم في تدبير مقاصده والعزم في تنفيذها حسب
كان يجده الأمر فيه قدوة في حسن السياسة والتدبير وذلك أن لوثير حين
قدحه في شعائر الغفران كان هناك طريقتان إن سلك البابا احداهما الأشد على
لوثير مشروعه ولو سلك الأخرى لسكن هيجانه واخمد لهيبه وكان يلزم بمجرد
عدوله عن الدين أن يبادر بالقبض عليه ويعامله بالتعزير والتعسف حتى يرجع
أو يحكم عليه بما تحكم الكنيسة به وليس هناك من الطريقتين مقبول لو قبض
على لوثير من مبدأ الأمر فقتل بحكمه وهدد بغضب الكنيسة عليه وصدر في
حقه فرمان بالحرمان لرحو هذا الفرمان الأمير فريدريق صاحب سكس
ومنعه عن التصدي لجنابه لوثير ومنع الأهالي أتباعه عن اتباع مذهبه
بل وكان لوثير هيبة تلحقه الرعب والفزع ولا يتجاسر على فعل شيء مما فعله
وكان أنه لا يعرف إلى الآن من الإمام إلا كونه قد بذل جهده في أمر ممدوح وهو
شروعه في محو مظالم ديوان رومه إلا أنه استحل بهذا الشيء فشل أوانه
معروف بحرمانه والطريقة الأخرى التي كان ينبغي للبابا سلوكها هي أنه كان
ينبغي له أن يظهر من مبدأ الأمر الغضب من فعل سلوك من كانوا مأمورين
بإشاعة شعائر الغفران وأنهم جاوزوا الحدود وفعلوا أكثر مما يجب عليهم وكان ينبغي
له أيضا أن يمنع المجادلة على رؤوس الأشهاد في أي مسألة كانت من المسائل

غلطات في شأن سلوك
بابا رومه

الخلافية

سنة ١٥٢٠

الخلافية المشكلة لانه يخشى على الكنيسة من الخلل في تلك المسائل العويصة
اذا كان الى ذلك العصر لم يظهر من يقوم بحججه ليحل مشكلاتها ولم
يحصل تجاوز مما كان ذلك يمنع لوتير عن تقوية مذهبه وتوسيع دائرته ولولا
ان ديوان رومة شدد عليه والزمه بالحجج عما دافع به عن نفسه لجذب
تيار مجادلته ولا شك شيئا فشيئا او بعد عن اسماع الناس وانحصر به
في المدارس وضاعت بين المحاورات السكولاستيكية ولا يمكن لديوان رومة
ان يباحثه في هذه المسألة من غير ان ينصر الكنيسة الرومانية في شيء
كما لم يحصل لهم نصر ولست عمرها فيكون كمسئلة حمل مريم عليها السلام من
حيث عدم الاضرار بالكنيسة حيث لم يترتب على ما وقع فيها من الاختلاف
بين قسوس طائفة فرنسيس وقسوس الطائفة الدومينيكانية ضرر
ولا اختلال وكذلك مسئلة عفو الله التي حصل الخلف فيها بين الطائفة
الجنسنانية والطائفة اليسوعية ولكن كان الباب ليون تردد بين هاتين
الطريقتين فضاعت منه غرضهما حيث شدد على لوتير اكثر مما يلزم معوضا
عن كونه يمنعه بهذا التشديد ويرده عن حدته لم يرده الا تصميما وعنادا
وكان حلم الباب او صبره عليه وامهاله له في غير محله حيث استعان به لوتير على
نشر مذهبه من غير ان يخشى بأس الكنيسة وكان صدور فرمان الحرمان اخيرا
لم يؤثر في عقول الناس ولم يكن له موقع في قلوبهم ولو صدر قبل الوقت الذي
صدر فيه لاثر فيها تأثيرا يتم الغرض منه

مطلب
سلوك لوتير

ومن الغريب ان ديوان رومة لم يحكم سياسته ولم يحسن ادارته في هذا الامر
مع انه قل ان استوجب لنفسه لوما في سياساته او قيل في حقه انه لا يعرف
مصلحة نفسه ولا من اين تؤكل الكتف واغرب من ذلك ما ابداه لوتير من الحزم
والتدبير في هذا الغرض فانه وان كان لا دراية له بمواقع عواقب الامور بسبب
حدة طبعه وشدة حماسته احكم السياسة والادارة في اظهار مذهبه ونشره حتى
يحسب مساعيه كل النجاح بحيث لو كانت بيد احد من ارباب السياسة المحنكين لما
يحسب اكثر من ذلك وحين تصدى لمناقضة الراهب تتزل في مسئلة الامر كان

ه ١٠٢

لا يظن ان غاية آرائه تصل الى هذه الدرجة في الاضرار بالكنيسة وتشييع دينها
ولو خطر ... مسألة هذا الشيخ العالم الذي صار فيما بعد مصيبة لارتعدت
فرائصه خوفا واضطرب من الفرح والخوف علما بانه لا طاقة له على نصرته لكونه
من المشروعات الصعبة التي تخل عن اصالة هذا وعلم انه لم يطلع في قلبه
دفعة واحدة اي لم يكن له من الامور الدينية او الالهامية بل كان ثمرة
مطالعته وممارسته للعلوم بحيث لم يصل اليه الا بالتدريج وكان مذهب
الكنيسة الرومانية مرتبطة اجزاؤه بعضها ارتباطا كليا حتى كان ظهور
الخطا في قاعدة واحدة يجر الى الخطا في الباقي فكانه بنا تقدم بعضه يؤدي
الى ارتجاج اساس بقية اجزائه بل ربما يترتب عليه هدمها بالكلية فلاجل
ان لوثير من فحول الناس ما كان فاتما من استحسان
بيع الغفران وافراره اضطر الى البحث عن السبب الحقيقي الذي يكون به
برآة الانسان من خطاياه وذنوبه والعفو عنه فيما جنى فلما علم هذا السبب
بنى عليه عدم لزوم الحج والاحتفالات والتضرع الى القديسين في الشفاعة
والتوسل بهم وعدم لزوم المواسم التي تعمل لاجلهم وبطلان الاعتراف
بالذنوب للقسوس مشافهة واستنبط منه ايضا انه ليس هناك محل تطهر فيه
ارواح المذنبين ... وفي ما اسبوحه ... ومعاصيها وقد وصله بحثه عن
حقيقة هذه الامور وافسادها الى معرفة حقيقة القسوس الذين كانوا
متكفلين بنشرها ورأى ان منشأ فسادهم انما هو غناهم المفرط وتحريمهم
الزواج على انفسهم وتشديدهم كل التشديد في شأن المناسك الدينية والرسوم
الرهبانية وبنا على ذلك كان غرضه من ان يشك في كون شوكة البابا من
الاسرار الالهية حيث ان هذا البابا يستعمل تلك الامور الفاسدة الباطلة ويبذل
جهده في تأييد تلك الاوهام الباطلة وبعد ان انشأ ذلك بنى عليه امرا جديدا
وهو انكاره عصمة البابا عن الوقوع في الخطا وصحة ما تحكم به الكنيسة
والقسوس وغيرهم من امثال الذين قالوا لا يتبع الانسان الا نص كتاب الله
الذي لا يتغير ولا يتبدل لكمالاته فهذا هو الاقرب للصواب وعين الحكمة وهو

سنة ١٥٢٠

قاعدة صحيحة يعرف بها الحقائق السولوحكمه فلما كان لوثر يسلك على
هذا المنوال البديع ويقصد امرا امر وبنى شأ على شيء نجح في مساعيه
كل النجاح وحل بذلك في ذروة الفلاح حيث كان لا يعرض على الناس من اول
وهلة ما يجب اتباعهم بان يكون مخالفا للكنيسة لاوهامهم القديمة او بعيدا
عن اعتقاداتهم الراسخة في اذهانهم بل صار يلاعب عقولهم وينقلهم من
عقيدة الى اخرى من غير ان يشعروا واتى بمعرفة هوسهم فكان كلما اكتشف
شيأ جديدا انشرح منه صدورهم وقبلته عقولهم بحيث تمزج بهم كامتزاج
الروح بالجسد ونشأ اتساع سلوكه على هذا المنوال ان البابا ليون اهمله
في اول الامر ولم يعتن بصنعه فامكنه ان ينشر مذهبه بين الناس ويصير له
موقع في قلوبهم قبل ان يفطن احد الى ادراك عواقبه ولو تعالى لوثر من
اول وهلة في القدح في الكنيسة الرومانية لبادرت الى الانتقام منه بعنايه
وسعيها الا انه كان في مبدأ امره غير مصمم على هذا المشروع حتى مكث زمنا
طويلا وهو يظهر للبابا كل الانقياد والطاعة ويحترم احكامه كل الاحترام
بحيث كان لا يرى عليه انه سيعصاه ذات يوم او يقدح فيه ويفند احكامه
ويزيفها بكل ما يمكنه ولذلك اهمل البابا في مشروعه واغضى عنه فصار يسعى
كل يوم في اقامة اركان مذهبه واشاعته بجهة الكنيسة الرومانية ولم يشعر البابا
وديوان رومة بان عاقبة مشروعه تصير بهم كل الضرر ولم يجتهدوا فيما يستلبونه
من تلك العاقبة السيئة الا بعد ان صار الداء عضالا لا ينفعه دواء

مطلب
الاسباب التي اعانت على تقدم الشيع

ثم ان لوثر قد ساعد في نشر مذهبه وبقصده حسن سلوكه وتدبيره وقلة
بصر اخصامه ووهي ادارتهم لكن لا ينبغي ان تحصر اسباب تقدم مذهبه
في هذين السببين بل كان ثم اسباب اخرى اعانته اتم اعانة حيث ان عدة من
الاحبار الماهرين كانوا قد كتبوا قبل وجوده بزمن طويل في التشنيع على
الكنيسة وسلكوا مسلكه في القدح في احكامها وتفنيد آرائها ورسومها
ونبهوا على ذلك مثل الراهب الذي يتمسك بما قد ظهر في القرن الثاني عشر
الحبر والدوس وفي القرن الرابع عشر الشهير وكلف وفي القرن

الخامس عشر الماهر الحاذق جناهوس وكلهم نفوا ضلال
الكنيسة الرومانية وزيفها مع الجسارة التامة واقاموا على بطلانها
وبعضها براهين جليلة تحل عما شوهم في اهل اعصر الجهالات التي كان
هؤلاء الاحبار موجودين بها الا ان جميع مشروعاتهم في شان التشيع لم ينجح
وخاب سعيهم فيها لانها كانت في عدا باتها وقل اوانها فلم تكن في تلك الاعصر
الجسيمة الا كاشعة ضعيفة من وراء سحاب فلم يمكنها ان تمزق الغيوم الكثيفة
التي كانت مخيمة على الكنيسة الرومانية فعما قليل ذهب ضوءها وانكسف
نورها وعلى فرض ان مذهب هؤلاء الاحبار القديسين كان له موقع في قلوب
الناس وكان له تاثير في البلاد التي انتشر بها فكان تاثيره ضعيفا وذا ثمرة يسيرة
يعني انه لم يمكن ولم يتسبب به كثير من الناس لان معظم الاسباب التي اعانت
لوتير على ما تقدمه به واشاره كان مفقودا في عصر هؤلاء الاحبار او كان
قليل التاثير والجدوى في مثل ذلك العصر بخلاف مذهب لوتير فظهر في اوانه
حيث كان الوقت وقت شدة واضطراب فوجدت ثم مقتضيات احوال كثيرة
اعانته على تتميم مقاصده ونشر اغراضه ومشروعاته

مطلب
شقاق الطويل الذي حصل مدة القرن الرابع عشر

هذا وقد حصل في الدين نزاع كثير وشقاق كبير مكث زمنا طويلا لاجل
استغرق القرن الرابع عشر وبعض الخامس عشر فاورث الكنيسة العار
والامتهان وقل احترام الناس للباباوات وذلك ان اثنين او ثلاثة من الباباوات كانوا
يطوفون في آن واحد بلاد اوروبا ويطلبون بل يريدون استمالة من الملوك
ويطلبون البلاد التي كانت تحت حكمهم ويحكمون بالكفر على من خرج عن
طاعتهم فكل ذلك جر الى تمزيق عرض الباباوات والى احتقارهم واحتقار
نياباتهم حتى هربت منهم القلوب وانكر الناس عصمتهم عن الخطا والزلل
ولما كان كل فريق من المتشاححين رفع دعواه الى محكمة الكنسل (اي
الامراء) اخذ الكنسل يعتقدون ان حكمهم لا حكم فوقه وبالغوا في ذلك
حتى صاروا يحكمون من تلقاء انفسهم ويخلعونه بابا وارادوا احتقارهم
لكنيسة رومة نسبت الاوامر التي صدرت في بيانها من المشاور القسيسية

التي

سنة ١٥٢

الى النصف عند بعض فرنسة وبندقية ايطاليا وكبرت حسارة هولا اللاتيك وعظمت شوكتهم حتى كانوا العزلون من شاؤا ويولون من شاؤا من الباباوات فعلم الناس من ذلك انه يوجد في رتب الكنيسة رتبة اعلا من رتبة الباباوات التي كانت قبل ذلك معتبرة انها اعلا مراتب الكنيسة واعظمها شوكة وصولة

مطلب
في الكلام على الباپا اسكندر السادس والباپا چلليوس الثاني

وقبل ان يبرأ الجرح الذي اصيبت به شوكة الباباوات او بات اللاتيك تولى البابويه اسكندر السادس ثم چالپوس الثاني وكانا لا يوصفان بعموم الاصابة السياسية وان كانا ماهرين بالسياسه الى جنس ما دته الاحكام الملكيه فظهر منهما ما اكسب الكنيسه الرومانيه عارا على عارها في جميع الاقطار النصرانيه اما اسكندر السادس فكان فاسد الاخلاق عن مستقيم الحال في معيشته واداره نفسه وكان ذا خداع ومكر طلوما عسوما جسارا في ادارة المملكه فعدّ لذلك من الاسباب من الطوائف الجبابرة الذين ديدنهم انواع الشر واما الثاني فكان تابعا للشهوات القبيحه المسومه التي اوقعت سلفه اسكندر السادس في الخطايا العظيمه والذنوب الجسيمه التي تزرى بها الناموس الكريم لكن كان طمعه فوق كل نهايه وحرصه لا يقف عند حد وغايه فكان لا يحترم حقوق من لم يتصل عليه ويسهل حرمات الادين والحرمة اذا كانت من اعمالها تؤدي الى تعطيل مقاصده وافساد ما ربه فكان يعسر على الانسان ان يعتقد ان امير اردين النصرانيه الذي يحرص على الاحسان والمروة قد اودعت في طباع الخاحد اسكندر والسفيه چالپوس ومن ثم كانت آرا من ارادوا جعل احكام الجمعية السياسيه العموميه فوق احكام الباپاوات انها ماله محل ا قبول هذا وكان امبراطور الالمانيا وملوك فرانسا في جدال ونزال مع ديوان رومه فاغتصبوا مقاصدهم من رعاياهم في حق هذين الطالمين من الذم والقدح والسبه فدار على الالسن من وصف الباباوات وذمهم ما لم يعهد احد من قبل لوثر وأتباعه حتى هدموا كنيسة رومه وما العوائد ذمها والاستهزا بها

داخلاق القسوس

ثم ان هذا الظلم الشديد المفرط لم يكن خاصا بالبابا الذي هو رئيس الكنيسة لان اغلب كبار القسوس على الاطلاق كانوا من عائلات الاشراف والاعيان ولم يؤثروا الدخول في حرمة القسوس الا لطمعهم في الوصول الى درى المناصب العالية والجمع بايراداتها الواسعة فكانوا يهملون بالكلية ما تقتضيه وظائفهم المقدسة من الواجبات ويتبعون اهواءهم ويركنون الى ارتكاب الرذائل التي هي من عادة ارباب الثروة والدعة واما صغارهم فكانت عامتهم يعجبهم من التأسي بكبارهم في الرفاهية والزينة لكنهم لتوغلهم في الجهالة والمفاسد وانحطاطهم في الموبقات والآثام كان الناس يحتقرونهم كما كانوا يعظمون كبارهم وهذا الامر صعب مخالف للطبع البشري وهو ايجاب رهبانية تلك الحرفة ومنع زوجيتها فقد ترتب عليه من المفاسد والفسق ما تقصر عنه العبارة حتى انه في عدة محال من الامبراطورية الالمانية لزم ان تؤذن للقسوس بالاجتماع بالخطيئات ومراعاة الاحتياطات لصيانتهن مقام الزوجات بل وامروا بذلك صالحة داء الرهبانية وتدوال مخالف لدين النصرانية يدل دلالة قوية على كثرة مفاسد القسوس وفسقهم ومنذ وصل القرن السادس عشر عدة طويلة ظهر عدة من نقاب المؤلفين المشاهير كتبوا في هذا الشان فبينوا فساد اخلاق تلك الحرفة ووصموها باوصاف تستبعدها العقل في عصرنا هذا وبالجملة فسادهم اغضب الناس كافة واورثهم من الخزي والعار ما لا مزيد عليه وليس هذا لمجرد كون مثل تلك الاخلاق الفاسدة لا تليق بوظائفهم المحترمة بل لانهم كانوا في الاصل من رعاع الناس وسفلتهم ثم ارتفعوا من حضيض العامة وعدم الاعتبار الى اوج العلا والفخار وصاروا اعلى مكان من الغنى والثروة فكانت الملأ يكن ينظرون منهم كل الناس ولا يغضون عن هفواتهم كغيرهم من القسوس الذين من النسب المتاصلين في الثروة ولما كان حسدهم لهؤلاء اشد من حسدهم للآخرين كان قدحهم فيهم انما اشد واعظم وبناء على ذلك كان لا احب على الناس من سماع قدح لو برز وذمه في القسوس فكان كل من اصغى اليه وجد في خطوطاته في هذا المعنى براهين وصحيحة وادلة صحيحة يرى

ان دمة لهذه الحرفة صادف محلا
وقد ازدادت مفاسد القسوس حتى جاوزت الحدود لانه كان يسهل عليهم كالعامة نيل الغفران عما يصدر منه من الفضائح وبذلك صارت شوكة القضاة والحكام المدنية واهية في جميع دول اوروبا حتى كادت تنعدم بالكلية لانه لما كان الحكم يتبعد على الوجه السابق منع الترتيب ردى الادارة واضطر هؤلاء القضاة الى ان يسلكوا في احكامهم طريقة التساهل وعدم الشدة في اقامة شعائر العدل والانصاف حتى كانوا يتجاوزون عن الفواحش والكبائر بواسطة دفع مغارم عينها القوانين ولما كان ديوان رومة دائما يبحث عما يكون به ازدياد ايراد الكنيسة الرومانية اتبع هذه العادة وادخل تلك المغارم في المصالح الدينية حتى صار يعفو عن كل مذنب يدفع المغارم المذكورة وحسب ان كفارة الكبائر بدفع هذا المقدار من المال كان موجودا من قبل وكان الناس معودين عليه لم ينكروا اسمه حين احدثه ديوان رومة وسلكه في ازدياد ايراداته ولذلك صارت تلك العادة عامة بين الافرنج كافة حتى انه لا حيل مع ما يمكن ان يطرق الاوهام الغش والتدليس صنف قضاة رومة كتابا كبيرا سموه تعيينا على تعيين المقدار اللازم في كفارة كل جناية خصوصا ومفاده ان كفارة الزنا اذا وقع من الشماس دفع مغرم قدره عشرون ريالا وكان يمكن لكل من الاساقفة ورؤساء الاديار ان ينال العفو بشرط ان يدفع للبابا ثلثمائة ريال وذلك الف وما شابه من القروش وكان الشماس يمكن لكل منهم ان ينال السداد ويهمل على المحارم والمآثم بشرط ان يدفع تلك المبالغ المذكورة وطالما عفي عمن جنى جناية عظيمة او ارتكب كبيرة نادرة الوقوع ولا يخطر بالبال افساد الشبان بالخالي عن المروءة والانسانية في نظير دفعه مغارم يسيرة هينة ولكن لما حسنت الاحكام في دواوين الامراء والاهالي وصارت تجري على منهج الاصول الدينية والادبية ظهر للناس ان هذه العادة التي كان بها ديوان رومة في تكفير الخطايا والذنوب مخلة بالديانة والادب وانها مشأ ضلال القسوس وعدم

سنة ١٥٢٠

مطلب

قوله نيل الانسان العفو عما جناه على نفسه كقتل او غيره

سنة ١٠٢٠

اتباعهم نهج العدل والاستقامة

وربما كان عكس الاعتصاب فساد اخلاق القسوس لولم تعز وا بكثرة اموالهم وسعة ثروتهم وشوكتهم حتى صاروا يطلبون بهذه الطرق جلب اموال الاهالي ويعاملوهم اسوء المعاملة ومن المعلوم ان دأب اولي البدع الفاسدة والاوهام الكاسدة الميل الى الرشوة والمساهاة وفرط السخاء على من يعتقدون حرمتهم بل يرون ان ما يعطونه في حقهم قليل لا يفي بما تحت لهم عليهم حتى يرقوهم الى اوج الغنى والثروة والشوكة فهذا هو منشأ ثروة كنيسة رومة ووجود كلها في سائر بلاد اوروبا حتى بسبب مشاطاته اللايبك مع ان كرمهم المفرط اواسرافهم كان هو السبب في ذلك

واعظم طمع القسوس كان ببلاد المانيا ولذلك ترى ان الالمانيين مع شدة ميلهم الى عوائدهم القديمة كانوا اسبق من غيرهم من الملل الافرنجية لاتباع من يبشرهم بطلب الحرية والخلوص من اسر الكنيسة ففي ابتداء المشاحنات والمنازعات التي مكثت مدة مستطيلة بين الانبراطور والباباوات في شأن التقليد بالمناصب والوظائف هل هو حق البابا او حق الانبراطور وفي مدة الحروب التي نشأت عن هذه المشاحنات انضم اغلب كهنة المانيا الاقويا الشوكة الى حزب البابا وكانوا في مدة عصيانهم على الانبراطور يعتمدون على ارادته ويجورونها لاضمن بالقهر والغلبة وامتازوا انشاعلى احكامه الخاصة بهم التي تعلق بارشادهم وبعد انعقاد الصلح استمروا على حفظ ما كانوا اغتصبوه لان طول مدة وضع اليد عليه اخص التعدي جعله حقا من حقوقهم وكانت شوكة الانبراطور شديدة ضعيفة بحيث لا يمكنهم ان يستر جعوا ما اغتصبه منهم هولاء الكهنة فاضطروا الى ان ينزلوا لهم عن جميع الاراضي الواسعة التي غصبوها منهم لتكون التزاما لهم فصار الكهنة من وقتئذ يتمتعون بجميع المزايا والخصوصيات التي كان يتمتع بها الاشراف والبارونات بموجب المذهب الالتزامي ومن ثم صار بعض الاساقفة ورؤسا الاديار ملوكا اقوياء وصارت طائفتهم واخلافهم كطائفة الدوقات والامراء

نبذة في ثروة الكنيسة وزيادة اموالها عن الحد

نبذة في الكنيسة وطمعها في المانيا

اللايك لاحتياج القسيسين الذين من دأبهم العفة والديانة والزهد في زهرة الحياة الدنيا

وزياد على ذلك كانت حكومة المانيا مضطربة لا تستمر على حال وكانت الحروب لا ينقطع منها ابدا فاغتنم ذلك القسوس على تحصيل غناهم وازدياد شوكتهم وفي مدة الحروب التي كانت بها بلاد المانيا في اسوأ الاحوال لم يسلم من ظلم الاكابر والاعيان واهوال الحرب الا اراضي الكنيسة والتزامات القسوس لان الناس وقد كانوا يحترمون القسوس كل الاحترام ويخشون ان يحكموا بالحرمان والكفر على من يتعدى على اراضيهم لانهم كانوا دائما يعاقبون باللعن والطرد من يتعدى على املاكهم ولذلك اضطر عدة من الملتزمين الى ان يتنازلوا عن اراضيهم للقسوس ثم يستأجروها فيكونون تحت امانهم ثم على ايهام ان التزامات الكنيسة وانما فعلوا ذلك لانهم كانوا يعتقدون انهم بذلك في حمى الكنيسة واندراجهم في زمرة اتباعها يصيرون في امن عظيم لا يمكنهم تحصيله بمحض قواهم وشوكتهم

مطلب
تغلب القسوس على بعض الاراضي

ولما ترتب على ذلك كثرة اتباع الكنيسة قويت شوكة القسوس وصار لهم صولة عظيمة لا سيما وقد كانت الاراضي التي يعطيها صاحبها لغيره على سبيل الالتزام يرجع اليه غالبا بموجب الرسوم الموجودة اذ ذاك في شأن الاقطاعات الموجلة فعما قليل كثرت اراضي القسوس واتسعت دائرة التزاماتهم

وكان اعتناء القسوس بتحصيل الامن لانفسهم اكثر من اعتنائهم بتحصيله لاملاكهم واراضيهم فكان يحتاجهم فيه اعظم وذلك ان الانسان عند دخوله في حرمة القسيسين كان ينصب له موكب واحتفال عظيم ثم بعد دخوله فيها وعده من زمرة اصحابها يمتاز عن بقية طوائف الاهالي في الملابس والمعيشة وتثبت له مزايا وخصوصيات لا يشركه فيها غيره من النصارى فصار القسوس بذلك محترمين كل الاحترام وكان كلما ازدادت الاوهام والبدع ازداد اعتقاد الناس فيهم واعتبروهم كأنهم خلق آخر غير اللايك الذين هم مطية الخطايا والمعاصي فاذن لا ينبغي معاملتهم كمعاملة الناس ولا الحكم عليهم

مطلب
مزايا القسوس الذاتية

١٥٢٠

عن حب القوانين المرعية لكافة الناس ومن قبل ذلك منعهم محمد أمير اغا عظما وبغداد كانت معافاتهم من الاحكام المدنية ولا لسبب الا على سبيل التفضل والاكرام طلبوا ان تصير لهم من جملة حقوقهم الدائمة التى لا يمكن نزعها منهم ولا اقتصاص الهناء بهم واتدهم فى ذلك الباب والاوامر الصادرة من المساورة المقدسة وامرهم عليه انما اعطم الاعم اطره فكان الانسان مادام موصوفا بوصف المقدسية محترم الذات لا تجرى عليه شئ من الاحكام المرعية ولا تمضى عليه من ذى خاص من القضاة الا بعد عزله واسلاخه من الطائفة القسيسة وكان عزل القسيس من خصوصيات المساورة المقدسة فكان اذا ارتكب قسيس ذنبا لا يعاقب غالبا حتى لان صاحب الحق كان اذا اراد خلاص حقه من احد القسيسين تلزمه مصاريف واسعة حتى يتوصل الى عزل خصمه وقل ان امكنه الفوز بعزله بعد المشقة والعنا ولذلك عهد ان كثيرا من اشرار الناس كان يدخل فى جرمهم لمجرد التمتع بتلك المزية العظيمة ولتحصن من العقاب الذى استحقه بسبب الذنوب والمفاسد الكثيرة التى ارتكبها وطالما اشتكى اشراف الناس من كون هولاء القسيس من الاشرار اعتادوا الدخول فى حرفة القسوس ليتخلصوا من القتل الذى وجب عليهم بما جنوه حتى ان الواحد منهم بعد دخوله فى تلك الطائفة لا يلحقه ادنى ضرر ولو كان قتل ذلك قتل ما قتل ومنهم مما اكده الاشراف فى شكيهم من هذا الامر انهم كانوا يصرون بكذا لمعن معافاة القسوس من الاحكام السياسية وبعد وبهاهن المزايا التى تصير للناس وتعين على فساد اخلاق القسوس ويزيد فى طغيانهم وبغيهم

وكما كان القسوس يبذلون غاية جهدهم فى اثبات مزاياهم كانوا يعتدون ايضا على مزايا الاهالى حيث زعموا ان جميع الدعاوى المتعلقة بالنكاح والوصايا والربا واثبات كون الولد مولدا من حلال او حرام وكذلك ما يتعلق بالارادات المقدسة كل ذلك من الامور الخاصة بالدين فلا يجوز فصلها فى محاكم تجرى عن الحاكم المقدسة ولم يكتفوا بتسلطهم على هذا الامر الذى يدخل تحته

تطاول القسوس على الاحكام المدنية

سنة ١٥٢٠

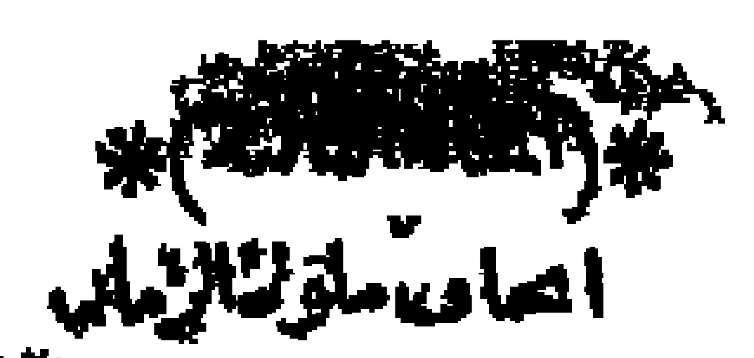
فصل المخاصمات والدعاوى التي تقع بين الاهالي حتى تعملوا وجعلوا سائر
الدعاوى انما تحل في محاكمهم ودواوينهم وحيث ان ذلك العصر كان عصر
جهالات ومعارفه اليسيرة مقصورة على طائفة القسوس كانت معارف
القضاة من القسيسين فوق معارف قضاة اللاييك حتى ان الناس في مبدأ
الامر ظنوا ان مصلحة حالهم تقتضي ان يساعدوا القسوس ويعينوهم على
توسيع دائرة فتاويهم واحكامهم لانهم كانوا يثقون بهم اكثر من الآخرين
من طائفة اللاييك لما كانوا يرونه فيهم من كثرة المعارف بالنسبة لقضاة
اللاييك وترتب على ميل الناس للقسيسين ان صارت احكام اللاييك
تضمحل شيئا فشيئا حتى كادت تنعدم بالكلية وكان ذلك انضمام جملة الاسباب
التي اعانت على ازدياد شوكة القسيسين حيث اتسعت دائرة ايراداتهم عما كان
يرد لهم من فصل الدعاوى

مطلب خوف الناس من القسيسين

وكان الناس حينئذ يخشون بأس الكنيسة ويخافون عقابها الا الحرمان لم يكن
الغرض منه بحسب الاصل الا انما طهارة الكنيسة واذهاب الرجس عنها
فكان لا يقع الحكم به الا في صورة ما اذا اريد تطهير الجمعية النصرانية من كل
فاسق يدنسه عناد رأيه فيحصل عنده من الناس موجبة لتدنيس دين
النصرانية ولكن توسع فيه القسيسون فيما بعد حتى جعلوه آلة يستعينون بها
على ازدياد شوكتهم الدنيوية فكانوا يحكمون به على الانسان في نظير اشياء
هينة لا تزري بمروءة ولا انسانية فكان كل من احتقر شيئا من احكامهم
ولو في الامور المدنية المحضة يحكم عليه بالحرمان فيسلب منه جميع المزايا
النصرانية ويحرم من الحقوق الثابتة لانسان وطنه بل ومن حقوق كل انسان
من الجمعية من حيث كونه انسانا وبناء على ذلك كان الناس يخشون عاقبة
الحرمان فكنت تراهم على اختلاف احوالهم ينقادون لاوامر القسوس
ويمتثلون احكامهم لا فرق بين صغير وكبير وحقير وخطير

مطلب تحيل القسوس في تحصيل الوسائط التي يأمنون بها على ما اكتسبوه لانفسهم من الحقوق والمزايا

وكما ان القسوس سلكوا اسبل الحيل والمهارة فيما يكون به ازدياد ثروتهم وغناهم
وسعود كلمتهم لم يهملوا كذلك في تحصيل الوسائط التي بها يأمنون على ما لهم



سنه ١٥٢٠

الثروة لهم حتى لا ينقطع عن ثروتهم على مدى الايام فاعتقدوا ان املاك الكنيسة
واملاكها لا تباع ولا تشترى ولا ترهن ولا تنتقل الى ملك غيرها باي وجه كان
لانها موقوفة لوجه الله تعالى ومن المعلوم ان الاموال التي تكون دائما
في الزيادة من غير ان يضيع منها شيء تبلغ في الكثرة اقصى الدرجات ولا يكون لها
حد بعد مدة فبموجب الحسابات التي حررت في ألمانيا وجدت ايدي
القسوس ما يزيد على نصف اموال الملك وكانت هذه النسبة تختلف باختلاف
الممالك ولكن كانت اموال القسوس في كل محل قد تبلغ مبلغا لا مزيد عليه
وانما كانت اراضيهم الواسعة معافاة مما كان مفروضا على املاك اللايك
من الخراج والجبايات حتى في بلاد ألمانيا كان القسيسون معافين من سائر
انواع الخراج وكان اذا طرأت عوارض جسيمة غير المعتادة واعطى القسيسون
شيئا للدولة لتستعين به يكون ذلك بمحض فضلهم واحسانهم ولا حق للحاكم المدني
في الزامهم بذلك بل ولا في مجرد التماسه منهم وبسبب هذه الاشياء التي لا يرضاها
عاقل كان على اللايك في ألمانيا جميع اثقال الخراج والمغارم وكان
القسوس معافين من ذلك كله ولا يجب عليهم شيء مما لا بد منه في اعانة الدولة
والمدافعة عنها مع انهم كانوا اغنى الناس واكثرهم عقارا واملاكا

ومع ان اهالي الجمعية الجرمانية كانوا يتضررون من مزايا القسوس وسعة
ثروتهم نقول انه لو كانت تلك المزايا بايدي قسوس فقط بلاد ألمانيا
لما تضرروا منها هذا التضرر وذلك لانهم لو كانوا فقط بها لما طمعوا وعددوا
لكثرة اموالهم ولما تعدوا او جاوزوا الحدود بسبب الحقوق التي كانت ثابتة لهم
الا ان اساقفة رومة كان لهم من مبدء الامر دعوى غريبة لم تصدر مثلها
عن النفوس الطماعة وهي انهم كانوا رؤساء دين النصرانية وانهم معصومون
عن الخطاء والزلل وكانوا يسلكون سبل المخادعة والسياسة من غير ان يعتري
لهم همة او يبعد عنهم الغوا والجهة ويغتنمون كل فرصة لاحت لهم من جهل
الاهالي وحسد ومن بدع بعض الملوك واضطرار البعض الآخر فلم يزالوا كذلك
حتى توصلوا الى النجاح في تلك الدعوى وان كانت مخالفة العقل والمصلحة

للقسوس الذين كانوا انما كان عليهم اجنبيا بها

العامة

الثالثة فكان القسوس في بلاد الالمانيا خلق النصرى اكثر من غيرها حيث كانوا يعدون اعظم امراء المانيا لاتساع ثروتهم وبهم شأنا وكانوا يعدون انفسهم ودين وزيرائهم وقرناتهم لا لاولادهم حتى تعودوا عليهم وخرجوا عن طاعتهم وفي اثناء هذه الفتن والمنازعات كانت العصابات لا يتغافلون عن توسيع دائرة حرماتهم وكانوا ايطلبون من طائفة الاشراف والامراء اعظم خصوصياتهم وحقوقهم وبالجملة فبلاد الالمانيا حصل لها غاية السعة والغصب من شدة ظلم هؤلاء القسوس الاجانب وفرط طمعهم الذي جاوز الحد

وفي اثنا الفتن والانقلابات التي حصلت بتلك البلاد بعد تنازل رومة على حق اقطاع الاراضي فكان ذلك سببا آخر في تقوية شوكتهم الدنيوية وازديادها وكان امبراطره المانيا وامراؤها قبل ذلك بزمن طويل يشعرون بهذا الحق فكانت سطوتهم ساطعة وارادتهم واسعة فلما اغتصبه منهم البابات صارت السطوة لهم حتى كان يمكنهم ان يعلوا الامبراطورية من اتباعهم وامراءهم فكنت ترى في كل اقليم المانيا كثيرين قد تعودوا على عدم الطاعة للامبراطور وصاروا تابعين لكنيسة الرومانية وفي جميع البلدان كانوا يعطون الاقطاعات الواسعة العظيمة للغرباء لا للاهالي فكانت حرارة عامة اوروبا تمتد في نيل ديوان رومة ورحمته وازداد غنى القسوس وتعظيمهم حتى ان البدع الكثيرة والاوهام التي كانت تحمل الناس في تلك الاعصر الجاهلية على احترام القسوس لم تمنع نفور الناس من ظلم القسيسين وتجاوزهم الحدود فتعدى كبراء اهل المانيا بالشكاوى وعيل صبرهم حتى خشي البابات ان يكون عاقبة ذلك مشؤومة عليهم فتساهلوا ورضوا بالنزول عن بعض حقوقهم واكتفوا بحق اقطاع الاراضي التي يمكث بدون مالك مدة ستة اشهر من السنة وتركوا ما عدا ذلك للامراء والسادات يتصرفون فيه كيف شاؤوا

ولكن لم يمكث ديوان رومة مدة الا ووجد له وسائط يتخلص بها من هذا

مطلب
كان قسوس المانيا يبغضهم الاهالي

مطلب
الوسائط التي استعملت لتقوية دائرة شوكة البابات ولم يكن لها ثمرة

١٥٢٠

الامر الذي صاحب به دا آ نره شو كيهم وذلك انه كان ثم عادة قديمة يشكي منها الناس عمومًا وهي ان البابا كان له في كل بلدة بعض اراضي مخصوصة لا يعطيها الا هو فقط ان صاحب شوكيهم من الجهة السياسية جعلوا تلك العادة مطمح انظارهم وتوسعوا فيها حتى جاوزت حدودها القديمة فجعلوا من جملة ما قصدوا فيها جميع الاقطاعات التي تملكها الكرد ينالات وارباب الوظائف بديوان رومه الذين كان لا يحصى لهم عدد وجميع ما يحل من اقطاعات القسوس الذين يموتون في مدينة رومه او يموتون بالبعد عنها بمسافة اربعين ميلا سواء كان الميت ذاهبا اليها او آيبا منها وكان يدخل تحتها ايضا جميع الاقطاعات التي تبقى خالية بعد انتقال مالكها الى محل آخر وكذلك اقطاعات اخرى لا تحصر لانواعها وبالجملة فالبابا جاليوس الثاني والبابا ليون العاشر توسعا في ذلك بقدر ما امكنهما حتى ان اغلب الاراضي التي اقطعاها لم تكن من جملة ما هو مقرر في المشروط على وجه الصراحة وبعلة انهما انما لا يشبهما في الذهن والسمعة حق الاختصاص بهذه الاقطاعات مع ان حق انما الاختصاص دهشاويه كان وقد لا يعمل به الا في شان الاقطاعات التي تكون خالية عن الولي او المالك عند عقد به الاختصاص فلا جل ان يخلص البابات من ذلك ويكونوا مطلقي التصرف في شان الاقطاعات كما كانوا اولا حددوا امرا آخر سموه بالانعامات المترقبة أن تكون محاوله وهو ان يكون لهم الحق في تعيين من يكون له الاستدلال على ارض عند خلوها من المالك فبهذه الواسطة صارت الامبراطورية الالمانية مشحونة بقسوس لا ينقادون الا لديوان رومه ولا يميلون الى حزب غير حزبه بسبب تلك الاقطاعات المترقبة التي لا تكون الحق فيها بالسواء وحرم الامر آ نا من اغلب مراياهم وصارت حقوق امرآ ألما لا يسلك غرضة للزوال او لا مع لها

وبما سلكه القسوس في هذا الشان من الطرق الخسيسة ازداد بغضهم عند الناس وسقطت منهم المروءة وجاوزت اطماعهم ومظالمهم الحدود حتى صار يضرب المثل بديوان رومه في ذلك اذ كان هذا الديوان يبيع الاقطاعات جهرا على

بيع ديوان رومه الاقطاعات

رؤوس الاجتهاد حتى صار الحجاز يستمرون من بركة الباباوات الى الارشادات الالهية مجلة ويستعملونها لمصلحة فيكتسبون منها مكاسب عظيمة وكان الحجازيون مصرّون في هذه الافعال التي هي مع الدين بالدنيا ولا يليق بالاوسة حيث انهم عبّاد من النصرانية كان اهل الدول وارباب السياسات كانوا يأسفون كل الاسف على ما يعرض للدول من الخسارة بسبب تلك الضرائب التي كانت تذهب باموالها الى الدولة الرومانية

وبالجملة فالمبالغ التي كان يأخذها ديوان رومة من جميع البلاد التي تحت حكمه كانت جسيمة جدا بحيث لا يستعرب عود الناس من صرف مغارم اخرى عليهم زيادة على ذلك وان كانت طلبة جدا لم تكن ناشئة عن ضرورة ظاهرة جلية وذلك لان كل قسيس احدث رتبة كان يدفع للباباوات ايراداتها في السنة الاولى فكان يحصل من ذلك مبالغ جسيمة ومقادير عظيمة وزيادة على ذلك كان الباباوات يطلب ذلك عشور القسوس مبالغ اخرى على سبيل التبرع وكان له العسر في تحصيلها معللا بانه يصرفها في الحرب مع المسلمين مع ان ذلك لم يكن يخطر له ببال فاذا تامل الانسان في تلك الابواب التي كان ياتي منها ايراد ديوان مدينة رومة علم عظم المبالغ والكميات الجسيمة التي كانت تحوزها تلك المدينة

هذا ويمكن للانسان ان يستدل بذلك كله على فساد اخلاق القسوس وفرط عناهم وزهوهم وعظم مراباتهم وسوء كبرهم فيستدل بظاهر ... بعض دين الكنيسة ويستدل ايضا على ظلم الباباوات واجحافهم بالنصارى وعلى اعتبار الناس لهم في اوائل القرن السادس عشر*ولا يخفى ان لم اهل هذه الاسباب المقدمة عن مولى ذلك العصر الذين كانوا يدخلون في الكنيسة وسايسون امورها حتى سوءهم ان ذلك من قبيل المبالغة لان هؤلاء المؤلفين كانوا يريدون دمار الكنيسة فبالغوا في ذمها وتعداد خطاياها ومفاسد احكامها وانما استنبطها من مواد صحيحة تعتمد عليها فاستخرجها من دفاتر مشاوري الدين الالمانية ومن دفاتر سكوانيا حيث يوجد في تلك الدفاتر جميع المظالم التي

مطلب
كان ديوان رومة يستعرق اموال سائر الدول ويحوزها

مطلب
مجموع منابع هذه الاسباب السابقة

سنه ١٥٢٠

كانت تشكي منها الاهالي وتطلب ازالتها الا قليلا وكانت تلك المظالم مذكورة بعبارات باردة تدل على انها خالية عن المبالغة والاطراء حيث ان عباراتها ليست عبارات المتحامل فاذا علم الانسان ان هذه المساوي مع طولها وعود كلها اذ ذاك كانت تشكي من هذه المظالم وتطلب ازالتها اعتقد ان الاهالي كانوا اشتكوا اكثر من ذلك وكادت تزهق نفوسهم من ظلم القسوس

مطلب
استعداد الناس وصلاحيتهم لاتباع مذهب لوتير

ولما كانت العقول مستعدة لهذه المثابة وكان الناس يرجون الخلاص من اسر ديوان رومة كان لوتير مستعدا للنجاح في مشروعه فعلا ان اسر هم ظلم هذا الديوان كل الاضرار وحكموا ارتباطهم بلادهم في كرب شديد من ظلم القسوس وبعضهم فرحوا اكل الفرح بتلك الفرصة التي تبعدهم من هذا الظلم من تعصب الآراء والمذاهب الجديدة وتطلب مع غاية الفرح والسرور وعما قليل انتشرت في سائر اقاليم المانيا تعاليم لوتير وما سلكه من الطرق في نشر مذهبه وذم من لم يساعده عليه اوجب له اللوم في الاعصر التي تهذبت فيها الاخلاق وعدت من المثالب التي تزري بعرضه ولكن لم تعرف منها النفوس في عصره بل استحسنت منها القصد ولان الناس وقتئذ كانوا في كرب عظيم من ظلم الباپا وفساد الاخلاق القسيسية التي كان لوتير يريد اصلاحها

ثم تعرض نفوسهم لما ذكره في مؤلفاته من اشتهم والقدح فيهم ولا من تجريبه واستهزائه بهم حتى كان في بعض الاحيان يمزج الجد بالهزل لانه في تلك الاعصر الخشنة كان الناس في مجادلاتهم مع بعضهم لا يتحاشون المسبة والفحش بل كانوا ياتون بالهزل في كل مقام جليل وكان ذلك من الاسباب الاكيدة التي اعانته على افهام الناس ضلالات الباپا ومظالم القسيسين التي تعرف بها القلوب وجلب الناس على التخلي عن حزب الكنيسة

مطلب
خراج من الطمع واغاثته على تقدم الشيع

وقد انضم الى هذه الاسباب المستمدة من نفس هذا المشروع ومن مقتضيات الاحوال اذ ذاك اسباب اخرى احسنه استعداد بها لوتير هو اكد حلفاه

لم يتيسر لمن سعى في التصدي لخطيئة الكنيسة الرومانية من أقوى هذه الأسباب الاجنبية وأعظمها نفعا اختراع فن الطبع الذي كان موجودا من قبله بنصف قرن وذلك ان هذا الفن النفيس كان معه عموما نفس سهل به اكتساب العلوم وانتشارها على وجه عجيب فانتشرت به في أقرب وقت مؤلفات لوتير ببلاد الافرنج بأسرها ولولا هذا الفن لما وصلت هذه المؤلفات الى البلاد البعيدة الا مع غاية البطء وربما كان لا يترتب عليها ثمرة اذ كانت المؤلفات لا يقرؤها الا العلماء والاغنياء لانه قبل اختراع فن الطبع كان لا يتيسر لغير الاغنياء تحصيل الكتب لغلوها وندرتها واما مؤلفات لوتير فكثرت بأيدي الناس وقرأها الغني والفقير والخامل والخطير وكان لوتير يعرض عليهم مذهبه بصورة الاستفهام عن آرائهم هل يوافقون عليه أم لا فاغتروا بكونه جعلهم حكاما بينه وبين اخصامه وعمدوا الى أصول الدين وأحكام الكنيسة وعرضوا أمام محكمة عقولهم وأعادتها لوامكرهم على اتباعه واعتقاده من غير ان يعرفوا أصله ولا كيفية استعداده من الدين

وقد حصل في ذلك الزمن اتصال ما علم الآداب فكان من الأسباب الطارئة التي أعانت لوتير كل الاعانة على تقدم مذهبه وذلك ان الناس اشتغلوا بمطالعة كتب قدماء مصنفي اليونانيين واللاطينيين فعرفوا منها اللطائف التي تؤدب الانسان وتهذب ذوقه وطبعه واستنبطوا بذلك العقول وخرجت من عساهب الجهالة بعد ان مكثت فيها عدة قرون فترقى الناس حينئذ على حسب عقله ملكة الفكر والتعقل التي كانت غائبة منهم ولما انفتحت لهم تلك الأبواب واتضحت لهم السبل أخذت عقولهم تجول في كل مادة من غير ان تخشى الحدود وتحملت فيها حيث ظهرت لهم معالمها واتضحت لهم مسالكها فصاروا لا يخشون التمسك بالمذهب الجديد حيث كانت الافكار ترى كل مادة وتعرف عيوبها من بعد ما وتميز صحيحها من سقيمها وصار الناس يرغبون كل الرغبة في كل أمر جديد ويعتبرون فضل تجديده فبناء على ذلك اذا كان في مادة سر فيه كإيجاد الدين فلما لم يعرفوا من لوتير حين تجاسر على كشف الغطا عن ضلالات الكنيسة

سنة ١٥٢٠

مطلب
اعانة علم الآداب على تقدم التسنن

سنة ١٥٢

الباطلة وبرهانها العاطلة بل حصل لهم غاية السرور من خسارته واعانوه على
نجح مقصده ثم لم يكن هم لوتير في التأليف سبا ولا عيبا بعقيدة مسيحية
الا وبذل جهده في احياء الآداب القديمة وتوسيع دائرتها فانه لما كان
يعرف ان الانسان لا يمكنه كشف اسرار الكتاب المقدس ولا الوقوف على
دقائقها الا بعد التمكن من العلوم الادبية شرع يتكلف لمعرفة اللغة اليونانية
والعبرانية حتى صار له في هاتين اللغتين الحظ الاوفر وقد نجح عدة من تلامذته
في تلك العلوم نجاحا عظيما منهم الشهير ملنكثون ثم ان جهلة الرهبان
الذين توقفوا في مذهب لوتير وتصدوا لابطاله وتخطئته بذلوا جهدهم
في منع دخول العلوم الادبية بلاد المانيا حيث قالوا ان ما هو واقع من
قبول الناس لمذهب لوتير انما هو من جملة ما ترتب على تقدم تلك العلوم
ومن ثم كانت هي ومذهب لوتير معتبرين كانهما امران متلازمان لا ينفك
احدهما عن الآخر وكان لهما في كل بلاد مساعد ومعاند وبالجملة فبمعرفة
الآداب فاق الباحثون اخصامهم حتى كانوا يغلبونهم ويلزمونهم الحجة في كل
مادة جادلوهم فيها وذلك ان الباحثين كان لهم سعة اطلاع ومزيد ثبات وتمكن
وذهن ثاقب له اقتدار على الجولان في المواد العويصة وكانت عبارات تآليفهم
تأخذ بمجامع القلوب لرقتها وعذوبتها واشتمالها على الملح الادبية والنكات
المستحسنة فكان يسهل عليهم افحام الرهبان حيث كانوا وقتئذ جاهلين
لا معرفة لهم بعلم الميزان فلا يحسنون اقامة برهان ولا تركيب قياس بل كانوا
يأتون بعبارات ركيكة مستهجنة تمجها الاسماع فلم يكن لهم اقتدار على تعضيد
ضلالات الكنيسة التي لم يمكن لمن تصدى من علماء المتأخرين لتأييدها ان ينكروا
ء ويهامع انهم اعظم منهم علما وفهما
فلما انتشرت العلوم الادبية في بلاد اوروبا وانسلت العقول من اوحال الجهالة
صار الناس يبحثون عن كل شيء ويرغبون في معرفة اصوله وفروعه فاعان
ذلك كثيرا على تقدم المذهب ونجاحه وتوسيع دائرته حتى ان عدة اناس كانوا
قبل ذلك لا يرغبون في نجاح لوتير اعانوه على مشروعه اتم الاعانة وحثوا

الناس

سنة ١٥٢

الناس فيقول مدة موا ساعة بل ظهر لاعلب دوى العقول الذين اجتهدوا في العلوم الادبية القديمة في اواخر القرن الخامس عشر واوائل القرن السادس عشر فساد عدة من اصول الكنيسة وقواعدها فعرفوا ان ما اقامه الرهبان والقسوس على تأييد تلك القواعد لا يقوم دليلا على ذلك مع انه لم يكن لهم غرض في نسخ دين الكنيسة

فصار هؤلاء العلماء يقدحون في عدة من احكام الكنيسة ويخطئون كثيرا من اصولها ويحتقرون جهلة القسوس الذين كانوا يعضدونها وآل امرهم أن صاروا يسخرون من تلك الاصول التي هي مبنية على الخطاء والضلال وينسبونها على الكنيسة فحسن سمعهم هذا لعقول الناس ذم لوثير وقدحه في الكنيسة واصاخ من قلوبهم احترامهم لاخصام لوثير وقدغم ذلك سائر الاقطار لاسيما اقطار بلاد المانيا فانه لما شرع اهلها في احيا علوم الآداب القديمة وكان قسوسها اجهل من قسوس البلاد الاخرى تصدوا لمنع هذا المقصد وبذلوا في تعطيله غاية جهدهم غيران المولعين باحيا تلك العلوم جدوا في ابداء هؤلاء القسوس وذمهم والوقوع في اعراضهم بشكل كريه فطالما اسفر الشهير روشلين والماهر هوتان وغيرهما ممن احيوا الآداب في بلاد المانيا على الكنيسة الرومانية وتجاوزوا الحد في المفاسد والعواقب ذلك حتى ان مؤلفاتهم لم تكن في هذا المعنى دون مؤلفات لوثير وتمارست على علوم الآداب ان صار الشهير ابراسم كان يقدف الكنيسة احيانا ويسن صلالانها ويطري في ذم جهالة القسوس وردآ ملهم وكان له في اوائل القرن السادس عشر شهر عظيمة وكلمة نافذة ببلاد اوروبا فلذا كان الناس كافة يرغبون في مولفاته ويسرح صدورهم بمطالعتها حتى ان ما ترتب عليها من الثمرات حرية بالذكر حيث انه من اعظم الاسباب الاكيدة التي نجح بها لوثير فيقولون ان ابراسم اعد من مبدء امره للدخول في الكنيسة فارس من صغره علوم القسوس حتى فاق احبار عصره في الفحص عن اسرار العلوم السولوجكية اي علوم اللاهوت

وإن كشف مذهبه الثاقب وفهمه الصائب واتساع دائرة علمه مقدارا جما
من ضلالات الكنيسة الرومانية وبدعها في المعاملات والعبادات وأنكر بعض
هذه الضلالات بأدلة قاطعة السهام حالية بفصاحته الساطعة وشنع على البعض
الآخر ورماه بنبال الاستهزاء والذم وكان يحسن الرأي في هذا المعنى حتى أثر قوله
في قلوب الناس تأثيرا قويا وبالجملة فقد عثر هذا الحبر الشهير على العقائد الفاسدة
والعوائد الكاسدة التي كانت في كنيسة رومة وشرع لوتير في محوها
ونسخها وشنع عليها ذلك الماهر كل التشنيع فلم يزل لوتير ولم يمنعه منها إلا القليل
النادر حتى اتحد لوتير في القدح في تلك الكنيسة وإفساد قواعدها إجابة
أراسم بالتهليل وسعى في تجديد الحمية وسمى عدة من أصحاب لوتير
وأعوانه وبذل كل جهد في ذم أخصامه وهجو أعدائه واستحسن آراءه على
رؤوس الأشهاد وأعانه على قهر الأحبار الذين كانوا يدرسون بالمدارس العلوم
اللاهوتية وشنع على القسوس الذين كانوا يغطون الناس ويحثونهم
على اتباع مذهب الكنيسة الذي يوجب المضرة والمعرة وأعانه أيضا غاية الإعانة
على استمالة عقول الناس إلى مطالعة الإنجيل واجتهد في أن يرشدهم إلى
حقيقة دين النصرانية ويحرضهم أن لا يقبلوا الاعتراض عليه من العقائد
والأحكام

ولكن كان ثم عدة أسباب منعت أراسم عن إعانة لوتير في النسخ
وتلك الأسباب هي أنه لم تكن عنده جسارة حتى يخاطر بنفسه مثل لوتير بل
كان شديد الخوف والفزع مجردا عن ثبات الجنان الذي به يتأتى للإنسان
أن يقتحم أخطار مثل هذا المشروع الجسيم وهو نسخ شيء من قواعد هذا الدين
الذي كان متمكنا من قلوب الناس ومتسلطا عليها حتى صار لأتباعه أعني
القسوس سلطنة كبيرة على جميع البشر وصار إجلالهم من الأمور الواجبة
على كل إنسان لا سيما وكان أراسم المذكور يطيع الأكابر وأرباب المناصب
ولا يرد لهم أمرا وذلك لأسباب منها أنه كان يخشى أن يجردوه عما أنعموا به عليه
من المرتبات والمزايا ومنها أنه كان يحب دوام الصلح والراحة ويبغض التعكير

والغير فكان لا يرضى ان يتصدى لنقض دين الكنيسة الرومانية لعلمه بما يترتب
عليه من الشقاق بل كان يأمل انه مع الرفق والملاطفة وطول الزمن يمكن ازالة
مظالم الكنيسة وضلالاتها ومحو مفاسدها شيأً فشيأً وبالجملة فكانت
مقتضيات الاحوال اذ ذاك تحمله على العدول عما قصده برمته في مبدأ الامر
من التشنيع على الكنيسة حتى صار انه يصلح بين لوثير واخصامه لا ظهير له
باحد شاطر فيما شرع فيه من النسخ لكن وان عدل ارازم عن مذهبه
الاول وصار من جملة من يلوم لوثير على جسارته وخشونته حتى زعم فيما بعد
ان يؤلف كتابا يشنع فيه على لوثير الا انه كان في الواقع حليفه وظهيره في ازالة
في ميدان المبارزة مع كنيسة رومة كما انه كان اول من فتح له ابواب هذا
الحرب ومهد له سبله فهو الذي غرس اول زرع و لوثير عاناه واعتنى به حتى
طابت ثمرته فجناها فتحرزه ارازم من الكنيسة وتكاتبه اللطيفة
في التشنيع عليها هي التي مهدت السبل للوثير في ذمها والتشنيع عليها
على رؤس الاشهاد كما شهد بذلك احزاب الكنيسة الرومانية ممن كان معاصرا
لارازم وذلك لا يخفى على من قرأ تاريخ ذلك العصر وعرفه حق المعرفة
ولا يخفى انى فيما ذكرته من الاحوال التي اعانت لوثير وحسنت مذهبه
للعقول واغاظت اخصامه واعداه لم اتعرض لذكر شيء من المناقشات في شأن
قواعد الكنيسة الرومانية ولم ابرهن على ان هذه القواعد مخالفة لفحوى دين
النصرانية وانها لا اصل لها في العقل ولا في الكتاب المقدس بل ولا في رسوم
الكنيسة بحسب الاصل بل تركت ذلك لمؤرخي القسيسين لانه من
خصوصياتهم ولكن اذا نظر الانسان الى هذه الاسباب المنسية من الدين ونظر
ايضا الى الاسباب السياسية التي كانت موجودة وقتئذ لا ينبغي له ان يستغرب
ما نشأ عن هذين الامرين على حسب عقله من التأثير في عقول الناس وذلك
ان عصريي لوثير كانوا على شدة القرب من محل الواقعة فلم يمعنوا اسبابها مع
التؤدة والتأني لما داخلهم من مزيد العجب من امرها وسرعة نجاحها
او كان لهم فيها مصلحة وغرض فلم يمكنهم ان ينبهوا على حقيقة تلك الاسباب

سنة ١٥٢١

واشكل على بعضهم سرعة انتشار مذهب لوتير بعد ذلك من الانقلابات العجيبة التي صارت بها عقول الناس مستعدة لقبول هذا المذهب والحق ان نجاح لوتير في ذلك انما نشأ عن عدة اسباب معلومة اعانته حق الاعانة على تتميم مقصده هذا ونأمل ان ما ذكرناه في شأن هذه الحادثة الغريبة المهمة ومعرفة اسبابها لا تقتضي بأن الانقلاب المجرد عن الفائدة ولنرجع الى موضوع تاريخنا الاصلي فنقول

مطلب مذاكرة مشورة دييت بمدينة وورمس سنة ١٥٢١

لما انعقدت مشورة الدييت بمدينة وورمس طالت مدة المذاكرة كما هو العادة في المشاورات العمومية من البطء والدعة ومكث اربابها مدة طويلة في وضع قوانين داخلية لضبط الامبراطورية وربطها واسنادها للمجلس الامبراطوري ان يكون له الكلمة العليا في الحكم وان يكون المرجع اليه وجعلوا امور مشيخته لاقامة الدعاوي به حيث ابدلوا طريقتها الاولى بطريقة اخرى احكم منها واتقن وجددوا مجلسا يقال له مجلس النيابة او المعاونة اعدّوه لمساعدة الامير فرديند على تدبير الامبراطورية مدة غيبة اخيه الامبراطور شرلكان لانه لكثرة ممالكه ومصالحه كان لا يمكنه ان يستمر على الاقامة بالمانيا ثم فاوضوا في شأن الدين وكان هناك اسباب تدعو الامبراطور شرلكان الى حماية لوتير واعانته على تتميم مقصده ولو باطنا لانه كان له في المانيا اغراض وآمال كثيرة ولو لم يكن له من الالتزامات سوى الممالك الموجودة بها ولا من المناصب سوى تاج الامبراطورية لكان ذلك كافيا في حمله على اعانة لوتير وحمايته حيث انه كان يدافع عن الخصوصيات التي هي من حقوق امبراطورية المانيا يدافعون عنها من باباوات رومة ويساطو بلاعتراضه لما كان الملك فرنسيس ملك فرانسا يسعى دائما في اضراره وتعطيل مصالحه الجأته الضرورة ان يسلك في مقاصده مسلكا اوسع مما سلكه امره من امر البابا فلم يقتصر على اعانة لوتير وحمايته لما رأى ان ذلك يضر بمصالحه في غير بلاد المانيا ورأى انه لا بد له من استمالة قلب البابا والتودد اليه فأنسى لوتير واغلظ عليه ظنا ان ذلك اعظم واسطة

في

سنة ١٥٢١

في اشتغال البابا الى حربه ثم كان لا يمكن ان يسلم لقسوس المانيا فيما طلبوه
من ارباب مشورة الديت من الحكم بقتل لوتير على الفور حيث
ان البابا طرده وحكم عليه بالحرمان وعده من الفرق المبتدعة المخذولين
المطرودين عن باب الكنيسة المحرومين من نعمها الالاهية فاظهر لارباب مشورة
الديت ان هذا من محض الظلم والتعدي فحط رأيهم على ان يدعوا لوتير
اليهم ليسألوه هل هو باق الى الآن على آرائه واعتقاداته التي اوجبت له غضب
الكنيسة او رجع عنها ومحاها حسابا بالتوبة فاعطاه الامبراطور شرلكان
تذكرة الطريق وكذلك جميع الامراء الذين يلزمه ان يمر ببلادهم عند ذهابه الى
المشورة المذكورة وكتب له شرلكان ان يأتي الى مشورة الديت
بدون براح ولا يخشى بأسا احدا ابدا فبمجرد وصول الامر الى لوتير تأهب
للسفر ولم يتوقف اصلا وسافر ومعه رسول الامبراطور وتذكرة الطريق حتى
وصل الى مدينة وورمس التي كانت منعقدة بها المشورى وكان كل من قابله
في الطريق من احبابه يذكر ما وقع للعالم جانهوس وكان مثل لوتير
في الديت وكان معه ايضا تذكرة طريق من الامبراطور ولم تنفعه فصاروا
يحذرونه وينصحونه ان لا يذهب الى مشورة الديت ولا يلقي بنفسه الى
التهلكة لكنه كان ثابت الجنان فاسكتهم بقوله اني مطلوب الى وورمس
وها انا ذاهب اليها باسم الله فلا ابالي ولو تحزب علي من هؤلاء الشياطين ما يبلغ
قدره عدد الحجر والحصى

مطلب
الزام لوتير بالحضور الى
مشورة الديت

في ٦ من شهر ادار

ولما دخل مدينة وورمس بلغ اهلها بالاكرام والتبجيل بحيث لو كان
غرضه من التشنيع على الكنيسة مجرد التفاخر بين الناس وحب المحمدة
والشهرة لكان ما حصل له في هذه المدينة كافيا في جرأته على سعيه واجتهاده
وذلك انه احدق به من الناس المتشوقين لرؤيته اكثر ممن اجتمع منهم حول
الامبراطور شرلكان حين دخوله تلك المدينة مع الموكب والاحتفال
وكان يتردد اليه الناس كثيرا حتى كان المحل الذي نزل به غاصا كل يوم من
الامراء والاعيان واحسنوا معاملته واحترموا احترام من له اقتدار على

مطلب
دخوله بمدينة وورمس

سنة ١٥٢١

الخصام المفحم والزامه الحجة ولا شك ان مثل هذا الاحترام من اولي الفضل العظام اشرف واعظم للانسان مما يستوجبه علو مقامه وشرف منصبه او حسبه ونسبه الا انه يكون صادرا عن صدق نيته وخلوص طويته ولما حضر لوتير في منشور الديت سلك مع اربابها مسلك الحشمة والادب واظهر فيها ما يدل على ثبات جنانه وعلو شانه وحيث اعترف انه تجاوز في مؤلفاته الحد والطور في تشنيعه على الكنيسة لكنه قال لا اتحول عن آرائي ولا ارجع عن مذهبي الا اذا اتيتم لي بادلة قاطعة وبراهين ساطعة على بطلانها وخطائها واني ان قبلت من البراهين الا ما كان مستنبطا من كلام الله ونصوص الانجيل

فلما لم ينفع معه التهديد ولا التهديد وابى ان يرجع عن مقصده عرض بعض القسوس على ارباب الديت ان يأسروا جمعيته هو ونسبته القسيسية ويبادروا بقتل هذا المبتدع ويرجعوا امر الكنيسة قبل ان ينتشر من اتباعهم فلم يسمع ارباب المشورة قول هذا البعض لما رأوا ان ذلك يخل بمروءة اهل المانيا ويكسبهم العار حيث كان معه منهم ورقة الامان وكان الامبراطور شرلكان ايضا لا يحب ان يدنس مبادي حكمه بمثل هذه الفعلة الذميمة فخلوا سبيله واطلقوا سراحه الا انه بعد ارتحاله من مدينة وورمس

في ٢٦ من نيسان

بعض ايام صدر امر باسم الامبراطور ومشورة الديت ان لوتير قد

مطلب
الامر الصادر بالقبض على لوتير

استحق القتل وهو مذموم مخذول يجب تجريده من سائر المزايا التي يتمتع بها بوصف كونه من رعايا الامبراطورية ولا يجوز لاحد من الامراء ان يدخله في حمايته بل يجب عليهم ان يقبضوا عليه بعد فراغ الاجل المسمى في ورقة الامان التي معه ولكن لم يجر العمل على مقتضى هذا الامر وذلك لسببين احدهما ان الامبراطور عرضت له اشغال كثيرة لما حصل ابتداء من التكدرات والفتن في اسبانيا والحروب التي وقعت في ايطاليا ومملكة البلاد الواطئة

مطلب
قبض على لوتير واخفائه عن اعدائه في وارتبورغ

وثانيهما هو ان الامير فريدريك منتخب سكسونيا كان يحب لوتير محبة صادقة ويبذل جهده في حمايته والذب عنه فحصل في انقاذه من ذلك

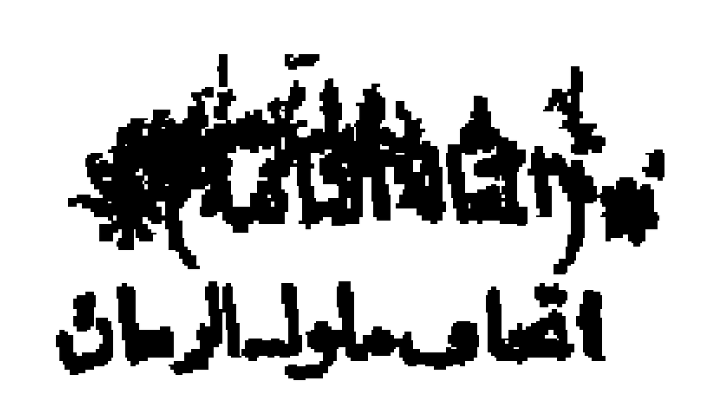
باحتراس

سنة ١٥٢١م

باحتراسات مبنية على الحزم وسداد الرأي ودلالات لوتير عند رجوعه
من مدينة ورمس من تعريب مذهبه ألسنس في اطلم توزيعه
خرج عليه من اجمة هناك جماعة من الخيالة متنكرة فاختطفته وجماعته
وكان فريدريك هو الذي احتاطهم بهذا الحيل لذلك الغرض فبعد ان صرف
الخيالة من كان مع لوتير اخذوه واتوا به الى وارتبورغ وهي قلعة قريبة
من الاجمة التي هجموا عليه منها فامر فريدريك حالا بان يعطى له
كل ما يحتاج اليه وان يجاب في كل ما يطلبه الا انهم ضيقوا عليه باخفائه
في محل مجهول من هذا القصر لئلا يطلع عليه احد ومكث على تلك الحالة حتى
تغيرت احوال اوروبا وتجددت بارتجداعدآته وكانت مدة مكثه في هذا المحل
تسعة اشهر وكان يسميه البطموس وفي هذه التسمية اشارة لطيفة لان البطموس
اسم الجزيرة التي نفي فيها الحواري ماري يوحنا ولم يزل في تلك المدة يعضد
مذهبه ويقوي اراءه ويبرهن على بطلان مذهب اخصامه مع الحدة والشدة
التي كان عليها قبل ذلك وصنف في هذا المعنى عدة تآليف ونشرها
بين الناس فاحيت من عزم اصحابه وافادت لهم همتهم بعد فتورها لغيبته
عن اعينهم

مطلب تقدم مذهبه

ولم يزل مذهبه في غربته آخذا في التقدم والانتشار حتى تمكن من عقول
الناس في اغلب مدائن سكسونيا وفي ذلك الزمن قوم من رهبان الطائفة
الاوغوسطينية الذين كانوا بمدينة ويتمبرغ بسبب قبول مذهب لوتير
في الاونيورسته (مجمع العلما ومنبع الاحبار) وتصدي فريدريك لحمايته
لانه كان ظهيره ونصيره في الباطن وشرعوا في احداث امر جديد في كيفية
العبادة فابطلوا اقامة صلوات القداس الصغير واشركوا طائفة اللائيك
في كل من نوعي القداس الكبير والصغير وكان لوتير يتسلى في غيبته بما يبلغه
من الاخبار في شان اجتهاد اصحابه ونجاحهم وتقدم مذهبه في وطنه الا انه
حصل في اثنا ذلك حادثتان تعصبا عليه عنيه حسب رآي انهما ما تعنيان من
انتشار مذهبه في مملكتي فرانسا و انكلترة اللتين هما اعظم ممالك



مطلب
الامر الصادر من اونيورسيته باريس بطلان مذهب لوتير

مطلب
تصنيف الملك هنري الثامن ملك الانكليز المناقض لمذهب لوتير

اوروبا شوكة وصولة الاولى هي ان جمعية العلوم بباريس حكمت ببطلان مذهبه وصدر بهذا فرمان في هذا الشان عليه الخاص والعام وكانت هذه الجمعية المسماة الاونيورسيته اقدم واعظم مجامع العلماء والاحبار التي كانت زاهية زاهرة ادذاك ببلاد الافرنج والحادثة الثانية هي ان الملك هنري الثامن ملك الانكليز صنف كتابا قصد به الرد على كتاب لوتير الذي الفه في اسر بابل وكان والد هذا الملك السابق كثير الظن والوسوسة يخشى ان يحصل لولده على مصالح الدولة حسد وغيره فشغله عن ذلك بتعلم الآداب ليحتاج الى التكلم لم يزل مائلا الى الرغبة في المطالعة والاجتهاد اكثر مما كان يظن منه بالنظر لما فيه من الحدّة العزيزية والميل الى الشهوات النفسانية وكان يحب ان يكون له شرف في كل شيء يحب الكنيسة الرومانية حبا جما لاسيما وكان في غيظ شديد من لوتير على ما وقع منه من القدح والذم في حق المؤلف توماس داكين وكان هنري يحبه كثيرا فرأى انه لا يمكنه ان يستعمل شوكته الملوكية في ابطال مذهب لوتير وهدم آرائه واقواله بل عزم على محاربته بسوائر البراهين السكولاستيكية وصوارم الحجج والادلة السولوجيكية فصنف في هذا المعنى مؤلفا سماه بالاسرار السبعة وقد صار الآن نسيا منسيا كغيره من التآليف الجدلية التي تزول بزوال مقتضياتها وهو مع ذلك لا ينكر فضله بل يشهد لمؤلفه بالفضل في المحاورات والمجادلات وقد حمل التملق بعضا من خاصته على الاطراء والمبالغة في مدح هذا الكتاب حتى وصفوه بانه جمع من درر المعارف والعلوم ما يقتضي شهرة الملك هنري الثامن وسعة اطلاعه وفضله على غيره من المؤلفين في العلوم الادبية كما فضلهم في الرتبة والمقام وقدم الكتاب المذكور للبابا في احتفال عظيم بحضرة الكردينالات وغيرهم فتكلم البابا في شأن هذا الكتاب مع الاحترام التام حتى كأنه يتكلم في شأن كتاب صادر عن الهام الهي او نص رباني ولقب مؤلفه بحامي حمى الدين ليري ان الكنيسة تثني عليه وتشكره على سعيه المشكور وهو مدافعته عنها ولكن لم يسب هذا اللقب

سنة ١٥٢١

لهنري الثامن رتبة اطو بلائق عقول من لصوته بل بني خلفائه وان يخلفوا وعدلوا عن العقائد الى اسحق هنري الثامن بأسدها وتقييدها الى بلقب بهذا اللقب ولما كان لوتير لا يخشى بأس جمعية احبار ماريس ولا بطش ملك انكلتره بادر بنشر مطبوعات تتضمن الرد على الفرمان الصادر من الجمعية المذكورة وعلى كتاب هنري وقد بالغ في عباراتها بسلاطة الخشونة والقدح حتى كأنه انما كان يرد على احقر اخصامه واصغرهم ولم يفز بموافقة اهل ذلك العصر من جرأته ووقاحته في هذا الشأن بل عدوا ذلك برهانا جديدا على ثبات جنانه ولما كان ابطال هذا الميدان كلهم مشهورين ومعتبرين كانت مجادلاتهم مطمح نظر الخاص والعام وكانت عقول الامم اذ ذاك منعقدة على الابداع والاختراع وكانت براهين اصحاب المذاهب الجديدة اكيدة جلية لا تقبل ردا حتى لم تمكن القسوس ولا الملوك من نقضها بل كان يظهر لها كل يوم انصار واحزاب حتى في مملكتي فرانسا و انكلتره

مطلب رد لوتير

وكان الامبراطور شرلكان يود كثيرا ان يسعى في هدم مذهب لوتير الا انه منذ انعقاد مشورة الديت بمدينة وورمس كان مشغولا بامور اخرى اهم من امر لوتير تستدعي مزيد الالتفات اليها والاجتهاد في تدبيرها وذلك ان الحرب كان قريب الوقوع بينه وبين فرنسيس في مملكة نوار والبلاد الواطية وبلاد ايطاليا فكان يلزمه ان يسلك سبل النشاط والسياسة لمنع وقوع هذا الحرب بالكلية او يحترس مما يعقبه من اخطار ان لم يمكنه منعه لكن كانت مقتضيات الاحوال اذ ذاك تلزم الامبراطور بترجيح الامر الاول وهو منع وقوع الحرب لان بلاد اسبانيا كانت حينئذ عرضة للفتن والحروب الداخلية ولم يكن له في ايطاليا حليف يثق به ويعول عليه وكان رعاياه في البلاد الواطية يخافون من معاداة الفرنساوية لما حصل لهم قبل ذلك بمرة من الفشل والكساد في التجارة بسبب معاداتهم لهم وزيادة على ذلك كان الوزير شيوره مدة وزارته يبذل غاية جهده في ابقاء الصلح بين الامبراطور والملك فرنسيس فبهذه الاسباب لم يحمل الامبراطور شرلكان

مطلب حالة المصالح بين شرلكان والملك فرنسيس الاول

سنه 1521

بانتهار الحرب بل كان يتداول انشاء الصلح بينه وبين الفرنساوية الا ان الملك فرنسيس ووزراءه كانوا لا يميلون الى الصلح لان فرنسيس كان يعلم ان الصلح لا يمكن دوامه بينه وبين الامبراطور وانه لا يمكن التأليف بين قلوبهما لاختلاف اغراضهما ولتعاصرهما وشدة طمعهما وكان له عدة امور يطمع بها في الظهور على خصمه اذا فاجأه بالهجوم قبل ان يستعد للمدافعة والمقاومة وهي ان مملكة فرانسا كانت متسعة ملتئمة الاجزاء لا منافسة بين اهلها خالية عن الفتن الداخلية والحروب الاهلية وكان الملك فيها يكاد ان يكون مطلق التصرف وكان اهلها يميلون الى الحرب ويحبون ملوكهم حبا جما ولا شك انه بهذه المثابة كان لها اقتدار اعظم من دول الامبراطور شرلكان ثم ان دول الامبراطور كانت اوسع من مملكة فرانسا الا انها كانت في شقاق لا ينقطع وفتن لا تنقطع فكان بعضهم متعصبا على الوزرا وكانت شوكة الامبراطور فيها اضعف من شوكة خصمه فرنسيس في دولته

مطلب اهتمام هنري الثامن ملك انكليره بالامبراطور

واما الملوك الذين كان لهم اقتدار على تسكين نيران هذا الحرب او على اطفائها بالكلية فمنهم من اهمل في ذلك ومنهم من قواها وجد في اضرامها وكان الملك هنري الثامن يظهر انه يريد الاصلاح بينهما حتى اتخذاه حكما يعرضان عليه جميع امورهما ومع ذلك فلم يكن خاليا عن الاغراض مع ان ذلك لازم للحكم وذلك ان وزيره ولسي خدعه ومكر اوجب بغضه للملك فرانسا فكان هنري يضمر سر اسرار النفاق التي كان يلزمه اطفاؤها وكان مصمما على ضم الجيوش الانكليزية الى جيوش الامبراطور لقتال الفرنساوية وانما كان ينتظر لذلك فرصة او سببا معقولا يتعلل به ويستند اليه

مطلب تردد ليون بين الحزبين

واما البابا ليون فكان سعيه في ايقاع الفشل بين الامبراطور والملك فرنسيس الاول على وجه اظهر واقوى مما ارتكبه الملك هنري الثامن مع ان الواجب عليه بالنظر لكونه بابا النصارى كافة وبالنظر لمصالحه الخصوصية حيث انه ملك ايطاليا ان يكون محافظا على الامن العام

وان

سنة ١٥٢١

وان يحسب كل ما يترتب عليه فساد المذهب السياسي الذي لم يمكن نشره
في ايطاليا الا بعد المشاق والتعب الشديد وسفك من اجله دماء كثيرة
وقد ادرك من مبدأ الامر انه لا يليق به الا اتباع هذا السبيل فبمجرد استواء
شرلكان على الكرسي الامبراطوري صمم هذا البابا على ان يكون حكما بينه
وبين خصمه فرنسيس وان يداهن كلا منهما على حدته من غير ان يعقد معه
علائق الفة اكيدة ولو استمر البابا ليون على سلوك هذا الطريق لامكنه ان
يمد بلاد اوروبا من المصائب التي كان يخشى منها عليها الا انه كان جسورا
طماعا وكان في عنفوان شبابه فكان يريد أن يشهر ايامه بوقائع مهمة جسيمة
لا سيما وقد كانت أخذت منه حسد دوقية پرمة ودوقية پلزنسة فكان
حريصا على أن يطهر من درن الخزي والعار الذي لحقه بسبب اخذ هاتين
الدوقيتين منه وكان في حنق شديد من كونه يرى الاجانب يأتون من خلف
جبال الب ويحكمون بلاد ايطاليا حتى ان الايطاليين اقتداء
باهل جمهورية قدماء الرومانيين كانوا يسمون هؤلاء المتغلبين باسم المتبربرين
وكان البابا يؤمل انه بمساعدة لاحد الملكين المتقدمين اعني شرلكان
والملك فرنسيس على تحرير الآخر من البلاد التي يملكها في ايطاليا
يمكنه ان يتوصل فيما بعد الى طرد الغالب من بلاده وينسب له فضل البابا
[illegible] الثاني الشهير بكونه انقذ بلاد ايطاليا من الرق والاستعباد واعاد
لها السعادة التي كانت تتمتع بها قبل اغارة الملك كرلوس الثامن حين كانت
كل دولة يحكمها ملك من اهلها ويعمل بشرائعها وقوانينها التي رتبها لنفسها
ولم تكن داخلة تحت حكم الاجانب ومع ان هذا الامل كان من قبيل الهوس
والتسويلات النفسية التي لا طائل تحتها وافقه عليه اصحاب العقول والنهى
والطمع من الايطاليين حتى مكثوا معظم القرن السادس عشر وهم يجعلون
هذا المقصد مطمح نظرهم في كل مشروع مهم واسيمة وتحريره فكانوا يعللون
انفسهم بالاماني والاباطيل ويطمعون انهم لا تفاقهم في السياسة والتدبير
والخداع والمكر يمكنهم ان يغلبوا اعداءهم المتبربرين وان كانوا اكثر منهم قوة

سنة ١٥٢١

او جماعة واعتبر ليون انه شاهد الامالي حتى انه وان كان يميل بطبعه الى
الصلح والرفاهية والتمتع بالراحة بادر الى تعكير اوروبا واوقع فتنة في حرب
خطر مع عزم كبير يكاد يكون مساويا لعزم جاليوس الثاني الذي كان ذا
طيش وحدة لا همة له همة من الحرب

ولكن كان ليون متحيرا بين ان يكون مع من شاء من هذين الملكين في ضم الى
حزبه وكان كل منهما يرغب في استعطافه واستمالته اليه وسعى في ذلك
بجميع وسعه وطاقته فتشكك منه وهو يتردد بين الجانبين ثم عقد
معاهدة مع الملك فرنسيس كان الغرض منها اخذ مملكة نابلي وانه يقسمها
وكانت هذه المملكة بايدي الامبراطور شرلكان والظاهر ان البابا لما كان
تعهده في الملك فرنسيس من النشاط والمهارة والجسارة اعتقد انه
ان ساعد رعاياه الايطاليين الذين هم موصوفون بتلك الاوصاف يظفر
بالامبراطور شرلكان لبطئ مشاوره في الامور وكثرة ترددها وبذلك
يسهل عليه ان يغلب على نابلي لانها اقرب اليه من ممالك الامبراطور وبعيدة
عن بلاده فالحصن لا يستطيع المدافعة عن نفسها وكانت دائما عرضة
لان تكون غنيمة لمن يريد الغارة عليها ولكن مما اشكل تخلي هذا البابا عن حزب
فرنسيس واتحاده اولا مع الامبراطور ثم اولا نعلم سبب ذلك هل هو كون
ملك فرانسا ظهر منه ما يدل على كونه غير وافي بالبابا فخاب امله فيه
ورأى ان معاهدته معه لا يجد بها نفعا وانه من مبدء الامر لم يعتقد صحة هذه
المعاهدة الا ليتوصل بها الى التمكن من المداولة مع الامبراطور شرلكان
وانه رأى فيما بعد ان معاهدته مع الامبراطور اوفق له من المعاهدة مع
فرنسيس وانه احب الامبراطور ومال اليه بسبب انه شرف الكنيسة بمعاقبته
لوثير ومنع الناس عن مطالعة كتبه

طلب —— اشتراطه العهد بين البابا والامبراطور

هذا وكان الامير جوان منويل نديم الملك فيلبس ابي شرلكان قد اخرج
من السجن بعد موت الملك فرديناند وكان صاحب سياسة وحزم حتى انه
اشد على الملك فرديناند جميع ما كان يدبره من المقاصد والامور السياسية

سنة ١٥٢١م

فارسل الامبراطور شرلكان الى ديوان رومة لما كان يعلم انه لا احد اعظم منه اقتدارا على استعطاف البابا واستمالته الى حزبه ففوض له امر المداولة مع البابا واخفى هذا الخبر عن الامير شوره لانه كان يحاول منع وقوع الحرب بين الامبراطور ومملكة فرانسا فلو علم هذه المداولة لافسدها وصارت سدى ولذلك انعقدت المعاهدة في اقرب وقت بين البابا والامبراطور التي حصل عليها الاتفاق وكانت تلك المعاهدة اساسا للشوكة العظيمة التي اكتسبها شرلكان في ايطاليا وكانت موادها الاصلية سبعة الاولى ان الامبراطور والبابا يضمان عساكرهما الى بعضهم ليطردا الفرنساوية من دوقية ميلان ويعطياها الى ابن الملك لودوفيكو وهو الامير فرنسيس سفورس وكان فاطلق طريقه مدة غضب الملك عليه في ٨ من شهر مايو

اسمه مكسميليان وكان الغاصب لها ملك فرانسا الثانية ان ترد الى الكنيسة دوقية برمة ودوقية بلزنسه الثالثة ان الامبراطور يعين البابا على اخذ اقليم فراره الرابعة ان يزاد في الخراج السنوي الذي كانت تدفعه نابلي لكنيسة رومة الخامسة ان الامبراطور يدخل في حماه عائلة المديسيس السادسة ان يجعل للكردينال دومديسيس عشر آلاف من الدوكات على مطرانية طليطلة السابعة ان يعطي ما يساوي هذا المبلغ من الاراضي في مملكة نابلي للامير اسكندر وهو ابن الامير لورنس دومديسيس من الزنا

مطلب
موت شوره وزير
الامبراطور بغتة

فلما علم الوزير شوره بهذه المعاهدة العظيمة ولم يكن له دخل فيها اشتد ضياع الكلمة التي كانت له على بلاد شرلكان الى ذلك الوقت حيث كان قبل ذلك لا يفعل شيا الا باستشارته فحصل له غم شديد لا سيما وكان يعلم انه سينشا عن الحرب مع مملكة فرانسا مصائب كثيرة واهوال كبيرة فمات ان غمه عجل بهلاكه فمات بعد هذا الخبر بايام قلائل والظاهر ان هذا ليس الا من موضوعات المؤرخين الذين يحبون ان ينسبوا الى الاسباب غير العادية جميع ما يقع لمشاهير المعتبرين من الناس حتى انهم ينسبون امراضهم وموتهم

سنة ١٥٢١

الى ان مات بسياسته مع ان تلك الاسباب في العالم انما تنغص على الانسان
عيشه ولا مدخل لها في تقصير اجله وغاية ما يقال ان موت هذا الوزير مؤذن بترك
شرلكان في وقت كثرت اهواله وخطوبه منع الناس من الطمع في امكان
منع الحرب بين الامبراطور ومملكة فرانسا ولم يأسف شرلكان على
موته حيث كان يشق عليه ويمنعه عن بعض مقاصده لانه كان معودا على
الطاعة والامتثال اليه من صغره فكان لا يمكنه ان يفعل شيأ بدون رأيه
واستشارته وكان ذلك لا ا ى ويفقد غيابه ولا سـ ه فلما اشتد به المنية نفسه
ظهرت فيه اسس محبته وتعب قواه العقلية ولاح عليه الفلاح حتى ابدى
في مشاورته وتدبير مشروعاته من الحزم والاصابة فوق ما كان يؤمله فيه اهل
عصره واستوجب به مدح الاجيال التي اتت بعده

الحرب في مملكة نوار

وبينما كان البابا والامبراطور يستعدان للهجوم على دوقية ميلان عوقت
المعاهدة التي انعقدت بينهما بسبب ما ادى وقع الحرب في مملكة اخرى وذلك ان اولاد
جان دلبرطه ملك نوار طلبوا عدة مرات من الامبراطور ان يرد لهم مملكة
ابيهم حسبما هو مقرر في المشارطة المنعقدة بمدينة نوايون على يد الملك
فرنسيس وكانوا كلما طلبوا من الامبراطور ذلك يماطلهم ويعلل بامور
عديدة فرأى الملك فرنسيس انه يجب عليه اعانة هذه العائلة الملوكية التي ازعج
عليها الدهر بكبائه وكانت ظواهر الاحوال وقتئذ تقتضي مساعدته في هذا
المشروع لان الامبراطور شرلكان كان بعيدا عن مملكة نوار والجنود
التي كانت بها قد سحبت لتسكين الفتنة التي كانت حاصلة حينئذ في اسبانيا لا سيما
ومن كان من اهل هذه المملكة في غيظ من شرلكان كان يلح على فرنسيس
ان يتغلب على مملكة نوار ويعده ان معظم سكانها ينتظرون اعانته ليعودوا
على حرب الامبراطور ويدخلوا في حزب عائلة ملوكهم الاقدمين هذا وكان
الملك فرنسيس يحاول ان لا يغضب الامبراطور وملك انكلتره فجمع العساكر
وابتدأ الحرب باسم هنري دلبرطه لا باسمه وكانت قيادة الجيش للامير
اندرودوفوا كس دولسپار وكان شابا لا خبرة له بعدة بامور الحرب والقتال

واما

سنه ١٥٢١

مطلب تقدم الفرنساوية وظفرهم

وانما ملك هذا المنصب المهم لانه كان حليفا صادقا للملك هنري دلبرطه
لاسيما وكان ابن اخت فرنسيس وهي الكونتيسه شاوربان فلما دخل
هذا الامير مملكة نوار ولم يجد بها حصنا مستعدا للمقاومة تغلب عليها
كلها في ايام قليلة ولم يمنعه في سيره الا قلعة بنبلونة الا ان البناء الذي كان
الوزير اكزيمنيس احدثه في تجديد حصن هذه القلعة لم يكن تم فقاومت
مقاومة قليلة كانت لا تستحق الذكر في التاريخ لو لم يكن جرح بها الامير
اغناس دولويوله جرحا خطرا افكت هذا الامير مدة طويلة وهو يعالج وكان
يشتغل في تلك المدة بقراءة مناقب القديسين فحصل لها موقع عظيم في نفسه
واثرت في عقله بأن يباريهم لاسيما وكان بالطبع يميل الى الحماسة وكان صاحب
طمع وجسارة فاخذته الحمية والغيرة واراد ان يساوي في الفخار قديسي
الكنيسة الرومانية لما قام بنفسه من الحب بعدما قرأ مناقبهم مع ان هذه
المناقب مخترعة لا اصل لها ولم يكن هناك من القديسين من اتصف بها وبناء
على ذلك تصدى الامير المذكور لامور هوسية كانت عاقبتها انشاء الجمعية
او الطائفة اليسوعية التي صارت احسن الطوائف الدينية واعظمها
سياسة وادارة وان اضرت بالنوع البشري اكثر من غيرها كما نفعته ايضا اكثر
من غيرها

مطلب دخول الفرنساوية في مملكة قسطيلة

ولو اكتفى الامير لسبار بعد اخذه قلعة بنبلونة بكونه يحرس بقدر
الامكان حتى يأمن على خط موجه لكان من الجائز ان يبقى مملكة نوار
مع الفرنساوية الا انه لطمعه جاوز حدود تلك المملكة ووضع الحصار امام
لوغرونيو وهي مدينة صغيرة من مملكة قسطيلة لاسيما وكان الملك
فرنسيس فرح اذا نال ربحه او لاح نجاحه فلما علم بنصرة الفرنساوية
بعث يحرض الامير لسبار حتى هم بهذا المشروع الخطر واخذ يحاصر
مدائن مملكة قسطيلة وكان اهالي هذه المملكة الى ذلك الوقت لا ينكرون
ما وقع من الفرنساوية بمملكة نوار ولكن لما اخذوا في حصار مدائن
مملكتهم استشاطوا من غيظهم ونبذوا المداهنة فجمع جميعهم هذا وكانت

سنة ١٥٢١

بين الفريقين باسبانيا قد تجددت فانتصر اهل اسبانيا الى اهل قسطيلة
ليدافعوا عن وطنهم وكان فرنسيس الاول يقصد بمقابلة الفرنساوية ان يعمل ما امكنه
من الغيرة في مساعدته ومكافأته في هذه الامر وكان قصد الفريق الآخر
ان يثبت لنفسه الفخار بطرد اعدآء الامبراطور كما ثبت له الفخر بكونه فتح
فونترابيا الخارجة عن طاعته فجاءت جيوش اسبانيا بعينه
وانضمت الى اهل مدينة لوغرونيو فاضطر قائد الجيوش الفرنساوية الى
ترك شروعه الخطير ورفع الحصار عن المدينة المذكورة وركن الى الفرار
بنفسه فتبعته جيوش اسبانيا وصار يطرده ويهجم عليه مع الشدة والقوة
ولعدم تبصر هذا الامير وله رأيه لم يرد الى قلعة بنبلونة حتى يأمن من
اعدآئه ولم ينتظر حتى يصل اليه العساكر التي كانت مبعوثة لاعانته بل رجع
وهجم على جيش اسبانيا وكان اكثر من جيشه واشتد القتال بين الفريقين
وكان لسبار لا يحسن ادارة العساكر فهزم في الحرب وجرح واسر هو
واعيان ضباطه واخذ اهل اسبانيا مملكة نوار في زمن اقل مما لزم
الفرنساوية في التغلب عليها

طرد الفرنساوية وطردهم من مملكة نوار

وكان الملك فرنسيس يحاول البرهنة على ان اغارته على مملكة نوار من
باب العدل والانصاف لانها كانت باسم هنري دلبرطه وكان يبحث
من جهة اخرى عن حجة يعلل بها الهجوم على اراضي الامبراطور شرلكان
وذلك ان الامير روبيردو لامرك ملتزم اقليم بولون وهو اقليم صغير
مستقل بنفسه على ضواحي اقليم لوكسمبورغ واقليم شمبانيا خرج
عن طاعة الامبراطور شرلكان ودخل في حمى ملك فرانسا وادعى
ان المشورة الاولية (المشورة العليا الامبراطورية) قد افتاتت على حكومته
وتعدت من قضائه وحكمه في التزاماته فاشار عليه من يثق به ان يبعث رسولا
الى الامبراطور يطلب الحرب معه من شدة غيظه وسفهه سمع خوفه وبعث الى
الامبراطور رسولا في هذا الشأن فتعجب شرلكان من وقاحته وجرأته
لا يقدم على مثل ذلك من نفسه بل لا بد وان يكون ملك فرانسا وعده بالاعانة

ابتدآ الحرب في مملكة البلاد الواطية

سنة ١٥٢١ م

في هذا المشروع وقد ظهر بعد ذلك بقليل ان ما فهمه الامبراطور في محله
لان الامير روبير جمع شرذمة من فرانسا خلاف رضا الملك فرانسيس
وان كان في الظاهر يرى انه لم يأمر بذلك وسار الامير روبير مع هذا الجيش
حتى دخل اقليم لوكسمبورغ بعد أن خرب السهول وضيع المحصول امام
قلعة ورطون فاخذ شرلكان يشتكي من ذلك ويدعي ان فيه هتك
حرمة الصلح المنعقد بينه وبين ملك فرانسا وطلب من ملك انكلتره هنري
الثامن ان يوجه جيوشه الى قتال ملك فرانسا حسب ما يوجب
المشارطة المنعقدة في لوندره (سنة ١٥١٨) بتعهد ان يكون عدوا لمن يبدأ
بالتعدي من الفريقين وانه ينضم الى الفريق المعتدى عليه لقتال المعتدي
فزعم الملك فرنسيس انه ليس كفيلا ولا ضامنا للامير روبير حتى يطالب
بافعاله وان هذا الامير اشهر الحرب مع الامبراطور باسمه ولمصلحة نفسه
وان دخول الفرنساوية في عسكر الامير روبير لم يكن عن ارادته بل كان على
خلاف اوامره ولكن لم يلتفت ملك انكلتره الى هذه الحجة ولم يقبل منه صرفا
ولا عدلا فرأى فرنسيس انه لا ينبغي له ان يغضب ملك انكلتر لان غضبه
يشتد عليه مآربه فبعث الى روبير يأمره ان يسرح العساكر ويخلي
سبيلهم

ومع ذلك جمع الامبراطور جيشا لينتقم من روبير في نظير وقاحته وكان قدر
هذا الجيش عشرين الفا وكان قائد العسكر ناسو فاغار به على ارض روبير
وفي ظرف ايام قليلة تغلب على سائر مدنه وقلاعه ما عدا قلعة سدان وبعد
أن أرى انه لا قدرة له على غضب الامبراطور ولا طاقة له على العصيان والخروج
عليه توجه الى ضواحي مملكة فرانسا لان الامبراطور شرلكان كان
جازما بان ملك انكلتره يؤثره على الملك فرنسيس فكان لا يخشى العواقب
فلذا امر ناسو بمحاصرة مدينة موزون وكان محافظو هذه المدينة
اهل فشل وجبن فاضطر حكمدارها الى التسليم بعد مقاومة قليلة وبعد ذلك
حاصر الامير ناسو مدينة ميزير ولم يكن حصينة منيعة الا انها

مطلب
محاصرة جيش الامبراطور لمدينة ميزير

١٥٢١

بسبب وضعها ولو تغلب عليها جيش الامبراطور ليسهل عليه ان يدخل اقليم
بيمونت ويدخل هذا الاقليم ليسهل عليه الدخول في داخل فرانسا لانه كان
لا يوجد حينئذ بهذا الاقليم مدن حصينة لها اقتدار على صده ومنعه ولكن
لعظم حظ فرانسا كان الملك فرنسيس يعلم اهمية هذه المدينة فلما رأى
انه يخشى عليها من العدو سلمها للامير بيار وكان كلاهما ممتازا من اهل
عصره ومعروفا عندهم بالشجاعة وشرف العرض حتى لقبوه بهذا اللقب
وهو الامير المنزه عن الخوف والملامة لانه كان ذا عزم ثابت وتجلد غريب
في الهيجا وكان صاحب عرض شريف ومزاج لطيف وكان حائزا الاعظم
اخلاق ابطال السوارية القديمة وكان دأبها وهي مستكملا لسائر صفات
الابطال وفحول الرجال كما يشهد بذلك ما وقع منه غير مرة في المدافعة من
ميزير حيث انه بعزمه وحزمه طالت مدة المحاصر حتى اضطر عساكر
الامبراطور الى رفع الحصار بعد أن فقد منهم اناس كثيرون وركب الملك
فرنسيس حينئذ في جيش عظيم واسترجع مدينة موزون ثم سار بجيشه
الى مملكة البلاد الواطية وغلب منها على عدة قلاع ومدائن هيئة لكنه في هذه
المرة بلغ حد الافراط في الاحتراس حتى ضاعت منه فرصة عظيمة لا مثيل له
وهي انه كان يمكنه ان يقطع الطريق ويضرب مدينة والنسين على الجيش
الامبراطوري وهو آخذ في الفرار ووقع منه امر آخر اعظم من ذلك اضرت به
غاية كل الضرر وهو انه اغضب من عساكره الامير بوربون حيث اعطى
للدوق دالنسون قيادة مقدمة الجيش مع ان هذه الوظيفة الشريفة
كانت من وظائف الامير بوربون ومعدودة من جملة خصوصيات
منصبه

رفع الحصار

وفي مدة هذا الحرب كان بمدينة كاليس جمعية من الوزرا منعقدة لقطع
الحرب التي هي احسن وكان ملك انكلترة هنري الثامن هو الواسطة في ذلك
والمصلح بين الفريقين ولو كان باطنه مواظبا لظاهره بحسب عادته المداولة الى
حصلت تلك الجمعية ورتب عليها غاية ما يؤمل في الاصلاح بين فرنسيس

جمعية الوزرا بمدينة كاليس وتوسط ملك انكلترة في ذلك

والامبراطور

سنة ١٥٤١ م

والامبراطور الا ان الملك هنري فوض هذا الامر لوزيره ولسي فافسده
واضاع ثمرته لان هذا الوزير كان آملاً بهذا اتماماً ليتوصل به لاخذ منصب البابا وكان
ذلك غاية امله ونهاية مرامه فكان احب شيء اليه اهانة الامبراطور لان هذا
الامر كان بيده وكان هذا الوزير لا يخفي اغراضه مع الامبراطور حتى ان الملك
فرنسيس كان لا يرضاه واسطة ولم يكن يخشى بأسه لانه كان من طبعه
الحرص على الانتقام من خصمه ولو بعد حين فكث ارباب الجمعية مدة مستطيلة
وهم يبحثون عمن بدأ بالحرب من الفريقين هل هو الامبراطور او الملك
فرنسيس وكان الوزير ولسي يدعي في معرض المبادي بيان ان فرنسيس
هو الذي بدأ الاهانة وبسبب ذلك امكنه بسبب المشارطة المنعقدة في لوندرة
ان يبني عليه صحة المشارطات التي تنعقد فيما بعد بين ملك انكلترة
والامبراطور ووقعت المفاوضة بعد ذلك في بيان الشروط التي يمكن اتمام الصلح
بها الا ان ما طلبه الامبراطور دل على انه لا يميل الى الصلح ابدا او انه كان معتمدا
على الوزير ولسي وجازما بانه يستحسن كل ما طلبه ويوافقه عليه فطلب
الامبراطور ان يرد له دوقية بورغونيا وهو اقليم يمكن بواسطته ان يدخل
فرانسا وطلب ايضا انه لا يكون لمملكة فرانسا امارة على اقليم
الفلمنك ولا على اقليم ارتوازه مع ان ذلك كان بايديها من قديم الزمان
واقره آباؤه والملوك بل واقره هو ايضا في المشارطة المنعقدة بمدينة نوايون
فلم يرض فرنسيس بهذه الشروط واستنكف ان يقبلها والواقع ان كل ملك
كريم شريف النفس لا تطيق نفسه ان يقبل مثل هذه الشروط ولو بعد هزيمة
وبعد مدة يسيرة كرر الامبراطور وعده لملك فرانسا بامور اخرى احسن
واصوب من الاولى وهي ان يرد مملكة نوار الى ملكها الاصلي بها او بان يأمر
برفع الحصار عن مدينة تورنه وبناء على ذلك تمت مذاكرة الجمعية
بدون ثمر ولا جدوى وانما كانت ثمرتها ضياع الشغل والتشاجر بين الفريقين
مع انه كان القصد منها التأليف بينهما

مطلب
اضاعة ثمرة المذاكرة

وفي اثناء المذاكرة بتلك الجمعية السابقة سافر الوزير ولسي الى مدينة

مطلب
عصبة الامبراطور وهنري ملك انكلترة على الملك فرنسيس

١٥٢١

اتروجه لشارل الامبراطور ومع هذا فان الامبراطور بنفسه يمكن ان يتساهل
في الشروط ويرضى بما لم يرض به وزراؤه وكان الامبراطور يعلم ان هذا الوزير
يحب نفسه ويحب الرياسة والظهور فلقاه في احتفال عظيم واكرمه غاية
الاكرام كانه ملك انكلتره ولكن لما قابله ولسي لم يسع في عقد مشارطة
الصلح بينه وبين ملك فرانسا بل عقد معه باسم ملك انكلتره مشارطة بها
يتكون اتحاد عصبة على الملك فرنسيس وكان مضمون هذه المشارطه
ان الامبراطور يهجم على مملكة فرانسا من جهة اسبانيا والملك هنري
يهجم عليها من جهة بيكارديه ومع كل منهما اربعون الفا وان الامبراطور
يتزوج بالاميرة ماريه بنت الملك هنري ووارثته في بلاده ودولته حيث
لم يكن له ولد غيرها ولم يجد الملك هنري اصلا شيئا يحمله على تلك العصبه
التي كانت في حد ذاتها من محض الظلم والعدوان وتضر بمصالحه السياسيه
الا كونه استند على بند من المشارطه المنعقده في لوندره كان مضمونه انه يجب
على ملك انكلتره ان يحارب من يتعدى من الفريقين سوا كان الامبراطور
او الملك فرنسيس وحيث بان ان فرنسيس هو المتعدي اتخذ ملك
انكلتره بعد ذلك علة بنى عليها صحة تعصبه مع الامبراطور وابدى سببا آخر وهو
ان الملك فرنسيس رضي برجوع الدوق دلباني الى مملكة اسقوسيا
مع انه كان رئيس عصبة تبحث عن اضرار هنري الثامن ملك انكلتره
هذا وكان لهنري المذكور مآرب اخرى حسنت له الدخول في حرب احد
الفريقين وذلك انه كان يوجد في عنفوان شبابه مولعا بالظهور والمعالي
فرأى ان المنفعة التي تعود على رعاياه من تخليه عن كل من الحربين والشرف
الذي يعود عليه من جعله حكما عدلا بينهما ليس كبيرا بالنظر للفخر الذي
يحصل للامبراطور شرلكان والملك فرنسيس من فتحه الحصون
وفتح الاقاليم والبلدان وكان لا يمكنه ان يمكث مدة مستطيلة من غير ان يكون له
دخل بين الفريقين فعندما تصدى لهذا الغرض رأى من اوجه عديده
ان معاهدته مع الامبراطور اوفق له وانفع من معاهدة الملك فرنسيس وذلك

انه

سنة ١٥٢٤

انه لم يكن له شبهة حق في شيء من دول الامبراطور لاسيما وكان موقع اعلانها مع الاعادة عليها الامع المنعة العظيمة والخسارة الجسيمة بخلاف مملكة فرانسا فكان اعلانها بالجهة الحصر به وقد مكث زمانا طويلا في ايدي ملوك انكلترة حتى ان هؤلاء الملوك كانوا الى ذلك الوقت يدعون ان لهم الحق في تاج مملكة فرانسا لاسيما وكانت مدينة كاليس بيد الملك هنري فمهما كان يسهل عليه ان يدخل في بعض اقاليم فرانسا ويرجع في امن واطمئنان اذا عانده الدهر ولم يسعفه المقادير وكان يوهم نفسه ان الامبراطور اذا هجم على فرانسا من جهة وهجم هو عليها من جهة اخرى لا تقدر تلك الجهة من مقاومة وكان يعتقد ان الله تعالى كتب له ان يكون له الحصر بكونه يضيف ثانيا الى مملكة انكلترة جميع البلاد التي كان يملكها اسلافه في الاراضي المارة من اوروبا وكان الوزير ولسي يقوي عنده تلك الاماني ويحسنها له حيث كانت نفسه على تحميم مأربه الخاصة بنفسه لاسيما وكانت بغضه الانكلترا فرنساوية سوارية من جيل الى جيل ومن نسل الى نسل فلم يستصعبوا امر ملكهم عزمه على الحرب مع مملكة فرانسا

هذا وكانت الهدنة المعقودة بين البابا والامبراطور قد ترتب عليها امور جسيمة وحوادث عظيمة في بلاد ايطاليا وقع عنها كون بلاد لمبرديا اعظم ميادين الحرب واكبرها *وكان بين اخلاق الفرنساوية واخلاق الايطاليين منافاة كلية حتى ان الايطاليين لم يعتبروا ابدا من حكم الاجانب كاعتبروا من حكم الفرنساوية وكان يكون اهل الجنوا وعدم طيش اهل اسبانيا ملائمين لطباع الايطاليين اكثر من طبع الفرنساوية لان الايطاليين يميلون بالطبع الى سلوك طرق التكلف في معاملة الغير ويراعون نواميس الادب ورسوم المجالس ومن طبعهم الغيرة والحدة بخلاف الفرنساوية مع ما عندهم من السياسة والخفة لا يتكلمون بها ولا يراعون تلك النواميس ولكن لما تولى الملك لويز الثاني عشر على فرانسا وكان مهذب الاخلاق وعدلا في احكامه اعطى اهل مدينة ميلان مزايا وخصوصيات اعظم مما كانوا يتمتعون به

مطلب
وقوع الحرب في ايطاليا

١٥٢١

في عهد ملوكهم فأمكنه بذلك ان يضعف جند هم الفرنساويه ويتولى بيهم واما الملك فرنسيس فانه لما استرجع هذه الدوقيه لم يضبط امر لويز الثاني عشر فانه وان كان حليما لا يحب ان يظلم رعاياه الا انه كان يأمن احتساباته وشيوخهم كل الوثوق وكان لا يلتفت الى ملوك من وليهم الحكم على العادة ثم ارتكبوا عدة مظالم بأياها العموم الشر بعد ذلك وقع التنافر بين الايطاليين والفرنساويه

اهل دوقيه ميلان كرهوا الفرنساويه

وكان الملك فرنسيس قد قلد حكومة دوقيه ميلان للامير اوديه دولوتريك اخا مارشال لوتريك وهو اخو مدام سانتورنان وكان من اهل الجبر والتجارة من داخل عظيمه الا انه كان متكبرا جبارا طماعا لا يقبل نصيحه ولا يستطيع ان يعارضه احد فيما يفعل من مساويه وظلمه اغضب اهل ميلان وجرت عقوبتهم منه وذلك انه نفى عدة من اكابرهم واشتد ظلمه لهم حتى اضطر منه الاكابر الى المهاجره من البلاد ليأمنوا على انفسهم وكان ممن هاجر منهم الشهير جيروم موروني وكيل محكمة دوقيه ميلان وكان له اقتدار غريب على اصطناع الفتن والاقدام على المشروعات الجسيمه لاسيما وكان ذلك العصر عصر فتن وتغيرات وتقلبات الاحوال ويقتضي ذلك خصوصا في هذه الدوقيه فانه كان لا يخمد فيها نيران الفتن والشقاق وكان جيروم موروني قد خان الامير مكسيمليان ومع ذلك التجا بعد مهاجرته الى اخيه الامير فرنسيس سفورس ولما ادرك موروني المذكور ان البابا يريد الهجوم على دوقيه ميلان لطرد الفرنساويه منها مع ان المساعدة المعقوده بين البابا والانبراطور في هذا الشان كانت لم تشيع بين الناس عرض للبابا باسم فرنسيس سفورس انه يريد ان يهجم بنفسه على عدة من قلاع ميلان ومدائنها مع جملة الاعيان المنفيين لانهم لبغضهم للفرنساويه ومحبتهم لعائلة ملوكهم الاقدمين كانوا مستعدين لاقتحام الاخطار والاهوال حتى يتمكنوا من طرد الفرنساويه من دوقيه ميلان فلما وقف البابا على قصد موروني استحسنه وصار يحبه ويحرضه على تحريره بل واعطاه

سنة ١٠٥١ في ٢٤ من شهر حزيران

فلما حضر السفير به على ذلك ولكن طرأت احوال افسدت ما فهموا انه ما دبر البابا لانه مبين الذين كانوا مجتمعين لاجل هذا العرض ابتدهوا الى مدينة رغنسبو وكانت تلك المدينة وقتئذ من مدائن الكنيسة وكان المارسال دوموا كس حاكم في ميلان مدة غيبة اخيه فاعتمد انه تمكنه القبض على هولاء المعينين الذين هم اعداء الملك فرنسيس في دوقيه ميلان وسهل عليه ذلك بسبب اجتماعهم في محل واحد فخاطر بنفسه ودخل اراضي الكنيسة وهجم على مدينة رغنسبو وكان حكمدار هذه المدينة اذ ذاك هو المؤرخ غشاردين الشهير فلسياسته وحسن سلوكه صدّ المارسال دوموا كس وجبر على العدول عن مشروعه والحول عن تلك المدينة على وجه يزرى به فلما وصل البابا ليون على هذا الخبر سرّ غاية السرور واتخذه حجة مستحسنة في فسخ الصلح بينه وبين مملكة فرانسا وعقد عقدا مع السويسر الكرد سالات وعرض عليهم سكوا من اعانة مملكة فرانسا على بلاده ومدح لهم ما كان برأى الامبراطور ومحبته للكنيسة واستدل على ذلك بما فعله ذلك الامبراطور مع لوتير الذي هو عدو الكنيسة وعرض عليهم انه لامنه وامن بلاده يلزم ان يضم عساكره الى عساكر الامبراطور لاستئصال الفرنساوية وانه لا يوجد واسطة اخرى يؤمن بها على دول الكنيسة واراضيها وعقد حينئذ مشارطة في هذا الشأن مع الامير خامنويل وزير الامبراطور شرلكان حتى كانت تلك المشارطة لم يعقد بينهما بمدة عدة شهور وحكم البابا بالحرمان على المارسال دوموا كس في نظير هجومه على حرم الكنيسة وهتك حرمتها

مطلب تحالف البابا مع الملك فرنسيس

وكان البابا ليون وعد بتحضير المهمات واسعد الحرب حيث استاجر جيشا عظيما من اهل السويسة ولكن انطلقت جيوش الامبراطور في تحشيها من نابلي و البابا حتى مضى نصف فصل الحرب قبل ان يصلوا الى ميدان الحرب وكان قائدها الشهير بروسبر كولون وكان اسبط جنرالات ايطاليا واشهرهم وكان لكثرة تجاربه وحزمه احوى من غيره في مقاومة

مطلب الحرب في دوقيه ميلان

سنه ١٥٢١

الفرنساوية وفي اثناء ذلك كان المارشال دوفوا كس رسول الملك فرانسا
يرى ان الغدر يزيد بجبره انه فرصة للاخطار والخطوب ولكن كان بعض عساكر
المملكة فرنسيس مشغولا في البلاد الواطية وكان البعض الآخر مجتمعا في ثغور
اسبانيا وكان هو بنفسه لا يرغب الهجوم على بلاده الى مملكة
ايطاليا فقد وقفوه على هذا الخبر بعث رسلا الى السويسيين المعاهدين
معه ليطلب منهم عساكر وصدر منه امر الى الامير لوريك ان يذهب الى
دوقة ميلان ليقوم بحكمها غير ان هذا الامير كان يعلم ما هنالك من الاهمال
وعدم التدبير في ادارة حرب الملك فرنسيس وكان يعلم ان العساكر الذين هم
في ميلان ما نقص عنه العادة من المسافة العادية لعدم صرف ماهياتهم
فأبى السفر الا اذا اعطي بلا اعانة الف الف (ريال) فوعده الملك فرنسيس
وامه لويز دوسوه وكذلك سملانسي ميناير الخزينة بانه بمجرد وصوله
الى ميلان يجد هناك ذلك المبلغ فاعتمد لوريك على قولهم وسافر الى
ميلان ولكن من سوء حظ فرانسا كان من دأب الملكة لويز ام الملك
فرنسيس الخيانة والشره وكانت تؤثر رأيها وهواها النفسانية على كل شيء
ولو ترتب على ذلك ما ترتب من المضار والمفاسد وكان لها كلمة نافذة عند ابنها
ولا يستطيع مخالفتها الا نهارية واعتنت به في صغره لاسيما وكانت ذات
معارف غزيرة وسياسة شهيرة وكانت مصممة على ان لا تفي بوعدها الى
لوريك لانها تكرهه ونية كان لا يواليها ولا يراعي مرضاتها وان كان يحادثها
في شأن ما وقع له من الامور الغير العرلية والنوادر العشقية فلاجل
ان تنتقم منه هذه الملكة ارادت حرمانه من الفخر الذي تسبب له فاقعة عن
دوقة ميلان وطرده فالاعداء فاخذت المبلغ الذي وعدته واعدته لخصوص
مصارفها

مطلب
ظفر العساكر
الامبراطورية

ومع حرمان لوريك من هذا المبلغ الذي كان بعينه اسم الاعانة وكان ضروريا
من اجله وجد وسائط اخرى امكنه بها ان يجمع جيشا عظيما وان كان اقل
عددا من جيش المعاهدين ودبر امر المدافعة على احسن وجه يلائم الحالة التي

كان عليها فكان يجب ملاقاة صفوف الاعداء وانما كان يحمل عليهم مع
عساكره المنهزمة وينهب مساكنهم ويقطع عنهم الذخائر والزاد ويصدهم عن كل
قلعة ارادوا الهجوم عليها او ساعدوا اهلها على منعهم فحسن سلوكه وعزمه
انقذ عساكر الامبراطور وامير البابا حيث انه الى ذلك الوقت هو الذي
كان عليه جميع مصاريف الحرب بصر ساواعى الامبراطور انما
لان ايرادات اسبانيا كانت قد نفدت بمدة الفتن التي حصلت بها وكان
يلزمه القيام بمصاريف الجيش العظيم الذي كان بمملكة البلاد الواطية
لحفظها وحمايتها ولكن في اثناء ذلك طرأت عوارض اوقعت لوتريك
في الارتباك والخلل واوجبت لمملكة فرانسا الى سوء الحظ والشقاوة
وذلك انه كان يوجد في الجيش الفرنساوي اثنا عشر الف من السويسيين
كانوا يخدمون في عساكر الجمهورية السويسية التي كانت وقعت معاهدة
مع مملكة فرانسا وكان بموجب القانون الذي رتبته دول جمهورية
السويسة لا يجوز للعساكر السويسيين ان يدخلوا في خدمة الامبراطور
او الملك فرنسيس ولا شك ان ذلك موافق لحسن السياسة وشعار المروة
الا ان حب الكسب الجأ في بعض الاحيان الى اهمال هذا القانون فرخص
لبعض افراد الدخول في خدمة من احبوا من الفريقين ولكن لم يكن ذلك
بحسب الاوامر الجمهورية بل كان بحسب الاذن بعض ضباط مخصوصين وكان
للكردينال دوسيون كلمة نافذة بين ابناء وطنه وكان يبغض مملكة فرانسا
فاستأذن ان يجمع عساكر من السويسة فاجيب لذلك وجمع اثني عشر الف
السويسيين ليضمهم الى جيش المتعاهدين (الامبراطور والبابا) فلما رأت
دول جمهورية السويسة انه قد انضم الى الملتين المتحاربتين كثير
من العساكر السويسيين وانه سيقتل بعضهم بعضا وكانت تعلم ان ذلك يورثها
العار بين الدول بعثت رسلا الى العساكر السويسية ليتخلوا عن الفريقين
ويعودوا الى وطنهم فاما الرسل الذين بعثوا الى جيش الامبراطور والبابا
فرشاهم الكردينال دوسيون فلم يوصلوا الامر الذي معهم الى العساكر

سنة ١٥٢١

السويسيين الذين كانوا في ذلك الجيش واما البرد الذين بعثوا الى جيش
فرنسيس فوصلوا الامر الذي كان معهم الى العساكر السويسية الذين كانوا
في هذا الجيش وكانوا قد سئموا من طول الحرب وكلت قواهم لاسيما وكانت
ماهياتهم لا تصرف لهم فبمجرد وصول الامر اليهم بادروا بالطاعة والامتثال
وما امكنه معهم لوتريك من الرعب تارة والتهديد اخرى لم تجد معاملتها
بطواعيته وكان مدار قوة جيشه عليهم لم يتجاسر على مقاومة المعاهدين
فرجع الى مدينة ميلان ونزل بعساكره على شواطئ نهر ادا ولم يجد
حيلة لمنع الاعداء عن عبور هذا النهر وهي حيلة ضعيفة مبنية على
أن يجيء او يجيء مع سر عسكر ماهر ذي خبرة ودراية كالشهير كولون
الذي كان سر عسكر جيش البابا فلذا اختار كولون المذكور هذا النهر مع
نهار لوتريك وناهضه ولم يخسر في ذلك الا خسارة هينة فبعد ذلك
اضطر لوتريك الى دخول مدينة ميلان وعلى اثرها قدم جيش
جيش الامبراطور والبابا لحصار هذه المدينة فاتى نهار رجل مجهول الى الامير
موروني سر عسكر جيش الامبراطور واخبره بانه ان ضرب بجيشه للابواب
المدينة فتح له درب الجلندس اي درب الامبراطور بامر من اتباعه ثم انطلق
لوقته ولم يظهر بالتحقيق هل هذا الصنيع او ذلك مكانا في نظير وكان
الجنرال كولون لا يحب المخاطرة في المشروعات ومع ذلك امر الملتزم
بسكار ان يتوجه بالغرابة الاسبانيوليه الى المدينة وتبعه هو بنفسه مع
بقية الجيش فما اتى الليل الا ووصل الملتزم المذكور الى الباب الروماني على
ضواحي المدينة ونزل بغتة على العساكر الفرنساويه الذين كانوا هناك فبعد ذلك
فر عساكر المحصنات الغربية من الباب المذكور وصار الملتزم بسكار
يغلب على كل محل تركته العساكر الفرنساويه ولم يزل سائرا بجهة المدينة
مع غاية الاحتراس والثبات حتى تغلب عليها من غير أن يبذل في ذلك بعدما
كثيرا لم تحدث مقاومة او صدمة حتى حصل التعجب لكل من الفرنسيس من
هذه الواقعة وسرعة نجاحها على هذا الوجه وبمجرد ما تغلبوا على المدينة

مطلب
غلب جيش الامبراطور
على مدينة ميلان

فر

سنة ١٥٢١ | من الجنرال لوتريك الى ارض السويسة مع عساكر جديدة وبأس سائر مدائن دوقية ميلان بالحرب فسلّمت لجيش البابا والامبراطور وانصمّت مدينة برمه ومدينة بلزانسه الى الدول الكنسية وضاع من الفرنساويه جميع البلاد التي فتحوها في بلاد لومبرديه ولم يبق لهم منها سوى مدينة كرمون وقلعة ميلان وبعض قلاع اخرى صغيرة

مطلب — موت البابا ليون العاشر | ولما بلغ البابا ليون اخبار هذه النصر العظيمة كاد يطير فرحاً حتى ذكر بعض المؤرخين انه افرط سرور ... حتى شديد واهملها في مسند امرها فمكث منه حتى مات بها في اسبوع من شهر كانون الاول وكان في ابان سنه وبعد هذه ... انحلت روابط المعاهدين ... فترك كل من الكردسال دوقية وتن والكردسال دوسيدونس الجيش ... ليحضرا ديوان الكردسالية لاجل انتخاب بابا بدلا عن البابا ليون ودعيت العساكر السويسيون الى بلادهم وعرف بافي العساكر المساحر لعدم صرف ماهياتهم فلم يبق في دوقية ميلان من يدافع عنها الا العساكر الاسبانيوليه وبعض عساكر من الباباويّة في خدمة الامبراطور فكانت تلك فرصة عظيمة للجنرال لوتريك في احد دوقية ميلان الا انه لم يكن عنده رجال ولا مال فلم يمكنه ان يغتنم من هذه الفرصة ما كان يود ثم انه هجم على دوقية ميلان عدة مرات الا انه لم يبلغ مرامه لتيقظ الجنرال موروني وحسن سلوك الجنرال كولونه وهجم ايضا على مدينة برمه غ الهمة والثبات فلم ينجح اتصالهم ... باسه السهر عساكر دس وسهامته •

سنة ١٥٢٢ | ثم انه حصل النفاق والتخاصم بين الكردسالية في مشورة الكردسالية المنعقد بعد موت ليون العاشر لانتخاب من يكون بابا بدلا عنه فسلك الكردسالية في هذا الشأن جميع طرق الحيل التي تقدر على اظهار احتيال رجال سواء على المذهب من وسائل الخادعات وبحو ... ما عقولهم عند التحاور في عرض خصومهم كاد البابا فلم يذكر في هذا الديوان ابنا ... الكردسال واسى (وورمال انكلتر) غ انه ذكر الامبراطور حسد بذلك وكان قبل ذلك وعد

١٥٢٢

أن يعينه في نيل هذا المنصب واتحد رأي خمسة عشر من ارباب ديوان
الكردينالية على اعطاء هذا التاج الكردينال جوليوس دومديتيس
وهو من اقارب البابا ليون وكان اعظم الكردينالات امتيازا واعتبارا
لثروته ومعارفه وتجاربه وتعوده على ادارة الامور الحسنة والمصالح المهمة
العظيمة وكان من اصول ديوان الكردينالية ان هذا القدر يكفي في جمع عدد من
اتحد عليه الرأي ولكن لا يكفي في انتخاب انسان وبعد ذلك تعصب البابا
فتعصب على جوليوس سائر الشيوخ من الكردينالات ولم يرضوا بجعله
بابا الا انه لم يقو كلمتهم على غيره وبينما كان ارباب الديوان يتنازعون ويعدون
بعضهم بالمحاورة والمجادلة ويرشو بعضهم بعضا اذ خرج الكردينال
جوليوس دومديتيس ذات يوم في الصباح مع حزبه من الكردينالات
وذهبوا الى مجلس الانتخاب وكان على حسب العادة وقت يعقد كل يوم
واعطوا رأيهم بان الذي يولى بابا هو الكردينال ادريان دوترخت وكان
اذ ذاك يحكم في اسبانيا نيابة عن الامبراطور ولم يكن غرضهم من اتفاقهم
على تولية هذا الرجل الاجنبي منهم الا ان يجدوا زمنا يكفيهم في اخذ اهبتهم
واستعدادهم بعدما رأيهم لكن حصل خلاف ما اضمروه ووافقهم بقية
الكردينالات على هذا الرأي وتحيروا هم انفسهم غاية العجب وكذلك سائر
اهالي اوروبا من تولية رجل غريب لا تعرفه اهالي ايطاليا بل
ولا يعرفه احد ممن اتحد رأيهم عليه ويجهل بالكلية اخلاق الامة التي دعي
الى ان يتقلد زمام حكومتها ويجهل منافعها وما به صلاح مصالحها لا سيما
وكانت توليته على كرسي البابوية وقت صعب فكان لا يتصور ان يعطى هذا
المنصب الا لمن فاق فراسته ودرايته سائر العصابة الكردينالية ولما خرج
الكردينالات من الديوان في زفاف واحتفال سخط عليهم الاهالي في نظير
انتخابهم لهذا الغريب وعجز الكردينالات انفسهم عن ان يذكروا الدليل وحكم بعض
الاقوام ان ذلك الهام من روح القدس والصواب ان يقال ان ذلك الهام
من الامير حسامسول فانه من اعانه لمصلحة سيده الامبراطور سرا كان

انتخاب ادريان للباباوية

٩ من شهر كانون الثاني

هو

سنه ١٥٢٤

هو الذي الجاهم بحيلة ومكره الى انحياب هذا الرجل لانه من رعايا الامبراطور وكان صادقا في خدمته فضيع ذلك من اعانه لمصلحته نفسه وحسا في الامبراطور وامر اراله بالسكر لما اعدى عليه بعض الحمرات الجليلة واسبغ عليه من النعم الجزيله

مطلب
ادريان السادس بابا في دوقيه ميلانو

وبارها ادريان الى كرسي البابا ازداد شوكة الامبراطور وصار لتدبيره وادارته في ممالكه رونق جديد ومما دل على عظم شوكته حسد وعلو شانه هو انه كان ادريان الذي كان مودبه مكافاه عظيمه حيث جعله بابا كنيسه رومه وهو الذي رفاه اصلا قبل ذلك ورفعه الى اوج المعالي حتى جعله حاكما على اسبانيا نيابة عنه فحصل للملك فرنسيس من ذلك غيره عظيمه حمله على ان يبذل غاية جهده في التغلب على دوقيه ميلان ثانيا وقد كان خروج العساكر السويسيس من خدمته هو منشأ ضياع هذه الدوقيه فرأى اهل السويسه انه يجب عليهم ان يعينوا ملك فرانسا ثانيا في اخذها طلب منهم من الاساءه الى فرنسا بهم في خدمه وهو احد عساكرهم منه فادي واله ان يا خذ من لاذهم اي عشر الف رجل تسعين بهم في مشروعه فلما وصل هولا العساكر الى الجنرال لوتريك وكان الملك فرنسيس قد ارسل الى ايطاليا مبلغا جسيما من الاموال رأى انه يمكنه ان يحارب الاعدا وينتصر عليهم واخذ منهم عدة قلاع وهدم جهة الغرب وكان جيش المعاهدين لا يمكنه في تلك المره ان يمنع جيش الفرنساويه الا ان الجنرال موروني بحيلته وخداعه امكنه ان يسعر قلوب اهل ميلان من حكم الفرنساويه حتى اعانوا عليهم حق الاعانه واعطوا امدادا كثيره ومع ذلك كان جيش الفرنساويه كثير العزم لا يأتي على شيء الا اخذه حتى كان لا يمكن الجنرال كولون ان يثبت في الخطه الحصينه الى عسكر بها قريبا من مدينة بيكوكه وكان يضطر الى تسريح عساكر لعدم الاموال الا ان العساكر السويسيس الذين كانوا مع الفرنساويه فعلوا ما كانوا فعلوا اول مره وتخلوا عن الفرنساويه عند الشده

وطال المقاعد والسردنيون بالحرب الذين هم منه اذ كانوا اهل منعة ووقاحة
لا يدومون على حالة واحدة فكان اخيارهم يحسبون عددهم كما كان اعداؤهم
يهابونهم لشجاعتهم وبراعتهم في الفنون العسكرية واما عساكر الفرنساوية
في هذه المرة لانهم مكثوا في خدمة فرانسا عددا كثيرا ولم تصرف لهم
ماهياتهم فاخذوا يشتكون من ذلك ويظهرون السآمة والقلق فبعث اليهم
من مملكة فرانسا مبلغ ليصرف عليهم وكان بحضرة سرية من الخيالة
الا ان الجنرال مورون كان منضبطا لا يغفل عن حركات الفرنساوية ابدا
ولا يخفى عليه امر من امورهم فوضع عساكر على الطرق التي تأتي منه هذا
المبلغ واحكم وضعهم حتى لم يمكن للعساكر الذين كانوا بحضرة ان يمروا بهم فلما
وقف السردنيون على هذا الخبر عيل صبرهم فاجتمعوا كلهم ضباطا وانفارا
وطلبوا من الجنرال لوريك ان يعطي لهم ماهياتهم او يعدهم بان يوجه
بهم في عدد لملاقاة الاعداء ضباطا وانفارا فلم يفعل احد هذين الامرين فحاولوا عنه
حالا وذهبوا الى حال سبيلهم ولم يصغوا لقول لوريك حين عرض عليهم
انه لا يمكنه بوجه من الوجوه ان يؤديهم حقهم وانه لا يليق الوجه لملاقاة
الاعداء لتحصين معسكرهم حيث كان محكم الوضع من اصله وزادوا احكامه
فلحصد ان التي اخذوها فلا غرة في الهجوم عليهم بل هم الغالبون بدون
مرية الا ان السردنيين كانوا لا يعقلون وكانوا يرون ان شجاعتهم تكفي في ازالة
كل عائق وتظهر على كل مانع فالحوا عليه كل الالحاح وابرموا ان يكونوا
في مقدمة الجيش ليكونوا اول من يحمل على الاعداء فلما راى الجنرال لوريك
شدة عنادهم وانه لا يمكن ردهم عما صمموا عليه قبل ذلك منهم مؤملا
ان تسعفه حادثة من الحوادث الاتفاقية الى نظر اعلى حسن عمله لاسيما
في الحرب فعساه أن ينجح ما في هذا المشروع ولقد عهد تخلف الظنون واذا
كان يعلم ان الانهزام لا نصرة اكبر على السردنيين منه اذ كانوا على
النصف من حسبه وفي صبيحة اليوم الثاني كان السردنيون اول من برز الى
ميدان الحرب وحملوا على معسكر الاعداء وكان حصنا من سائر جهاته محاطا

ام الفرنساويه اربعه بيكول

في سهر ابار

بالطوابي

سنة ١٥٢٤

بالطوابي والمدافع وسعة الملاقاة العدو فضربت عليهم المدافع من جهة المعسكر ضربا شديدا فثبتوا أمامها ولم يتأخروا عن السير حتى تصل اليهم مدافع الفرنساوية بل هجموا على تحصينات معسكر الاعداء بلون ثابتة لا يفزعها اخطار ولا تمنعها اهوال ولكن مع ما ابدوه من الشجاعة الغريبة والشهامة العجيبة التي تعجز دونها العقول ولا تصدر الا عن الابطال والفحول ولهجوم الفرنساوية كل الاعانة هلك منهم اشجع ضباطهم واحسن عساكرهم ورأوا انه لا يمكنهم الحولان في معسكر الاعداء فرجعوا على اعقابهم مطرودين لا مغلوبين حسب انهم عند الرجعة لم يزالوا باقين على غاية من الترتيب والانتظام ولم يمكن للاعداء ان يشتتوا شملهم او يوقعوهم في الخلل والارتباك

مطلب ———
طرد الفرنساوية من دوقية ميلان

فلما كان اليوم الثاني سافر السويسيون الذين نحو اربعة آلاف الى بلادهم فعند ذلك رأى الجنرال لوتريك انه لا يمكنه مقاومة الاعداء فرجع الى مملكة فرانسا بعد أن وضع محافظين في قلعة كريمون وبعض قلاع اخرى وكلها لم يمكنها المقاومة بل سلمت الى الجنرال كولون ما عدا قلعة كريمون المذكورة

مطلب ———
احد جنوة من الفرنساوية

وكان للفرنساوية ارض عظيمة في بلاد ايطاليا غير دوقية ميلان وهي ارض جنوة وكان يسهل على الملك فرنسيس ان يأخذ دوقية ميلان الا ان الجنرال كولون لما ظفر باعدائه عزم على ان يسحق كل خطب ويستسهل كل صعب فعزم على اخذ بلاد جنوة لا سيما وكان يحثه على ذلك حزب الادورني الذي كان عدوا للفرغوزيين وكانوا يحبون حماية الفرنساوية فلذا كان له بلاد جنوة الكائنة السابقة فاخذ كولون المذكور البلاد مع غاية السهولة كما تغلب على دوقية ميلان وعادت بها صولة الحزب الادورني وحكومة الامبراطور من غير معارضة ولا سفك دم

مطلب ———
اظهار الملك هنري الثامن الحرب مع مملكة فرنسا في ٢٩ من شهر ايار

ولا شك ان هذه المصائب المتوالية قد اوغرت في باطن الملك فرنسيس الا ما

١٥٢٢

سنده واحرازا كبره ازدادت بينهما حتى انه في اثناء ملك المئة على حين غفلة رسول من طرف ملك انكلترا بقصد طلب الحرب على لسان هذا الملك وكان مساد ذلك هو المساومة المعقودة في مدينة بروجة بين الامبراطور والوزير ولسي وكان الى ذلك الوقت حقيقة لم يقف لها احد على حليته فيجب الملك فرنسيس من ذلك كل العجب حيث انه كان يبذل جهده في استعطاف ملك انكلترة واستمالة وزيره ولسي ومع ذلك قابل الرسول بالترحيب والاحترام ولاطفه واكرمه كل الاكرام ثم احذ اهبته واستعد بامور حسنة ليدفع عن نفسه هذا الملك ولم يزل على عناده مصمما على مراد الذي كان نصره للامبراطور وحيث كانت خزائنه قد نفدت في الحروب السابقة وتناقصت من المنافع الحسنة على نفسه في اللعب واللهو اضطر الى ان كانت امور عن عادته لتحصيل المنافع اللازمة له فاخترع مناصب جديدة في الدولة وعرضها للبيع وباع الجهالات والاراضي الملوكية وضرب على الاهالي مغارم زائدة عن الحد واخذ من جملة خالص الفضة كان الملك لويز الحادي عشر لكبره ديانته قد وضعه حول قبر القديس سنت مارطين وبهذه الوسائط امكنه ان يجمع جيشا كبيرا ويحصن جميع المدن التي على صواحي مملكته تحصينا عظيما

لما سعى الامبراطور الى بريه

هذا ولم يهمل الامبراطور سياسته في نفسه كل فائدة لا جلها من الملك هنري فقد حصل انه لما راى اذ ذلك تمام حظه واقبال الدهر عليه وان مصالحه تسوغ له الذهاب الى اسبانيا وكان ذهابه اليها لازما له فاراد وهو متوجه اليها ان يمر بمملكة انكلترا ا قابل الملك هنري ولم يكن قصده بذلك مجرد ما كيد روابط المحبة بينهما وتحريضه على الاستمرار في الحرب مع الفرنساوية بل كان قصده ان يأخذ بخاطر الوزير ولسي حتى يطيب نفسه ويسري ما لحقه من الحنق والغيظ بسبب ما كان نواه من اخذه منصب البابا وكان الامبراطور قد وعده بالاعانة على تحصيله فلما مات البابا لم يوف الامبراطور بما وعده به بل ولم يكن له ذكر في ديوان الكرديناليه الذي انعقد

سنة ١٥٢٢ م -

لهذا الشان وقد شرع الامبراطور شرلكان وزاد فصاحة عما كان يؤمله
وذلك انه لما نزل بانكلترة تلقاه الملك هنري بحسب ما تقتضيه مقام
الامبراطورية لا سيما وكان الامبراطور قبل ذلك قد اظهر له الاحترام التام
في كل فرصة لاحت له في هذا المعنى فعدا ان اكرمه هنري كل الاكرام واضافه
على جميع مقاصده ووعده بتتميمها معه واما الوزير ولسي فلما كان يعلم
ان ادريان لطعنه في السن لا تطول مدة اقامته على كرسي البابا وينتهي عمره
اواخيا لا سيما وزاد الامبراطور في المرتبات التي كان جعلها له قبل ذلك
ووعده بانه يسعفه على اخذ منصب البابا فصار ولسي من وقتئذ يبذل
جهده في خدمة الامبراطور ليكون اهلا للانعامات التي انعم عليه بها او ليحمله
على ان يعينه ثم اعانته في نيل هذا المنصب ولما كانت ملة الانكليز تقسم مع
ملكها حظه وفخاره حصل لها غاية المسرة والانشراح من ائتمان الامبراطور له
واعتماده عليه حيث جعل الامير سوري الانكليزي رئيس عسكر جيشه
البحرية ولم يكن رغبتها اقل من رغبة ملكها في اشهار الحرب مع مملكة
فرانسا

مطلب
دخول الانكليز في ارض فرانسا

ولا خفاء ان يمضي الامبراطور شرلكان قبل ارتحاله عن انكلترة من
رغبة الملة الانكليزية فبعد ما آزره سافر الامير سوري الى فرانسا
بالسفن التي كانت تحت امره ادراك وخرب نواحي بلاد نورمنديه ثم نزل
ارتطانيا ونهب مدينة مورلكس وخربها وكذلك بعض مدن اخرى
اصغر منها وبعد هذه الاغارات الصغيرة التي كان اذلال بها الفرنساوية اكثر من
اضرارها بالتدمير والتخريب لبلادهم رجع هذا الامير الى كالس واخذ
الجيش الانكليزي الكبير وكان به عشر الفا وضمه الى الجيش الفلمنكي الذي
كان يقوده الكونته بوران ودخل بالجيشين في اقليم بيكرديه وكان
الجيش الذي جمعه الملك فرنسيس اقل عددا من مجموع هذين الجيشين
الا ان الفرنساوية بممارستهم الحروب الطويلة التي حصلت قبل ذلك بينهم
وبين الانكليز عرفوا مكايد الانكليز في المحاربة وعلموا الطرق التي يمكنهم بها

٩٥٢

مدافعتهم عن بلادهم فكانت الكتاب قد علمهم ان لا يحاربوا الانكليز صفا
وان لا يتحكوا اصطدامهم بل يحاولونهم ويماطلونهم لانه كلما طالت مدة الحرب
مع الانكليز عظمت غربة لاعدائهم وافترض جيش الانكليز شيئا فشيئا وعلمهم
ايضا ان يجعلوا محافظين على القلاع التى يمكنها المقاومة وان يقفوا هم فى جميع
حركاتهم ويقطعوا عنهم الزاد والذخائر وان يحملوا على طلائع عساكرهم
وان لا يغفلوا عن الاغارة عليهم فى كل وقت مع حزم عظيم من الحيلة وقد سلك
معهم هذا الدوك ... واندوم وكان اذ ذاك رئيس جيش الفرنساوية
فحصل غاية النجاح حتى ان القوسة سورى لم يمكنه ان يغلب على شئ من
المدائن الكبيرة المهمة بل اضطر الى الرجوع بعد ان فقد جيشه نصفا بسبب
شدة ما لحقه من المشاق والمكائد وقلة الزاد ولما هلك منه فى عدة
مصادمات حصلت بينه وبين الفرنساوية وكان الجيش الفرنساوي فيها
هو الغالب

وكان ذلك آخر الواقعة البائسة من هذا الحرب الذى كان اعظم الحروب التى
حصلت الى ذلك الوقت ببلاد اوروبا ثم قد ضاع من الملك فرنسيس جميع
البلاد التى كانت له بايطاليا وكان السبب فى ضياعها حدامة الجنرال
لوتريك وظلم جنراله للناس وتخلى العساكر الاجنبية التى كان يستأجرها
ومع ذلك فمعلوم ان الدول التى كانت مجاورة لم يمكنها ان يأخذ شيئا من
دولة الفرنساوية بل كانت انما توجه او تهجم رأسا حصينة منيعة مستعدة للمقاومة
حق المقاومة

وبينما كان ملوك النصرانية تضعف بعضهم قوى بعض ويدمرون عساكرهم
فى الحروب اذ دخل السلطان سليمان القانونى بلاد المجار فى جيش
جرار وحاصر مدينة بلغراده وكانت اعظم المدائن واقوى الحصينة التى
تحمى مملكة المجار من جيش الدولة العثمانية ومع ذلك سلمت فى اسرع وقت
وتولى عليها السلطان المذكور فلما نجح فى هذا الحرب قوى قلبه ووجه
جيوشه المنصورة الى جزيرة رودس وكان فيها جند طائفة الخيالة

ات سليمان
س

المسماه

سنة ٢ ٩٢٢هـ

الشجعان ستة حيان دوجوردوراليم اى انصار بيت المقدس وهم على طائفة الفرسان الذين هم مطلعوا التصرف في رعاياهم حسبما جار عليها ماتني الف رجل وبعد دورته تحتوى على اربعمائة سفينة جزيرة وحاصر بحب جزيرة رودس ولم يكن فيه من العساكر الا ستة آلاف وستمائة من خياله وحامى السوار الجزيرة وكان رئيسهم الشهير وليردولبل آدم وكان لحزمه ومهارته وعزمه وشجاعته جدير بالتلك الرياسة في مثل هذا الوقت الذي كان كثير الخطوب والاهوال فحصر دما ملكه ان السلطان سليمان عزم على اخذ جزيرة رودس ارسل بردا الى ملوك النصرانية يطلب منهم المدد والاعانة على عدو الملة المسيحية وكان جميع هؤلاء الملوك يعلمون ان تلك الجزيرة هي حصنهم ببلاد المشرق وان شجاعة من كان بها من خياله السوار به هي اعظم سور يمكن اقامته لجمايته لاندهم من حنوس الاسلام ومع ذلك لم يسعفوه بالاعانة واغرب من ذلك ان البابا ادريان حب الفرنس المتناحرين مع الجزيرة الى نصبها كونه ابا النصارى كافة وريس كنيستهم على ان ينساما بينهم من العداوة والبغضا وان يتفقا حتى يمنعا جنود الاسلام من تدمير طائفة بيت المقدس التي هي حراسة النصرانية ولكن كانت البغضة بينهما قد عكست على نورهما فقط ولا نحرض ولم يلتفتوا الى الاخطار التي كانت بلاد اوروبا عرضة لها ولم يأخذهما رأفة لنصرة الرئيس وليردولبل آدم ولا لالحاح البابا ادريان عليهما بل قطعا النظر عن جزيرة رودس وتركاها للسلطان سليمان يفعل بها ما شا وبعد ان ابدى الرئيس وليردولبل آدم في هذه المحاصرة التي مكثت ستة اشهر العجب العجاب واظهر هو وجماعته من الشهامة والعزم والجلد والحزم ما لا تسطره الفكر ولا تحصره الذكر ووقف امام المسلمين في عدة مصادمات وعارضهم ايما توجهوا بهمة عجيبة غلب كثير المسلمين شجاعته واضطر الى التسليم لكنه لم يسلم في المدينة الا على وجه اوجب له الشرف والفخار حيث لم يتركها الا بعد ان صارت اطلالا لا دثر فيها ما دنت الرمى

حتى ان السلطان تعجب من شجاعته كل العجب فلذلك احترمه غاية الاحترام واجابه بما طلبه من الشروط واما الامبراطور شرلكان والملك فرنسيس فلما لحقهما من المعرة والخزي حيث كانا سببا في حصول تلك الخسارة لا سيما النصرانية اخذ كل منهما يبرئ نفسه ويوجه اللوم على صاحبه ولكن الاورنج يقولون ذلك لهما مع ان منشأه هو الحرب الذي كان واقعا بينهما لمجرد اطماعهما واغراضهما النفسانية وفي نظير ذلك انعم الامبراطور شرلكان على امرآء طائفة الطائفة بجزيرة مالطه وصاروا من ذلك الوقت دائما قاطنين وهم الى الآن باقون بها على شجاعتهم القديمة وتعصبهم للمسلمين وان كانوا قد انحطوا عن العهد القديم همة وشوكة

انتهت المقالة الثامنة

المقالة التاسعة من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان

ثم ان الامبراطور شرلكان بعد ان شفي غليله وحظي بمرامه من انقطاع الحرب بين مملكتي فرانسا و انكلتره ودع الملك هنري وسافر من انكلتره حتى وصل الى اسبانيا في 17 من شهر حزيران وكانت نيران الفتن قد اخذت تسكن واخذ الاهالي يستظلون بظلال الامن والاطمئنان وشرعت المملكة في اصلاح ما حصل فيها من التلف والفساد بسبب الحرب الداخلي الذي اضرمتها واستطالها مدة غيبة الامبراطور عنها ونحن الآن نذكر مبدا هذا الحرب وسبب اشتعال ذا ترته لانه لا رابطة بينه وبين الحوادث الاخرى التي كانت وقتئذ حاصلة في بلاد اوروبا فنقول

مطلب الحروب المدنية التي وقعت في مملكة قسطيلة

ان الاهالي بمجرد ما بلغهم ان مسوره الكورطس المنعقدة في مدينة غالسيه قد سمحت للامبراطور بمبلغ من الدراهم على سبيل التبرع مع انه لم يحكم في شيء من الامور التي يشكوا منها عصوا عصيانا شديدا وشرعوا بنوابهم كافة وكان اهل مدينة طليطلة عوضا عما كانوا يتمتعون به من المزايا العظيمة والخصوصيات الجسيمة يرون في انفسهم انهم حفظة على حرية الجمعيات البلدية في مملكة قسطيلة فلما اعطت مسورة الكورطس للامبراطور المبلغ

مطلب قيام اهل طليطلة

سنة ١٥٢٢

المتقدم ولم يمض ثمانية ايام على وصول تلك المدينة باشكستمون الطلطلانيين واظهروا العصيان لاستياءهم وكان اعطاء هذا المبلغ للامبراطور مما يخالف العوائد والاصول المبنية عليها احكام المملكة وتغلبوا على الابواب المحصنة من المدينة وهجموا على القلعة مع عزم متين وجهد مكين فاضطر حاكمها ان يسلمها الى التسليم فلما ظفروا بهذا المشروع قويت قلوبهم واحتجزوا كل من توهموا ميله من احباب الدولة وانصارها وطردوهم عن اوطانهم ومن مناصبهم ورتبوا مقامهم نوعا من الحكومة الاهلية وجعلوا اربابها وكلاء انتخبوهم من متوطنين المدينة وجمعوا ما يلزم من العساكر للمدافعة عن انفسهم من اهل الدولة وبطش الملك وكان اعظم رؤساء الاهالي في هذه الفتنة هو الامير حنا دوبادليه بكر حاكم قشطيلة وكان شابا ذا همة وشجاعة عجيبة وكان له من الطمع والمعارف ما تطاول به الى ان يجعل تلك الحروب المدنية اعوانه ويرتقي به في درجات الصولة والشوكة اعلى مكانة

مطلب
قيام اهل مدينة شقوبية

وكذلك اهل مدينة شقوبية كان لغضبهم وغيظهم عواقب شنيعة وكان تورديزيلاس احد رسلهم بشورة الكورطس في تلك المرة الاخيرة قد وافق من اعطى رأيه من ارباب تلك الشورة على اعطاء المبلغ المقدم للامبراطور وكان رجلا جسورا لا يخشى باسا احدا فلما رجع من الشورة جمع اهل المدينة في الكنيسة الكبرى على حسب عادتهم وقص عليهم ما فعله في الشورة فبمجرد سماعهم انه اعتمد على منح اعطائهم للامبراطور بالمبلغ السابق غضبوا كل الغضب لا سيما بني تجار على تصويب هذا الفعل الذي كانوا يرونه من باب الخطا الذي لا عذر لمرتكبه وبلغ منهم الغضب ان عمدوا الى ابواب الكنيسة فكسروها وقبضوا عليه وصاروا يسحبونه على الارض في ازقة المدينة ويلعنونه ويسبونه حتى وصلوا به على تلك الحالة الشنيعة الى الميدان الذي يقتل فيه كل من استحق القتل فخرج رئيس الكنيسة وجميع الرهبان في احتمال ومعهم القربان المقدس قاصدين تسكين غضب الاهالي فما ارادوهم الاعطاء وحينما كانوا كلما مروا به على دير يخرج رهبانه ويتضرعون للاهالي

سنه ١٥٢٢

ويلتمسون منهم العفو عنه اوتركه حتى تعرف ذنوبه وخطاياه وسال العمران لكن لم يحدد ذلك سياًل صاحوا حينئذ فانك لا ترى من جاء وطنه سوى جثة الجلاد ثم محسوه على الارض مع غاية القسوة حتى زهقت روحه وهو بين ايديهم فاخذوا جسه وعلقوه في المسمه العامه وجعلوا رأسه الى اسفل

وقد عصت كذلك اهالي مدينتي توعوس و زاموره وعقيمدا ان اخرى وارادوا ان يسمموا من يسلمهم الذين كانوا في مسوره الفورطيس عن ان هولا الرسل لما لمهم ما صنع نسى الخط توردو بلاس هربوا فوتهم حرق الاهالي التماثيل المصنوعه على صورهم وهدموا بيوتهم من اساسها والقوا في النار جميع امتعتهم واثاثهم وكان ذلك غاية غضب الاهالي على هولاء الناس الذين اتهموهم بانهم خانوا الحريه العامه ولم يطمع احد من احد من الاهالي ان ياخذ شيا من امتعتهم مع انها كانت محتويه على كثير من الاشيا النفيسه

مطلب الوسائط التي استعملها ادريان في معالجة الفتنه

وكان ادريان اذ ذاك نائبا عن الملك في بلاد اسبانيا وكان قد جعل دار اقامته مدينه والادولد فلما بلغه وقوع هذه الفتن امر فورا بجمع ارباب مشوره ليتذاكروا فيما يكون به تسكين تلك الفتن وتنزلوا الامن والاطمئنان بين الناس فوقع الخلف بين ارباب هذه المشوره فقال بعضهم يلزم استعمال العنف والقسوه لاجل اطفا نيران تلك الفتنه لان نسبح الحرق على الراقع وقال آخرون يجب سلوك سبيل الرفق ولين الجانب لان عصيان

في ٥ من شهر حزيران سنه ١٥٢

الاهالي في محله من بعض الوجوه وابدوا انه لا يليق معاملتهم بمحض القوه والقهر لان ذلك يجر الى خطر عظيم فانه ربما ازداد عصيانهم وكثر طغيانهم وكان رئيس المشوره مطران غرناطه فاستحسن الرأي الاول وكان رجلا مشهورا اذا تكلم فاهمالاانه كان فيه حده وجمه وصدق عليه الوزير ادريان لفرط حرصه على تأسيس صوله سيده الامبراطور شرلكان وانهاء دولته ولو عمل على مقتضى طبعه من شده الخوف والرهبه والاحتراس لما وقع منه ذلك وصدر منه امر الى قاضي من قضاة الملك يقال له رونكيلو ان

سنة ١٥٢٢[1]

بسافر حالا الى مدينة صعوبة التى بدات بنشر العصيان والقيام لتحكم
على المدينين بما تقتضيه القوانين ووجه حملة طائفة كبيرة من العساكر وكان
اهل هذه المدينة يعرفون طبع هذا القاضي حق المعرفة فادركوا انه سيسلك
فى معاملتهم مسلك الشدة والقسوة فاخذوا انفسهم وحملوا اسلحتهم وغلقوا
ابواب المدينة فى وجهه فغضب من ذلك وحكم بانهم عاصون واهدر دماءهم
وتغلب مع عساكر على طرق المدينة ومنافذها ظنا منه انهم سيضطرون الى
التسليم فى اقرب وقت لنفاد الزاد من عندهم وعدم الخالف لكنهم مع ذلك دافعوا
عن انفسهم حتى المدافعة حتى انهم الامير باذله من مدينة طالطلة
بطائفة كبيرة من العساكر فصدت القاضي المذكور وجلبت عليه جملة فكر
فالجأته الى الفرار واخذت جميع ما كان معه من المهمات والذخائر
الحربية

مطلب
طرد عساكره فى مدينة شعوبه

وبعد هذه الهزيمة صدر امر من ادريان الى اسواندوفونسيكه وكان
الامبراطور شرلكان قد ولاه سر عسكر الجيوش الاندلسية بان يجمع
جيشا عظيما ليحاصر مدينة شعوبه محاصرة مستكملة الاركان
والشروط وكان الوزير اكزيمنس قد جعل فى مدينة مدينة دلكمبو
مخزنا كبيرا مملوءا بانواع المهمات الحربية فاراد السر عسكر فونسيكه
ان ياخذ منه ما يلزم له فى تلك المحاصرة فلم يسلم له اهالى مدينة مدينة دلكمبو
فى ذلك ولم يستطيعوا ان ياخذ شيئا الا بالسلاح وظنوا حيث ان هذه الاسلحة
معدة لهم اعداء تمكنهم من الاحباب ولما كان فونسيكه لا يمكنه
ان يبعد اوامر ادريان بدون هذه المهمات عزم على التغلب على مخازنها
بقص القوة والقهر فاستعد لها بالمدافعة وهجم على المدينة بكل
ما فى وسعه فلاقاها السكان بقلب لا يفزع وجنان لا يجزع وثبتوا امام عساكره
فلما يئس فونسيكه من الظفر بهم ورأى انه لا يمكنه التغلب على المدينة امر
بوضع النار فى بعض بيوتها حتى يترك السكان الاسوار ويشتغلوا باطفاء
النار عن بيوتهم وامتعتهم من الحريق فيسهل عليه اخذ المدينة لكن خاب آماله فانهم

مطلب
طرد عساكره فى مدينة مدينة دلكمبو

فى ٢١ من شهر آب

سنة ١٥٢٢

لم يلتفتوا الى النار بل ازداد عصيانهم منه ولم يزالوا ملازمين حتى هزموه وطردوه
بالكلية ثم اوكان السلطان لم يزل ينتقل من رستاق الى آخر ويسمح في المدينة حتى
كادت تعطلها بالمرة اذا وكانت هذه المدينة اذ ذاك من اعظم مدائن اسبانيا
واكثرها تجارة المحصولات الخارجية من قرب بأن مدينة سقوبية وغيرها من
المدائن الكبيرة وكانت تجارتها وصنايعها مشحونة بالصنائع المعدة للنسج في سوقها
لان ذريته قد عرفوا حرفة جمع هذه الصنائع وكانت خسارة المملكة بذلك
عظيمة وكان اهالي مملكة قسطيلة ثم من بعد زمن طويل قد نسوا اهوال
الحروب المدنية واستدعى عصيانهم حتى كتب حكام البلاد منهم جنة وصار قونسكة
مبغوضا عند الناس كافة ومحموما بحرق وطنه وعدو والى ذلك الوقت كان سكان
مدينة والادولد مبادين للاعتراض ولم يظهر خوارج طاعة وكان
يمنعهم من ذلك حضور ادريان بين اظهرهم لكن لما رأوا اماته قونسكة
بمدينة مدينة دلكمبو اظهروا انهم لا يستطيعون السكوت على ذلك واما
وطنهم في اكثر المصائب فبادروا الى اسلحتهم لما قام بهم كغيرهم من الحمية
العصبية وحرقوا بيت قونسكة واجتمعوا ضباط عسكر القضاة الذين كانوا
موجودين اذ ذاك وجمعوا عساكر وجعلوا عليهم ضباطا ومكثوا يحافظون
اسوار مدينتهم حتى كان العدو واقف على ابوابها

طلب العسكر سلطان ان العساكر

ومن المعلوم ان الكردينال ادريان كان من اهل الفضائل والعفة خالصا عن
الاغراض ولو كانت المملكة تشهد خالية عن الغش والتعصبات لامكنه
ان يحكمها بطريقة مشخصة يوجب له المدح والثنا الا انه لم يكن مستكملا
للشجاعة والمهارة التي كانت تستدعيها صعوبات الاحوال اذ ذاك فلما علم انه
لا يمكنه اطفاء نيران الفتن بطريق القوة والقهر اخذ يسلك مع الاهالي مسلك
اللين والرفق ليستعطفهم ويسكن غيظهم وبين عندهم ان السر عسكر
قونسكة قد تجاوز الحد فيما امر به وانه نفسه قد تبرأ عما سبق من الفعال
القبيحة التي ارتكبها هذا السر عسكر ولكن لما كان هذا الاستعطاف باستماع
عسر وعدم اقتداره لم يرد العاصين الا طغيانا وبغيا واهم بعد ذلك فلما

السر

سنة ١٥٢٢

السر عسكر ... ان يرجع من الجهة التي كان فيها ويسرح العساكر لانه كان لا يمكنه ان يدفع لهم ماهياتهم لما ان خزائن المملكة كانت قد نفدت باختلاس الوزراء للملكية وكانت المدائن الكبيرة لم تزل مغتصبة عليه فعلم انها لا تساعده ادنى مساعدة ولا تعطيه شيأ من الاموال ... وترك الاهالي يفعلون ماندا لهم حتى لم يبق عندهم من الشوكة والصولة سوى خيالها

مطلب
مقاصد الجمعيات البلدية في مملكة قسطيلة ودعواها

ولم يكن خروج تلك الجمعيات البلدية من قبيل التعصب الوهمي الذي نظر أعلى امة ... اذا احدثت ثاره رجع الى طاعة حكامها بل كان ... على ما ترتب حسنة ومقاصد مهمة عظيمة وهي ابطال عدة مظالم كانت موجودة بالمملكة اذ ذاك واقامة دعائم الحرية العمومية على اساس متين ... لا تعتريه فيما بعد زلزلة ولا اضطراب ولا شك ان هذه المقاصد حرية بما ذلك الاهالي في شأنها من الجد والاجتهاد ومساعدتك هو ان الحكومة الانتظامية في بلاد اسبانيا كانت ... بلا ... الحرية اكثر مما في غيرها من ممالك اوروبا وكان السبب الاصلي في ذلك هو كثرة المدائن الحرة بتلك المملكة كما جماعة ... وهو الذي اعان اكثر من غيره على لطف الحكومة الانتظامية في هذه المملكة واضعف شدة قوانينها وسهل صعوبة احكامها وجعل تلك الحكومة في بلاد اسبانيا اعدل والطف مما كان في غيرها من الممالك الافرنجية وكان سكان كل مدينة ... واحدا كبيرا له مزايا جمة وخصوصيات مهمة وكانوا معافين من الرق والا ... وكان لهم مدخل عظيم في التشريع ووضع القوانين وكانوا متمكنين من الفنون والصنائع التي بدونها لا تستقيم حال اي مدينة كانت وكانوا على غاية من الغنى والثروة لعظم تجاراتهم واتساع دائرتها وبالجملة فكانوا احرارا مستقلين باحسن ... اسباب العز ... ولذلك كانوا ... على الاستقلال وانتصار الحرية العمومية لا سيما وكانت حكومتهم الداخلية مبنية على شعائر الحكومة الديموقراطية والحكومة الجمهورية فكانت الحرية عزيزة عندهم بحيث لا يتوقع لهم

١٥٢٢، ه

انفسهم ان يفرطوا فيها ادنى تفريط ولا ريب ان الحكومة اذا كانت بهذه المثابة
تكون الحرية عزيزة عند اهلها ولو كان حاكمها مطلق التصرف ولذا كانت
عادة وكلاء الاهالي ببلاد انكلترا انهم متى حضروا مشورة الموربطس
التي هي مشورة العموم يناقشون الملك فيما يستحسنونه من مشروعاته
ومقاصده ويعارضون الاسراف والاعنات حتى لا يلحق الاهالي ضرر من
ظلمهم وجورهم وكانوا اذا ايضا يحرصون الى ما فيه توسع دائرة مزايا الاهالي
وخصوصياتهم ويبذلون جهدهم في محو المضار التي كانت ناشئة من شعار
الحكومة الارستوقراطية اي الالزامية ولم يكتموا انهم كانوا من اعظم
الطوائف في الدولة بل كانوا يطلبون ان يكونوا اقواها شوكة

مطلب
هذه الجمعيات البلدية المشهورة بالمعاهدة العصبة المقدسة

وكان يظهر لهم اذ ذاك ان مقتضيات الاحوال تعين لهم الاعانة على تحرير
مشروعاتهم التي كانوا عازمين عليها الان ملكهم وهو الامبراطور بترا كان كان
شديدا عليهم وكان قد برع فيه واعتباره من قلوب رعاياه لقبح سلوكه ورزايه
فلما نفد صبر الاهالي من كثرة مظالم جاءتهم من طرف الحكام شهروا
السلاح واخذوا في العصيان وان كانوا لم يدبروا امره من قبل وكان غضبهم شديدا
بحيث كان يمكن ان يفضي بهم الى مجاوزة كل حد وغاية لا انتهاء لها وكانت الحرية
المؤكدة قد فقدت اموالها وكانت المملكة خالية من العساكر والجنود وكانت
الحكومة قد رحلت حتى لم يبق عندها من المعارف ما يكفي في القيام باعباء المملكة
وان كان صاحب فضل وخصال حميدة واولى بتقليد الامر نادله ونبه
رؤساء العصبة الذين كانوا يلتمسون كل الالتفات الى ما تقتضيه الاحوال
اذ ذاك حتى لا يضيعوا ما يلوح لهم من الفرص هو انهم جددوا في العصابة نوع
معاهدة مكنتهم ان يتمموا امورهم بدون اختلال واختلاف وان تكون
مطمح نظرهم واحدا وحيث ان الاسباب التي جلبت المدآن على الخروج
والعصيان كانت واحدة بل وكانت تلك المدآن ترى نفسها اتم وفاقا بما زعم
به الرعايا الممكن للامير نادله وعزم من نبه رؤساء العصبة ان يبلغ مرامه
بدون شبعه وتعين لهذا الشأن مشورة عامة في مدينة آوبله وحصرها

رسل

سنة ١٥٢٦

وصل المدائن التي كان لها الحق في ارسال وكلاء عمومية الكورطس وتحالفوا جميعاً على ان يحموا او يموتوا على حفظ ملكهم وحمايته من اغراضهم وخصوصيات طائفتهم وسموا انفسهم باسم المعاهدة المقدسة ولم يجدوا سوى كروان في شان مصالح الاهالي وما يتعلق بابطاله من المظالم التي كانت موجودة ابتداء حكم ملكهم فكان اول شيء افتتحوا به هذا تكلمهم هو عدم اقرار الاجنبي على شأنه في ملكهم فانكروا ان ذلك مخالف لاصول المملكة واتفق الرأي على ان يبعثوا الى الوزير ادريان وكان هو النائب وبعث رسلاً من طرفهم يامرونه بالنزول عن الكرسي الملوكي وان لا ينسب من الآن فصاعداً شيء من امور الدولة لانهم لا يرونه على ذلك ولا حق له بدون اقرارهم

مطلب
هجوم على الملكة حانة ام الامبراطور سرلكان
٢٩ من شهر آب

وبينما كانوا يأخذون اهبتهم لتحرير هذه الهزيمة الجسيمة اذ حصل ان الامير بادللة سار من مشروع جسيم هو من اعظم المشروعات فائدة في اعانتهم على تتميم ما رامهم وذلك ان هذا الامير بعد ان اخذ مدينة سغوبيه توجه الى مدينة طوردسيلاس وكانت بها الملكة حانة مدة مات زوجها فلبس وكانت ذات عقل اختلال واختلال وشرح اختلال فلذلك هذا الامر جهده واعانه السكان حتى دخل تلك المدينة وهجم على الملكة حانة وكان الوزير ادريان قد اهمل في حفظها حتى يكون آمنه من مثل هذا الامر فبمجرد دخول الامير المذكور هذه المدينة ذهب لزيارة الملكة فلما عامل سيدتها مع الاحترام والادب التام الذي كانت توجبه على بعض افراد كانت تأذن لهم بالدخول عندها فهم علوها فهم لا الحالة المحزنة التي حلت برعاياها القسطيلس تحت حكم ولدها سرلكان لانه لصغر سنه وقلة تجاربه واحتياره للامور جعل عليهم وزراء من الاجانب تبددوا عليهم كل التبديد واساؤهم كل الاساءة حتى سبب هو سببهم وصادف عليهم الارض بمارحت فاظهروا العصيان وشهروا السلاح ليدافعوا عن حرية بلادهم فلما سمعت الملكة ذلك استغربت كانها افاقت من غيبها وتحسرت على سوء حال رعاياها واخبرته بانها الى الآن لم يعلمها موت ابيها فرديند ولا ما حل

سنه ١٥٢٢م

رعاياها من الصلف فأذن لا لوم عليها ولكنها بالآن ساعدتهم باصلاح
تلك المفاسد ومحو تلك المظالم والمكائد وكان آخر كلامها معه أن قالت
حافظ ايها الامير على فعل ما فيه المصلحة العامة للرعايا وكان بادوليه تصدى
عاجلا بما يلائم نفسه ويوافق منيته فاعتقد انه عاد اليها عقلها لا محالة واخبر
بذلك رسل العمالات اى وكلا المملكة ودعاهم الى المجىء الى مدينه
توردسيلاس ليعتقدوا ويسروا بها فحضروا ماوصف الوكلا على هذا الخبر
ذهبوا الى تلك المدينه وتحولت الدعاوى اليها وطلبت الملكة على وجه حسن
من راعوعرضه عليها العصبة المقدسة بمعنى تصرح تلك العصبة اليها ان تأخذ
بعنان المملكة وتنصب خانه بذلك وكانت علامة رضاها بها ادت الوكلا
المملكة أن يصلوا لذلك هائل وحضرت انصار ملعب البوردواس الذى نصب
لهذا الشأن وظهر عليها كل السرور من رؤيته هذا الملعب لا سيما وكانوا الاجل
شرح صدرها اوذا اظهروا انه د وناعسه ورقوعامرعو به عر سه لكنها بعد
ذلك بقليل عادت الى عمهها واختلال عقلها ولم يمكن بوجه من الوجوه
ان يستميلها احد الى وضع امضائها على شئ من مصالح الدوله

خطلا ادارة المملكة باسمها

واحدث حسد العصبة المقدسة محو هذا الخبر واستمرت على ادارة المملكة
باسم الملكة خانه لان اهل وسط لها كانوا اعضوها اجمالا لما كان لهم
من الحدة الصادقة فى امها الملكة ايزابله فبمجرد ما لمح الاهالى ان الملكة
شأنه رضيت باخذ عنان المملكة ظهرت عليهم علامات الانشراح والفرح
وزال عنهم بذلك كل هم وترح ولما اعتمدوا انها افاقت حقيقة من عمهها
وجنونها زعموا ان الله سبحانه وتعالى لم يقص بذلك الالكونه اراد انقاذ المملكة
من ظلم الاجانب ولما رأت هذه العصبة انه قد صار لها شهرة عظيمة وصولة
جسيمة باظهارها انها تحكم الدولة باسم الملكة خانه طلبت من ادريان ان
يتخلى عن نيابة المملكة ولا يتسبب فى شئ من امور الدولة وارسلت كذلك بادوليه
الى مدينة والادوليد ومعه سرية عظيمة من العساكر وامرته ان يقبض
على كل من كان باقيا فى هذه المدينة من ارباب المشورة الملوكية ويحضره معه الى

سنة ١٥٢٢م

مدينة تورديزيلاس وبانى معه انصافا احكام المملكة ودعا برهاودها ارالحرب به
بعد وصول بادلة الى مدينة والادوليده رحب به اهلها وبلغ كأنه
محى الوطن وحاميه ووصل بادلة كما امرا لا انه اذن للوزير ادريان
بالاقامة فى مدينة والادوليدة كما حاد الناس

مطلب
تأسف الامبراطور ع

وكان الامبراطور حينئذ ببلاد الفلمنك وكانت تاتيه الاخبار بكل ما يحصل
فى بلاد اسبانيا وعرف حقيقة الخطا الذى ارتكبه وزراؤه بكونهم مكنوا
وسلطوا بلادهم يحتقرون ساكنى اهل قسطيلة ولا يبالون منهم ضررا
ولا تعديا فكان فى حيرة كبيرة وغم عظيم حيث كان يرى ان تلك المملكة التى هى
اعظم ممالكه واصل شوكته وصولته كادت تخرج عن طاعته وتقع
فى المصائب العظيمة والاهوال الجسيمة التى تنشأ عن الحروب الداخلية والفتن
المدنية وكان من الممكن ان حضوره يسكن تلك الفتن ويمنع تلك المصائب الا انه
كان لا يمكنه حينئذ ان يرجع الى اسبانيا خوفا من ان يضيع منه التاج
الامبراطورى لانه اذا غاب يسهل على خصمه فرنسيس الاول ان يتمم
مقاصده ويبلغ اغراضه فرأى انه لا يمكنه ادخال اهل قسطيلة تحت
الطاعة الا باحد امرين اما ان يستميلهم بالعطايا ويسلك معهم مسلك الرفق
واللين او يأخذهم بالقهر ويخضعهم و لكنه لم يصمم على واحد منهما بعينه بل
صار يتردد بينهما حتى ظهر له ان الاولى ان يتبع الامر الاول لعلمه بما يترتب عليه
وان شاهت فى اثناء ذلك وسعة للامر الثانى اذا لم ينجح الاول فكتب لسائر

مطلب
ما دبره فى شأن العاصين

مدن قسطيلة عبارات عذبة رقيقة يعدهم فيها بعطايا جزيلة ومزايا جليلة
اذا هم القوا السلاح واقلعوا عن العصيان ووعدهم انه لا يطلب من المدائن
التى لم تعص الغرم الذى اختط عليه الرأى فى صورة العموم المنعقدة اخيرا
وكذلك جميع المدائن التى ترجع الى الطاعة وتترك التسبب بالعصيان والقيام
والتزم انه من الآن فصاعدا لا يولى اجنبيا على مملكة قسطيلة ولا يعطى
مناصبها الا لاهلها وكتب ايضا الى الملتزمين والاشراف يحرضهم على الجد
والاجتهاد فى المدافعة عن حقوقهم وحقوق الملك من تعدى الجمعيات البلدية

ودعوا اهلها وأقاموا مع الوزير ادريان اسس آخرين في نيابة المملكة وهما الاميران الاكبر (فوداناسا) هدريوس بن تكر والامير اسعود ولا سكو بن عسكر فسطيله وكل من هذين الاميرين كان له معارف غزيرة وصولة كبيرة وعين لهم اصولا يعملون عليها وحرص لهم ان يسلكوا سبيل القهر والغلبة في تأييد الشوكة الملوكية ان ازداد العاصون بغيا وعتوا ولم ينجع معهم الاخذ بالرفق واللين والمعاملة بالتي هي احسن

ولا شك ان المزايا والاقطاعات التي منحتها نفسه حيث اعطاها كانت تكفي في ارضاء خواطر الاهالي لو فعل ذلك حين سافر من اسبانيا ولكنه فعله في غير وقته فلم تساعده غيره وذلك ان جميع الاهالي امروا العصبة المقدسة وكانوا ظهيرا لها وكانت قد قويت همة تلك العصبة وازداد عزمها بما حصل لها من النجاح في مشروعاتها الاسيما وكانت لا ترى للدولة عساكر وجنودا قادرين على قهرها ومنعها عن تحصيل مقاصدها فارادت حينئذ ان ترفع مظالم الدولة وتمنع الاجحاف عن الاهالي فكتبت وهي في بلد ترديسياس تقريرا مشتملا على تلك المظالم التي تريد رفعها وعلى جميع الاصول والقوانين التي رأت ان ترتيبها لازم في اسبانيا من المزايا الحسنة البلدية وتقصد حفظها وكان هذا التقرير مؤلفا من عدة بنود تخص ارباب الدولة ودواوين الادارة والتدبير فهو شاهد على مقاصد العصبة المقدسة افادة اصح واكد من معاينة المؤرخين الاسبانيوليين المتأخرين لانهم كانوا في عصر جرت العادة فيه ان المؤلف اذا اراد تدوين تاريخ امة او فتنة عاصفة نظر فيما حصل منها ونصب اعمالها واطوارها بكل كريهة وبالغ في الاسباب التي حملها على الخروج والعصيان فهو لا يذكر شيأ على حقيقته *وصورة هذا التقرير انه صدر بمقدمة طويلة مشتملة على المصائب الكبيرة والاهوال الكبيرة التي كان تكابدها الاهالي وعلى اختلال حكومة اهل الدولة وفسادها وفحش اداراتهم الذي هو السبب في جميع تلك المصائب ثم بين ان الاهالي قد تحملوا الطاعة لهم غاية حتى عيل صبرهم ورأوا ان مصلحة انفسهم ومصلحة وطنهم توجب عليهم ان يجتمعوا كلهم ويسعوا جميعا على تدبير

امر

مطلب سير العصبة المقدسة حمل على شكاوى بهم والمظالم التي يريدون رفعها عنهم

سنة ١٥٢٢

امر موافق يستحسن يحق اتباعه فيه طاعة ويأمنون به على انفسهم وعلى سائر
القوانين المبنية عليها مملكتهم وصونهم من الخلل والفساد فكتبوا ان الملك يجب
عليه ان يرجع الى مملكة اسبانيا ويجعلها دار اقامته كسلفه من الملوك
الذين حكموا على تلك المملكة ولا يجوز له ان يتزوج الا برضاء مجلس وكلاء
المملكة وانه ان اضطر بموجب مقتضيات الاحوال الى الغيبة عن المملكة
لا يجعل نائبها فيها احدا من الاجانب الذين ليسوا من اهلها وان تقليد
الكردينال ادريان بهذا المنصب لم يرض الاهالي بل عزلوه منه وانه يجب
على الملك عند رجوعه الى اسبانيا ان لا يصحب معه احدا من الاجانب
سواء كان فلمنكيا او غير فلمنكي وان لا يدخل ابدا عسكرا من الغرباء في المملكة
بأي وجه كان ولا بأي علة كانت وان غير اهل اسبانيا لا يجوز ان يعطى
لهم منصب او وظيفة في الدولة او في الكنيسة وانه لا يجوز اندراج احد من
الغرباء في جريدة السكان المتأصلين بحسب تعديهم ويعطى له الوسيلة اللازمة
لذلك ولا يجوز من الآن فصاعدا ان يكون مسكن العساكر مجانا وان لا يسكن
بيت الملك بالعساكر الا مدة ستة ايام بشرط ان يكون ذلك وقت سفر الديوان
الملوكي وجميع الفرد والغرامات يرجع الى ما كانت عليه حين موت الملكة
ايزابلة ويجب ان يرد سائر الاشياء الى من اراد الملك ومن الممالك
والاراضي الملوكية بعد موت هذه الملكة سواء كان خروج هذه الاشياء
وانتقالها بشرع او بغير ذلك ويجب ابطال سائر المناصب والوظائف
التي حدثت بعد وفاتها وان لا يوجد من اجل خلعة المسمى غالسه
الاعانات التي وضعت بها مجلس وكلاء المملكة وان كل مدينة من الآن
فصاعدا تبعث في كل مجلس عموم ثلثة وكلاء ينوب عن طائفة القسوس
ووكيلا ينوب عن طائفة الاشراف ووكيلا ينوب عن طائفة الاهالي وكل
من هؤلاء الوكلاء الثلاثة يختاره طائفته ولا يدخل للديوان مباشرة
او بواسطة في انتخاب هؤلاء الوكلاء ولا يجوز لاحد من ارباب مجلس العموم
ان يقبل وظيفة او منصبا يعطى له او لاحد من اقاربه من طرف الملك ومن خالف

١٥٢٢

ذلك عوضاً بالقتل ويضبط جميع أمواله لجانب الديوان ولكن يجب على كل
مدينة أو جهة بلدية أن تدفع لوكيلها ما يلي مقدار نفقته بمقتضى قانون مشورة
العموم ولا يلزم أن مشورة العموم تجتمع في كل الأوقات سوى مرة فأكثر سنوياً
دعاها الملك أو لم يدعها وإذا انعقدت تلك المشورة ثم تذاكرت في شأن المصالح
العامة ابتداءً في النظر هل عمل فيها بمقتضى هذا القانون أم لا ويلزم
الرجوع في كل مكان إما بمنع أو بإعطاء لأرباب مشورة وكذا أقلام جبايته
ولا يجوز أن يخرج من مملكته أساساً ذهب ولا فضة ولا حلي ومن أخرج
شيئاً من ذلك كان عقابه القتل وبعض القضاة شيء معلوم حتى لا يأخذوا شيئاً من
المغارم التي تضرب على المدنيين ولا من أموال أصحاب الجنايات الكبار التي
تضبط أموالهم وتضم لجانب الديوان وكل ما وقع الشرع به من الأموال من
المتهمين منهم وباطل ما لم يكن برضاهم به قبل الحكم عليهم وكل من به نسب
للأشراف في أي زمن كان يجب الرجوع فيها متى كانت تضر بالجمعيات
البلدية ولا يجوز من الآن فصاعداً أن تعطى حكومة المدن للأشراف ويجب
أن تضرب على أراضيهم جميع ما تضربه على أراضي الجمعيات البلدية من
العوائد والجرائم العمومية ويجب ابتداء البحث عن كيفية تملك كل من استبد
بأدار الأراضي والأملاك المملوكة الوراثية من وقت استيلاء الملك فرديناند
على الكرسي وإن لم يعين الملك في ظرف الأسبوع ما لهذا الشأن أمناء يصلحون
كان لمشورة العموم الحق في تعيين من يصلح ولا يجوز إذاعة العمران ولا الوظيفة
في المملكة إلا بعد أن تبحث مشورة العموم عن الأسباب المبني عليها هذا الأمر
وتجري ما تستحسنه وجميع النقود التي تحصل من بيع العقار أن تصرف
في المحاربة مع المسلمين أعداء دين الله ضراسة وكل قسيس لا يمكث في أسقفيته ستة
أشهر من كل سنة يحرم من إيراد المدة التي غاب والقضاة القسيسون وأتباعهم
لا يطلبون إلا القدر المبلغ الذي يدفع في دواوين الملك ويجب أن مطران
طليطلة الآن أجنبي يجب عزله وإعطاء منصبه لواحد من أهل قشتالة
ويجب على الملك أن يرجع ما فعلته العصبة المقدسة ويعده بخصاله وللأمة

بأسرها

سنة ١٥٤٢ م

مناظرها وان تصور عما ارتكبته المدا من لغرط عن حقوقها لان له اصلا صحيحا وان يحلف انه يعمل بموجب هذه السود ولا يتعداها ولا يحاول ابدا ابطالها ولا يتساهل وانه لا يصرح ابدا الى انسانا او الى مسند من آخر بأذن له في الحنث في هذا اليمين ليتخلص من ورطة حسب لا يكون مطالبا به

مطلب
تولع تلك العصبة بالحرية وعدم اعتدائها

فهذه هي البنود الاصلية التي احتوى عليها هذا المنشور الذي قدمته العصبة المقدسة لمليكها سرلكان وحيث ان العوائد والرسوم الالترامية كانت في الاصل مختلفة في سائر الممالك الافرنجية كانت الحكومات المقدسة على اصول المذهب الالترامي تعمل الى ما ترى واحدة من سائر العوائد التي كان اهل قسطيلة حسنة يسعون في اتساعها بما يحكم كانت تخالف بلا العوائد التي اهتمت بانتسابها الملل الاخرى عند سائر عامها ونحا دلالها مع ملوكها في شان الحرية والمظالم التي تسكنها الجمعيات البلدية في بلاد انكلترا حتى صار عسم امرا عليه سوارا للملوكية والعوائد التي رسمها تلك الجمعيات لابطال هذه المظالم هي اقرب شبها بالاصول والعوائد التي كانت العصبة المقدسة جديدة في طلب انشائها بمملكة اسبانيا الاان اهل اسبانيا كانوا من ذلك الوقت يعرفون للحرية والاستقلال قيمة عالية واهمية عالية وكان لهم في السياسة مجال عظيم ودأب واسعة لم يصل اليها الانكليز الا بعدهم بزمن كامل

مطلب
سبب تكدر طائفة الاشراف

ومع ذلك فالظاهر ان التسيح لما استجر بين اهل قسطيلة واسرت في قلوبهم حبه ولم يمكن للدولة ان تمنعهم عن اشاعة بتجاوز الحدود حتى حمل العصبة المقدسة على ان تطلب انشاء امور جديدة عادت عليها بالضرر والسوء حيث تعرت منها قلوب الطوائف الاخرى وسبب ذلك هو ان الجمعيات البلدية مادامت لا تطلب الا ابطال المظالم الناشئة عن عدم احتشام الملك وقلة تجاوبه لصغر سنه او عن طمع الوزراء الاجانب وعدم حسن ادارتهم كان الاشراف لا يصدون لها ولا يعارضونها بل كانوا يساعدونها في مشروعاتها ومن لم يكن يساعدها منهم كان يرضى عما تفعله ولكن بمجرد ما احدثت تلك

١٥٢٢

الجهات في حدوث مرادها الاسراف عصوا كل العصب وعرموا حتى المعرفة ان اعمال العصبة المقدسة تجر الى انطال سوكة الاشراف كما تجر الى تصييق مراد الملك نعم وان كان الا مراف في حق عظيم من تولية الكرد سال ادريان باتباعه الملك في المملكة الاان هذا الحق ساقط مبدا برك الاعبراطور مع ادريان في منصب السابه الامرين المشهورين المتقدمين وهما سرعسكر الروسر عسكر البحر لاسما ورأى الاسراف ان اتباع درآ برد مراد الملك لاعظ سدورهم كدعوى الاهالى العرنصه الرآئده عن الحد فعزموا على ان نعطوا للملك الامدادات التى كان نطلبها واحدوا في جمع اتباعهم لتمهيد هذا المقصد هذا وكانت العصبة في حرج وقلق وهي في انتظار جواب الملك عن مضمون التقرير الذى به بعرضه عليه مع رسل مخصوصين من طرفها فحضر دما احد الرسل الذين ترساهرواندون براح ولا مهله الى بلاد الماتيا الاام وهم في انتا سفرهم جاءهم النصائح من عند جهات انهم ان ظهروا في الديوان الاعبراطورى ببلاد الماتيا نحشى عليهم ان يكونوا عرضه للهلاك فامسكوا عن السفر وبعثوا يخبرون العصبة بذلك فلما وصل هذا الخبر الى العصبة استدعت ها حتى جاورت حدود ما يوجد به الحزم والكياسة واصالة الرأى وحسن السياسة

فلما سمعت انه يخشى على الرسل المبعوثين من طرفها الى الملك تعجبت كل العجب حيث لم يسبق في العادة ان احدا من ملوك قسطيلة أبى ان يسمع شكوى رعاياه ورأت ان ذلك هو الظلم الذى لم يسمع عليه ولا اطاقه على تحمله وعلمت انه لا بقدها من هذا الظلم الا السلاح وهو الذى به تمكنها ان تبعد عن الملك سائر اعوانه الذين كانوا يحدعونه بحسب انهم لم يكتفوا بسلب اموال المملكة بل بعد ان اكلوا اموالها وافسدوا اهلها ارادوا ان يمنعوا اهلها عن الذهاب الى الملك ولا يمكنوهم من الوصول اليه حتى يبثوا اليه شكواهم ويبينوا له الجهة التى يحصل لهم منها الضرر ومن وعند احتلاف آرآء ارباب العصبة همّ من سددى العمل بموجب رأى كان قبل به قبل ذلك وهو ان يترك كان

بحا مرسل العصبة برص التقرير الذى يوتون به الى الملك* ٢ من سنبرين الاول

سنة 1522م

مادامت امه في قيد الحياة لا ينسب له لقب الملوكية على قشطاله ولا يجري له امر عليها وان امراء علي هذين الامرين لم يكن مبنيا الا على ظن ان الملكه جانه امه لا اقتدار لها اصلا على القيام بادارة المملكة ومنهم من راى انها تروح بامتثار كثير وارث ملوك نابلي الذين هم من عائلة اراغون الملوكية لعصيانها الادارة وكان الملك فرديننده قد امات علي احداد هذا الامر وتغلب على ملكهم ووضع هذا الامر في الحبس فلم يزل مسجونا حتى حصلت تلك الفتن ورأى الجميع انهم قد اخطاوا في كونهم املوا ان الملك سينصفهم وينسب لهم حريتهم وفي كونهم اقتصروا على عرض تقرير مشتمل على شكواهم واتفق رأيهم على انه يجب الخروج عن الطاعة وان يجمعوا سائر قواهم ليحاربوا كلا من حزب الملك والاشراف ولا يفرطوا في حريتهم

مطلب
مبارزة العصبة المقدسة

وبرز من الاهالي في ميدان الحرب عشرون الف رجل الا انه حصل بينهم منازعة كبيرة في شأن من يكون له رئاسة الجيش وكان الاهالي والعساكر يحبون الامير بادلية فاتفقوا على انه هو الجدير بشرف هذا المنصب ولكن كان هناك امير آخر من ذوي الحسب والنسب وهو الامير بدرو جيرون ابن الدوق اورونيه المذكور وكان هذا الامير قد غضب من الامبراطور شرلكان فانضم الى حزب الجماعات البلدية فترك له بادلية عن هذا المنصب نظرا الى جلالة قدره وعراقته في الحسب والنسب اللائقة بالمنصب المذكور ولا سيما وكان هناك جماعة من ارباب العصبة يتغارون من بادلية لميل الاهالي اليه وملاطفته اياهم فلاجل اغاظته اقتضى رأيهم تولية بدرو جيرون فعما قليل حلت بهم المصائب وخسروا خسرانا كبيرا وعرفوا انه ليس اهلا لهذا المنصب حيث لم يكن جامعا لما يلزم له من التجارب والشجاعة والمعارف والبراعة

23 من شهر سبتمبر البلدي

مطلب
تسلح النواب والاشراف

واما نواب المملكة فجعلوا مدينة ربورنكو موعدا لاجتماع عساكرهم وكان هؤلاء العساكر دون عساكر الجماعات البلدية عددا الا انهم كانوا موصوفين بالشجاعة والمهارة والفنون الحربية وذلك ان النواب اخذوا

١٥٢٢ م

من مملكة نوار العساكر المساة العدة تجمعوا بها وحافظوا عليها وكان اعظم مواهم الحماية حيث كان من رؤسائهم مؤلفين من الاشراف والسكر ادات المعودين على الحرب العارفين باصوله وفروعه وكانوا متمكنين من الشجاعة يعني انهم كانوا احابرين لتلك الصفة التي اشتهروا بها وفاق الاشراف في ذلك العصر واما مساة العصبة المقدسة فكانت كانه عن اخلاط من الاهالي والصانعة لامعرفة لهم باستعمال السلاح ولا يحسنون الضرب وكانت حمايتها غافلة ومجتمعة من اخلاط من رعاع الناس لا المام لهم باصول الحماية ولم يتيسر لهم ركوب الخيل وكما كان هؤلاء بعيدين عن عساكر الجنس كان هؤلاء الفاصلين كبيرين في الادارة والمعارف بين عسكر حزب الملك وعسكر حزب الاهالي لان جنس الملك كان رئيسه الموسيه هارو ابن الامير اسعودو لا سكو الكبرى سر عسكر الجيوش البرية المسلطنة وكان هذا الموسيه لكثر تجاربه ومريداته اثر له اقتدار عظيم وراى سديد يقوم بحل كل مشكل وفض كل معضل

و وجه الامير حيرون بنفسه الى مدينة ريوربكو وتغلب على ما حولها من القرى والطرق ط امة ان احزاب الملك تعدد تلك الطرق عليهم يضطرون عاجلا الى السلم لعدم الزاد وانهم ان قاتلوا يهزمون ويلحقهم الضرر والخسران لانهم لم يجمعوا اثر عساكرهم ولكن كان يلزم لهذا الامر ان يكون عنده من المعارف اكثر مما كان عليه كما ان عساكر كان يلزم لهم من الجلد والضبط والربط اكثر مما كانوا عليه حتى يتيسر لهم النجاح في هذا التدبير واما الموسيه هارو فانه ادخل في المدينة بدون كبير مشقة امدادا عظيما من سائر مراكز الامير حيرون فلما رأى حيرون المذكور عن التغلب على تلك المدينة توجه الى نعالي وبلاتيد وهي مدينة سبب الى سر عسكر الجيوش البرية المتقدم وكانت اعظم المخازن المودعة بها ذخائر العدو وكان هذا الامر الذي على عدم الحزم وقلة السياسة سببا في فتح طرق لاحزاب الملك الى مدينة توردسيلاس حيث وصل بهم اليها الموسيه

ظلا ـــــ
عدم حزم سر عسكر
عصبة وهزيمته

سنه ١٥٢٢
ه من شهر كانون الاول

هارو لبلامع عانه السرعه من عسر أن تسعف بهم احد وهجم على المدينه المذكوره وكان حيرون لم يترك من المحافظين عير الالاى من الفرسان جمعه الاسقف راموراً ودخلها بالقهر والغلبه ووضع الحجر بعد ان قاومه محافظوها مع الجلد والثبات وقبض على الملكه وا بر عدد من ارباب العصبه واستخرج خاتم الدوله الكبير وعيره من العلامات الملوكيه

فكان خطر هذا الامر شديدا على العصبه حيث برز على الضياع ما كان لهامن الصوله والشهرة باظهارها انها لا تعمل الا باوامر الملكه واشتهم الاشراف الى حزب الملك وامدوه بجميع اتباعهم وعساكرهم وكانوا الى ذلك اليوم لم يميلوا الى احد من الفريقين فتسلطن الاسف والحزن على جميع من كان من احزاب الجمعيات البلديه وازداد تعطلهم بالسا ه ظنهم في رئيسهم حيرون حيث اتهموه بانه هو الذى سلم للاعداء فى مدينه توردسيلاس والظاهر انه برى من ذلك لان عجاج احزاب الملك انما كان من سوء اداريه لامن خيانته ولكنه لم يبق على ما كان له من الصوله ونفوذ الكلمه فى قومه فرأى انه مضطر الى النزول عن رياسه العساكر والعزله عن الناس فى قصر بحصوره ففعل ذلك

مطلب
تصميم العصبه على رأيها الاول

ثم ان من بقى من ارباب العصبه فى مدينه توردسيلاس فر الى مدينه ولادوليد ومكث العصبه زمانا طويلا تبحث عن اناس يختم منهم مصلحهم من امرهم فانتخبوا جماعه من بينهم وقلدوهم بالاداره العليا وكان حسنهم يزداد كل يوم بمن كان بينهم من العساكر من سائر اقطار المملكه فلما عظم هذا المدد توجه الى مدينة والادوليد وكانوا قد جعلوا الامير باديله سر عسكرهم وعادت للعسكر قوتهم وشهامتهم ونسى حزب الجمعيات البلديه جميع ما حل بهم من المصائب والشدائد واستمروا على قوتهم الاصليه فى المدافعه عن حريه الوطن واظهروا التعصب للذين كانوا يطلبونهم بهتك حرمه حقوقهم

سنة ١٢٢٢

طلب ملك العصمة لاجل الدراهم

واعظم ما كان يوجب الحيرة لملك العصمة هو نظره في تحصيل الدراهم اللازمة
لصرف ماهيات العساكر لان الفلمكيين كانوا قد دخلوا الى خارج المملكة مطلقا
حيث ان النقود المتعامل بها وما كان يوجد في زمن الصلح من المغارم كان
قليلا جدا وكانت محصولاتهم تتناقص يوما فيوما لان الحرب عطل تجارتهم
على اختلاف فروعها وكانوا يخشون ضجر الاهالي وفرارهم اذا هم ضربوا عليهم
مغارم جديدة لم يكونوا متعودين عليها في هذا الوقت الا انه كان للامير
بادنيه زوجة من الاشراف يقال لها الاميرة ماريه باشكو وكانت ذات
معارف وكان امرها غريبا في الطمع والشره الا انها كانت تبذل كل الميل
الى حزب العصمة وتبذل جهدها حتى اخرجته من تلك الورطة على احسن
حال وذلك انها كانت ذات جسارة كبيرة وكانت سالمة مما انطبع عليه النسا
من الاوهام الباطلة والبدع العاطلة فعمدت على احد النفائس التي كانت
بكنيسة مدينة طليطلة لاجل الزخرفة والزينة من ذهب وفضة وغير ذلك
الا انها رأت ان ذلك ربما ينفر منه الاهالي ويوجب سخطهم وغضبهم لانه
تظاهر من المآثم الكبير وربما اغضب الناس كافة فسلكت في ذلك
مسلك المداهنة والخداع لتسلم من غضب الاهالي ولومهم وذلك انها ذهبت
مع خدمها وحشمها في محفل عظيم الى الكنيسة وهي تبكي وتضرب صدرها هي
وسائر اتباعها حتى وصلوا الى الكنيسة وهم على هذه الحالة وعليهم ثياب
الحزن فلما دخلوا الكنيسة خروا ساجدين وطلبوا العفو والغفران من القديسين
الذين بهذه الكنيسة فعذر سائر الجملة الاميرة من غضب الناس ولم يحكموا عليها
بالكفر في نظير هذه الفعلة بل رأوا انها انما فعلت ذلك للضرورة وللضرورة
احكام وانه وان محبتها للوطن هي التي الجأتها الى ارتكاب هذا الامر
العسير ومما قوى ذلك عندهم ما اظهرته من الحزن والالم وهي ذاهبة الى
الكنيسة فبهذه الواسطة حصلت العصمة مبالغ جسيمة اعانها بها الاعانة وكان
انصار الملك في حيرة عظيمة في شأن تحصيل الدراهم اللازمة لماهيات
عساكر الحزب الملوكي ومصاريفهم لان ايرادات الملك كان قد اخذ بعضها

سنة 1522

مطلب
ضياع الزمن من العصبة لاشتغالها بالمداولة مع الاشراف

الملكيون والبعض الآخر بهيئة الجمعيات البلدية فاضطروا الى احد حلى المملكة وما كان عند الاشراف من آنية العصبة وغيرها النصر فلما عودوا فلما عدت امور صوا من ملك البرتغال مبلغا آخر وبصير قواضبه •

وكان ير آى من الاشراف انهم لا يريدون ان تقع الحرب بينهم وبين العصبة فانهم كانوا اوافقون الجمعيات البلدية على كراهة الفلامنكيين فكانوا يرون امورا كثيرة مما ذكرته تلك الجمعيات في شرها وكانوا يرون ان مقتضيات الاحوال اذ ذاك تعينهم ام الاعانة على ابطال ما كان في المملكة من قديم الزمان من المظالم بل وتعينهم ايضا على انشاء قوانين جديدة يترتب عليها اصلاح حال الدولة واستظام امورها وانما كانوا يخشون ان يحصل بينهم وبين الجمعيات البلدية حرب لان حرفة الاشراف وحرفة تلك الجمعيات كانتا منوطتين بالتشريع ووضع القوانين فان وقع بينهما حرب واضعف بعضهما قوى بعض اعتد الملك ذلك فرصة في حينهما واضعاف شوكتهما وبذلك تقوى الشوكة الملوكية عليهما وتبطل استقلال الاشراف وتنساب على مرانا الجمعيات البلدية ولما كان الاشراف لهذه الاسباب يرغبون في ان يكونوا مع العصبة على قلب رجل واحد كان النواب يحدون آناء الليل واطراف النهار عن عقد الصلح بينهم وبين تلك العصبة ومكثوا امد الحرب وهم لا يودون الا الصلح ويتمنون حصول حادثة تساعدهم عليه ومما يدل على ذلك ان الشروط التي طلبوها من العصبة كانت مقبولة ولو تبناها اهل تلك العصبة فما كان يفضي بالشوكة الملوكية الى الضعف والاضمحلال او سائد حقوق الاشراف من المواد التي ذكرتها في الشروط لوعدها النواب بحمل الامبراطور على قبول ما عدا ذلك من المواد الاخرى ولو فرض انه ابى ذلك لالحاح بعض وزرآنه عليه في عدم قبولها لالتزم عدة من الاشراف باعانة العصبة على الزام الامبراطور بقبولها

ولكن لما كانت العصبة لا تخلو من الفشل والشقاق لم تبدأ كرامتها مع بعضهم حتى يجمعوا امرهم على شيء مقبول يكون ناشئا عن الحزم وسداد الرأي وذلك ان اغلب المدن التي دخلت في هذه العصبة كانت تغار من بعضها

كل القوة ولا سيما بعضها لما انها كانت لها ما ترتب عليه نشأته على الطمع
والشره فلما امكن لسرعسكر النمر بعمود كلمته وتواعده ان يصل اهل
مدينة نودعوس على حزب العصبة كما امكن لبعض عساكر اداب من
الاشراف ان يصلوا على تلك العصبة مرة اخرى صغيرة هذا ولم يكن في الجمعيات
البلدية من له من شرف النفس والمعارف ما يكفي في ادارة مصالح حزب العصبة
على ما ينبغي ثم وان كان الامر بادئه سرعسكرها جامعا للصفات الحميدة
التي تحبب فيه الاهالي وتستميلهم اليه الا ان ذلك نفسه كان سببا في عدم
امانته عند بعض الاعيان الذين انضموا الى حزب العصبة فكانوا منه دائما
على حذر وكان هناك امر آخر وهو ان الاهالي لما رأوا ما حصل من الامر
حسرون من الزلل وسوء الادارة صاروا لا يأمنون احداس الاشراف الذين
كانوا قد انضموا اليه فبنا على ذلك لم يكن اعمال العصبة كلها سوى اقدام
واحجام وضاع فرص مفيدة بالتردد وتكرار الاستفهام وكان اربابها لا يثقون
ببعضهم وكان منشأ ذلك هو انه لم يكن فيهم من يقوم بتدبير هذا الامر فبعد
مذاكرات عديدة في شأن الشروط التي كان يطلبها النوّاب اي روسا حزب
الملك طمس على قلوب الجمعيات البلدية فعميت بصائرهم عن الحق وضلت عن
الهدى لما كان في قلوبهم من الحقد والبغضة للاشراف فقطعوا علائق الصلح
ونبذوا نادي النصح وابوا الا العناد والمعادا مع الاشراف ولم يكفهم ذلك
بل هدّدوهم بسلب الاراضي والعقارات الملوكية فانهم ظنوا انهم اختلسوها هم
واسلافهم فلزم ضمها ثانيا الى الممالك الملوكية ودعوا اعانة الدهمى في هذا
الامر مع انه في الواقع يترتب عليه اعدام الحرية التي كان الغرض من سعيهم وبذل
جهدهم انما هو حمايتها والذب عنها ووجه ترتب ذلك عليه هو انه لو حصل
لاستقل ملوك فيطله بامرهم وصاروا مطلقي التصرف في الرعايا فكان
يشكي العصبة من ظلم الوزرا الاجانب واختلاسهم دون تمكنهم من تبعة اموال
الاشراف وازدياد شوكتهم فكانها كانت ترى انه لا يصح بينها وبين الامبراطور
صلح صحيح الا اذا اعطته ما بايدي الاشراف من الاراضي والالتزامات

سنة ١٥٢٢

مطلب

غرور البندقية بسبب نجاحها في بعض وقائع حربية

ثم إن البندقية لما رأت أن سرعسكرها الأمير بادوله قد نجح في بعض وقائع
حربية واستولى على بعض مدن صغيرة اغترت بذلك وسلكت مسالكها المتقدمة
معتمدة على شجاعة عساكرها فكانت متيقنة أنه لا يعسر عليها
الظفر بحرب الملك فبينما كان الملك مرتجيا هذا النجاح إذ حاصر الأمير بادوله
مدينة طورلوباتون حرصا على عدم ضياع هذه الفرصة النفيسة من
انشراح صدور العساكر للقتال وكانت هذه المدينة أعظم المدائن التي أغار عليها
إلى ذلك الوقت وأكثرها حصونا وكان بها من المحافظين عدد كاف ومع ذلك
فتحها الأمير المذكور عنوة وسلب أموالها بعد أن قاومه أهلها مقاومة عنيفة

غرة شهر آذار سنة ١٥٢١

وساعدهم سرعسكر الصرمة وهو من نواب الملك ولو سار الأمير بادوله
بجيشه بعد هذه النصرة إلى مدينة بوردنلاس التي هي معسكر أعوان
الملك لظفر بهم لدهشتهم من هيبته وكثرة شجاعته لا سيما ولم يكن عندهم إذ ذاك
من العساكر من يكفي للمصادمة والقتال لكن منع من هذا الأمر العظيم تردد
البندقية وعدم سداد رأيها ولما لم يمكنها أن تستمر على الحرب أو تعقد
الصلح عرض عليها النواب شروطا جديدة لعقد الصلح فرفضت جميعها فلذلك
امتد وكان قبل ذلك يأتي الإمام سرعيده ويتمادى تضييع الزمن في هذا كان
لا يجدي لها إذ خرج من جيش بادوله جم غفير من العساكر وفروا
بما غنموه من مدينة طورلوباتون لأنهم لم يكونوا معودين على قوانين
الضبط والربط والتربية العسكرية وتعب بعضهم من طول مدة الحرب فهرب
ووجد سرعسكر الدرية فسحة يجمع فيها عساكره وتأهب للقتال فجمع
العسكر بمدينة برغوس وتجردا فضا الهدنة انضم بعسكره إلى عساكر
الموسة هارو وإن كان بادوله بذل مجهوده في منع اجتماع هذين الفريقين
وبادر كل من الجنرالين بالتوجه إلى مدينة طورلوباتون فلم يجسر بادوله
على القتال لضعف جيشه بهروب العساكر المتقدمة فقصد مدينة طورو
ليلتجئ بها ولو أمكنه ذلك لسلم مما كان يخشاه من الأخطار لأن الفرنساوية كانوا
إذ ذاك مستعدين بالإغارة على مملكة نوار وكان يلزم النواب أن يرسلوا مرة

مطلب

عدم سداد رأي البندقية

١٥٢٢ م
من مهرنسمان

م الاشراف على العصبة

من العساكر الى تلك المملكة فبذلك تحمل نظامهم ولكن كان القومندة هارو نعلم ان فراره نصرة لهم صبر واشتدادا فبادر بالمسير مع جماعته وادركه مرسامس مدسه وبلالار وحمل عليه من غير ان يطرحي عساكره المسماة وكان جنس بادشاه حسبنده جند همته واعزاه التعب والنصب من شدة حربه وسرعة سيره لاحل الالتجاء حتى كأن ذلك فرار وهروب وقد حمله القومندة هارو بالجسالة في مرج من روع وكانت الارض اذ ذاك وحلا لانه كان نزل بها مطر غزير فصارت عساكر بادشاه كلما سارت تغوص في الوحل الى ركبها وبذلك صاروا عرضة لنار بعض مدافع كانت مع الخيالة فهند الا مصابات ضربت همة عساكر لاسيما وكانوا غير معتودين على الحرب فلم يجاسروا على مصادمة عدوهم ولا مقاومة ادنى مقاومة بل ركبوا الى الفرار وهم على غاية من الاختلال وابدى بادشاه من الشجاعة والعزم ما قصر عنه الغاية طمعا في جمع شملهم والتيامهم فلم يجد ذلك نفعا لان الفزع تمكن منهم بحيث صاروا لا يسمعون له قولا ولا يلتفتون الى نصحه وترغيبه ولا يعبأون بتهديده وترهيبه فلما لم يجد ذلك عزم ورأى ان الموت خيرله من الحياة بعد هذه الواقعة المشومة وبعد تدمير حربه فاقتحم بنفسه على الاعداء وجال بين صفوفهم فجرح وسقط من فوق جواده واخذ اسيرا واتوا برفعة اكابر ضباطه واما العساكر فانهم تجردوا ما لقوا سلاحهم فجاءهم الاشراف حلفاؤهم وكرماء وحلوا اسلحتهم من غير ان يسوهم ادنى اساءة

م الاشراف تلبس العصبة لملك بادشاه

ولما كان اعداء الامير بادشاه يعصونه بغضا شديدا لم يعاملوه اصلا بل حكموا عليه في ثاني يوم نصرتهم عليه ولم يعولوا دعوى الجنسي على حسب الرسوم الجاري به بل رأوا ان شهرة اسمه عاقبة وعلامة على رؤوس الاشهاد تكفي في عدم اقامة الدعوى وارسلي الى قطع الدم فوروا ان اخوان وهما الامير حماراوو والامير فرنسدس ملدوبادة وكان احدهما رئيس عساكر سعوسه والاخر رئيس عساكر سلمكة ولم يفزع بادشاه عند القتل بل اظهر غاية الجلد والاطمئنان حتى ان الامير حماراوو الذي قبل معه لما

صار

سىه ٢ ٣٤٢م

صار سحط حس سمع الساس ىعولون علىه انه ساں قال له الامىر ىادىله كاں ىد ىى لك البارحه ان ىطهر سحاعه العسكراداب والامر آ واما الا ٓں ه ىسعى ان ىصىرعلى قصا الله ولا ىعرع مما حل ىك حتى عوت ىصرا ىىا ممسكا ىد ىىل ورد اسهل الامىر ىادىله حتى كىب كا ىالروح ىه وكاىما آ حر لحىىه ىد سه طلىطله الى هى اصل عرسه وىسىط رأسه وكان الكتاب الاول ىدل على سعىه وىحىىه روحه وعلى ىساب حىانه وعلوهمىه ود كر ى الكتاب الا ٓحر ماىدل على مرحه ىوىه ىهىداى حدمه وطىه وىعد أں كىب هدىں الكتاىس اىسل لقصا الله ومدٌ ىصىه للعلاد هدا وعدلام علىه ى سلوكه على الوحه المىقدّم اعلب مورحى اسىاىىا المىاحرىں لان الحكومه والسوكه الملوكىه ى عصرهم كاىىا على حلاف ما كاىا علىه ى عصر ىادىله لم ىصعوه ولم ىسكروه على ما كان له من القصا ىل ى هدا المعى ولاىىك ان دلك مىهم اما ىىاهل اوخوف موصعو عماىدىى سىرىه وحاولوا ان ىىهموا الىاس انه عىرحىدىر ىان ىرى ىحاله مع ان دلك الامر ىل أں ىعلب ىه ىىس كرىمه على انسان حلىل القدر وىع ى مىل ىلك المصىىه

مطلب
اعلال حرب العصمه

وىدعىں واقعه ٦ ىلادار ىالىصر والطفر لاحراب الملك وفىحب لهم اىصا ابواب مدىىه ىلادولىد وكاىب اعطم المدآں المعاهدة ىوه واكىرها عرما ىعاملها الىوّاب ىالرىو والىىںوا كرموا اهلها حتى ان مدىىه ىلكمىو ومدىىه سعوىىه وعدّه مدآں احرى ىاسىىىال المدىىه وسلمب الى الىواب ىعىد دلك ووىع العىىل والىىعاق ىں ارىاب العصىه واىحل ىطامها وهدا اقوى دلىل على عدم حرم روساىها ورىعما اسىدل ىدلك على انه كان هىاك امور حقىه اوحىب هدا الىىعاق ىىىهم حىى اىحل ىطامهم ى اقرب مدّة مع ان عصىىهم لم ىكں مىىىه على اسىاب هىىه ىل كاىب اسىاىها قوىه اكىد حتى دحل ىىها ىع الاهالى ومكىب مده حتى ىىىب وىعكىب وحىدّب طرىعا مسىطما ى ادارة الحكومه ومما ىوىد دلك انه حصل ىعىد دلك ىا ىام قلىله ان سرىه عطىمه من عساكر الملك الدىں ا ىصروا على عساكر العصىه ارسلب الى

١٥٢٣م

مملكة بوار لمنع جيش الفرنساوية الذي كان يستند بيننا الغارة عليها ومع ذلك فلم يقع عزم جيشان مملكة قسطيلة ولم تفرح بهذه الفرصة المعينة وبادر الى نيل المزايا والحقوق التي كانت اولا سببا على انه التهمة في طلبها

ما ... به زوجة بادن عن ... طليطلة مع العفو ... ات

هذا وينبغي ان تستثنى من تلك المدائن مدينة طليطلة فانها لم تزل باقية على صدقها بسبب تحريض الاميرة ماريه باسكو زوجة بادن له والجائها لان تلك الاميرة لم يستول عليها الاحزان بعد موت زوجها ولم تشتغل بالبكا والنحيب حيث تعلم انه لا يجدي لذلك بل ما هي للاخذ بثأر زوجها من اعدائه حتى تتم الغرض الذي قتل من اجله وكان الاهالي يحترمونها اما لان النساء ضعيفات بالطبع او لانها كانت ذات شجاعة عظيمة وقلب ثابت ومعارف وعوارف فكانت القلوب تميل اليها وتزيد حبها في مصابها بفقد زوجها لاسيما وقد كان موته في خدمة وطنه فكان متى ذكر اسمه قرن بالاحترام والتبجيل فصار لتلك المرأة بين الاهالي الصولة والشوكة التي كان يتمتع بها زوجها ايام حياته وقد ظهرت هي ايضا في سلوكها وافعالها من الحزم والعزم ما جعلها اهلا لاحترام الناس لها ووثوقهم بها وذلك انها كاتبت سر عسكر الفرنساوية الذي كان بمملكة بوار ان يشن الغارة على مملكة قسطيلة ووعدته بالاعانة وكتبت ايضا الى اهالي قسطيلة تحرضهم على القتال وتعدلهم باهمها بعد الفوز وجمعت عساكر جديدة وطلبت من القسوس مبلغا جسيما من الاموال لتصرفه على العساكر وامرت ان تحمل العساكر تمثال المسيح على هذه الصفة بدلا عن البيارق والاعلام حتى كانها تقاتل اعداء دين النصرانية (لان صورة عيسى عليه السلام مصلوبا انما تحمل عوضا عن البيارق امام عساكر النصارى في قتال ملة اجنبية عدوة لدين النصرانية) وكانت تطوف ارجاء طليطلة ومعها ابنها صغيرا راكب على بغلة وعليه ثياب الحزن وامامه راية مرسوم عليها صورة قتل ابيه بادن له فعمل هذه الحيل والعادات التي دربتها امكنها ان تحمل تلك المدينة على القيام

وتدوي

سنه ١٠٥٢

وقوى همتهم فغمست ابصارهم عن ادراك الخطر الذى يكونون عرضة له ان يتصدوا وحدهم لمعارضة الشوكة الملوكية وبناء على ذلك مكثوا مدة على العصيان والخروج عن الطاعة حتى انه فى مدة ما كان جيش الملك مشتغلاً بالقتال فى مملكة نوار لم يمكن للنواب أن يدخلوا المدينة المذكورة تحت الطاعة وانما اقتصروا على بذل جهدهم فى اضعاف شوكة الاميرة مارية وصولتها بين الاهالى وفى الحث على استعطافها واستمالتها بمواعيد من جرمه وبعثوا اليها الحاكم ملرم موندوجار لتستعطفها كى ترجع عما هى عليه فلم يجد ذلك نفعا ثم جمعت طائفة من جيش الملك بعد أن خرج الفرنساوية مطرودين من مملكة نوار الى قسطيلة وحاصروا مدينة طليطلة ولكن لم يؤثر ذلك فى الاميرة مارية ولم يفتر همتها لذا دافعت عن المدينة بشجاعة غريبة وجسارة عجيبة وهزم عساكرها حزب الملك عدة مرار ولم تزل بهذه المثابة حتى قام عليها القسوس حين بلغهم موت غليوم دوكرواه وكان نائب المطران طليطلة ولا يخفى ان القسوس كانوا فى حنق شديد من تلك الاميرة لانها سلبت اموالهم كما اشتكوا هم من الامبراطور شرلكان كان سببها انه اعطى منصب المطرانية المتقدمة لشخص اجنبى لا نعرى لهم ولا لبلادهم فلما مات غليوم دوكروا وجعل الامبراطور شرلكان فى هذا المنصب شخصا من اهالى قسطيلة زال السبب بازالة سببه وتمكن غيظ القسوس وغضبهم على الامبراطور حتى انهم ادخلوا فى عقول اهالى طليطلة ان الاميرة مارية لولا تقصيرها وسعة بابها لما احدث بعقول الناس وصار لها كلمة نافذة بينهم وزعموا ان لها صاحبا من الشياطين يأتيها دائما على صورة جارية فهى لا تعمل شيأ الا عن لسان هذا الشيطان فصدقهم اهل المدينة فى ذلك وكانوا قد سئموا من طول المحاصرة ويئسوا كل اليأس من أن يعينهم اهل المدائن الاخرى التى كانت اولا متعاهدة معهم فرأوا انه لا بد لهم من الصلح وابطال الحرب لانه يفضى عن قريب الى الخراب والدمار فهاجموا على تلك الاميرة وطردوها من المدينة ودخلوا تحت طاعة حزب الملك فاستعطفت الاميرة

ظهور ... اللصوص ... [illegible]

١٥٢٢
شهر تشرين الاول

الى القلعة ومكثت اربعة اشهر تكافح وهي تدافع عنها مع عزم قوي
وشجاعة عظيمة فلما انحصر بها الضرورة ولم يبق لها حيلة ولا وسيلة تجلب
وخرجت بعسكره قاصدة مملكة البرتغال لتلتحق باهلها هناك

ح المصر الى
عن هذا الحرب

فبعد ذهابه بها بادرت القلعة بالتسليم وانتشرت اعلام الصلح والاطمئنان
في مملكة قشتيلة ولم يتناس هذا المشروع الخطر الذي همت به الجمعيات
البلدية الا انما ساعد على ما هو من هذا القبيل في المشروعات التي لا تنجح
لم يترتب عليه الا انه ساعد آثر الشوكة الملوكية وتمويهها على التدريج مع انه
لم يكن الغرض منه الا تقييدها واضعافها ولم يزل منشور القرطس
معدودا من ارباب الحل والعقد في التشريع ووضع القوانين بمملكة قشتيلة
وصارت تنعقد كلما احتاج الملك الى جمع اموال من الاهالي ولكنها لم تبق
على ما كانت عليه اولا من سلوك طريق الحزم والاحتراس وانصاف الملة
فيما تشتكي منه قبل اجابة الملك فيما يطلبه من الاموال بل تركت الى الملك
واخذت في مراعاته وموالاته حتى بدأت باعطائه ما كان يطلبه من الامداد
فلما حظي منها باغراضه وفاز بما آربه لم يأذن لها ان تبحث فيما يكون في الحكومة
من المظالم لتبطلها ولا تنقص شيئا يعود نقصه بالضرر على الشوكة الملوكية
وصارت المزايا التي كانت للمدن تنقص شيئا فشيئا حتى صارت
ذاهبة وتلاشت بالكلية ومن يومئذ اخذت التجارة في التناقص
والاضمحلال ونقصت ثروة المدن وعدد اهلها عما كان اولا وفقدت ما كان لها
في منشور القرطس من الشوكة ونفوذ الكلمة

عصيان في مملكة

وبينما كان الحرب الاهلي تخرب مملكة قشتيلة اذ حصل في مملكة
بلنسية فتن اشد من فتن قشتيلة حتى هزت تلك المملكة كل هز وذلك
ان العصبة التي انعقدت في مدينة بلنسية (سنة ١٥٢) وكانت تسمى
معاهدة جرمانادة اي معاهدة الاخوان استمرت على حالها بعد ان سافر
الامبراطور شرلكان من اسبانيا وكانت تتعلل بانها تدافع عن
السواحل ارباب الضلال الذين كانوا يأتون من بلاد العرب فاعطاها الامبراطور

في اذنه

في ادنه لهـا لذلك حسب اتهامي وقصد عوقب وأبت أن تلقي السلاح ولكن كان
الغرض الاصلي لاهل ملبسه من عصيانهم وتسكيتهم فما تخص مع الملك
من الاسباب على حقوقهم ومراياهم دون ماكانوا مختصين عليه من جهة
الاشراف ومع مطالبهم وكذلك كان بعضهم في هذه الفتنة للاشراف ومقامهم
عليهم اشد مما في قلوبهم من الحقد على الملك فبمجرد ما صدر لهم الاذن
بان يستمروا على حمل السلاح للعلل السابق وهو حماية السواحل صاروا
يقوون حتى عرفوا من انفسهم ان لهم شوكة قوية فلم يفكروا الا
في الانتقام ممن كان يظلمهم فطردوا الاشراف من اغلب المدائن ونهبوا ديارهم
وحرقوا اراضيهم واغاروا على قصورهم ثم انتخبوا ثلاثة عشر رجلا من
الجمعيات التجارية التي كانت بمدينة ملبسه وكانت عدتها ثلاث عشرة
فاخذوا من كل جمعية رجلا وفوضوا اليهم امر ادارة الحكومة قاصدين بذلك
نسخ القوانين القديمة او تجديدها وترتيب طريقة مستحسنة في اجراء الاحكام
والقوانين على جميع الناس بالتسوية من غير اغراض ولا امتيازات معاملة بحيث
لا يفرق بين حقير وخطير فبذلك تقرب الناس من التسوية التي كانوا عليها
من اصل الفطرة

فبذلك اضطر الاشراف الى حمل السلاح ليدافعوا عن انفسهم ووقع الحرب
بين الفريقين وبلغ من الشدة ما نشأ عادة عن بعض الامة وحقدها لمن يظلمها
وعن غضب الاشراف اذا اتهمت الاهالي حرمتهم وارادوا اذلالهم وحيث انهم
وحيث انه لم يدخل في معاهدة جمهورية احد من الاعيان ذوي الحسب
والنسب ولا ممن تربى تربية حسنة كان رؤساء مشاورها من جهلة
الصناعية الذين لا معارف لهم ولا شك ان مثل هؤلاء الرؤساء لا يمكنهم
ان يستعملوا طرق الاقامة التي كانت ادلتها في جمعية سديدة كالحزن الا بعد ان اضعفهم
لهاوا ظهار هم التسو والعصيان في حق اعدائهم لان مثل هؤلاء الناس
لا يعرفون القوانين المرتبة عند الملل المتمدنة لتخفيف الغضب الذي يعتريها
اذا حصل الحرب بينها وبين عدوها ولو فرض ان تلك القوانين كانت معروفة

سنه ١٥٢٢

لهم لما عملوا بمقتضاها ولا التمسوا الغاها ولذلك لم يكن هذا الشاهى مع
رزى بالمروءة ويخل بالانسانية الا ان كثيرة اهالى بلنسيه فى ذلك
الحرب

وكان الامبراطور وقتئذ مشغولا بشكوى قشطالة التى كان يخشى
منها على ضياع شوكته ومن اجله لم يمكنه أن يلتفت كل الالتفات الى فتن مملكة
بلنسيه بل ترك الاشراف تلك المملكة يدافعون عن انفسهم على قدر طاقتهم
وكان الكونت ميلطو نائب الملك هو قائد العساكر التى جمعها الاشراف
من اتباعهم فكسب معاهده جرماناده على الحرب سنتى ١٥٢
و ١٥٢١ مع قوة وثبات بخلاف ما كان يخطر بالبال من مثل هؤلاء الجنود
الذين لا معرفة لهم بالعسكرية وكان رؤساؤهم مثلهم اى ليسوا اهل
فضل ولا معرفة كما يعلم ومع ذلك هزمت معاهده جرماناده جنود
الاشراف فى عدة وقائع شديدة وان لم يكن لها كبير جدوى حتى صدتهم عن
المدائن التى ارادوا نفى العار عنها غير ان الاشراف لمعرفتهم بالفنون
العسكرية وتعود عساكرهم على الحروب وثباتها كانت لهم النصرة
فى اغلب الوقائع ولم تزل فتنة الاشراف على تلك الحالة حتى انتصر الثوار
فى قشطالة بمدينة ويلالار على الامير بادلة وارسلوا الى بلنسيه
فرقة من العساكر الخيالة لاغاثتهم فبمجرد وصول هذا المدد اليهم قاموا
على اعدائهم حتى انهم بعد مدة قليلة شتتوا عساكر المعاهده وابادوها بالكلية
وقتل رؤساؤها من غير حكم ولا اقامة دعوى بعد ان اذيقوا من العذاب
والاهانة ما تصرحه العدو لعدوه وبعد ذلك رجعت حكومة مملكة
بلنسيه الى ما كانت عليه اولا

مطلب
علامات الفتن فى مملكة اراغونيا

وثمة ظهرت ايضا فى مملكة اراغونيا علامات الغم والفتن التى كانت فى غيرها
من ممالك اسبانيا الا ان الوزير جان الانوره الذى كان وقتئذ نائب
الملك فيها عرف بحزمه وسداد رأيه ان يطفى نيران الفتنة قبل اشتعالها ولكن
لم يحصل مثل ذلك فى جزيرة مايورقه لان الاسباب التى ترتب عليها

مطلب
الفتنة الكبرى التى حصلت بجزيرة مايورقه فى ١٩ من شهر آذار سنه ١٥٢١

سنة ١٥٢٢ م

الفتن في مملكة بلنسية كانت نصبها في تلك الجزيرة وتابعها فيه كثير وذلك ان اهاليها كانت قد سئمت نفوسهم من ظلم الاشراف وعسف صغرهم من جورهم فهموا بالعصيان وعزلوا نائب الملك وطردوه من الجزيرة ودعوا كل من وقع في ايديهم من الاشراف واستمروا على العصيان والخروج وكان طغيانهم فوق كل حد ونهاية فلزم مكابدة المشاق الفادحة لادخالهم تحت الطاعة وبالجملة فلم يمكن جمعهم الا بعد ان سكنت الفتن في سائر ممالك اسبانيا واستتبت رايات الصلح والاطمئنان في سائر اقطارها

مطلب
الاسباب التي منعت اتفاق اهالي اسبانيا

واذا تأمل الانسان ما كان واقعا في ممالك اسبانيا من الفتن العامة ونظر الى الاسباب التي دعت اهلها الى الخروج والعصيان وعلم ان مقصدهم من ذلك انما هو ازالة المظالم من بلادهم تعجب من كون اهالي هذه الممالك في تلك الفتن لم يحزموا رأيهم في سلوكهم ولم يجمعوا امرهم حتى تتفق كلمتهم ويكونوا على قلب رجل واحد لانهم لو جمعوا قوتهم مع بعضها واتفقوا على امر واحد لتم لهم الظفر وبلغوا اكثر من ذلك فانه لو كانت تلك العصبة ملتئمة اي مركبة من سائر الملة لاحترمها الاهالي وخشي الملك بأسها وكان لا يمكن للامبراطور شرلكان ان يقاومها وهم اذا انضمت الى بعضها بل يضطر الى قبول الشروط التي كان يلزمه بها رئيس تلك العصبة ولكن كان هناك اسباب منعت من اتفاق اهل اسبانيا مع بعضهم وسلوكهم على منوال واحد وهي ان ممالك اسبانيا وان كانت تحت حكم ملك واحد كانت تغاير من بعضها ولم يحصل اتفاق بين اهلها الا بما وبغضاؤهم القديمة كانت لم تزل قائمة بنفوسهم وكانوا يحقدون على بعضهم حقدا عظيما بسبب الاسباب التي كانوا فعلوها سابقا مع بعضهم فكان ذلك داعيا لاختلافهم وعدم وثوقهم ببعضهم ورأى اهل كل مملكة ان مكابدتهم وحدهم لمشاق الحرب اولى لهم من ان يضرعوا لاهل مملكة اخرى لعسوهم وزيادة على ذلك كانت صور الحكومة في كل مملكة من ممالك اسبانيا مباينة بالكلية للاخرى وكان اهل كل مملكة منها يطلبون امورا مختلفة فكان يعسر اتفاقهم واجتماعهم على امر واحد

سنة ١٥٢٢

فلولا هذا النظام لما حفظ الامبراطور شرلكان تماسك ممالك اسبانيا لانها كانت كل مملكة من تلك الممالك بمعزل عن غيرها في المقاصد والاغراض كانت غاية امرها أن اضطرت كلها الى التسليم والدخول تحت الطاعة

طلب الامبراطور من سلوكه حلمه على من عصاه من الرعايا

ولما حضر الامبراطور شرلكان الى اسبانيا استولى الخوف والرعب على قلوب رعاياه الذين كانوا عصوا وخرجوا عن طاعته لكثرة ما ابدى من الحلم ما ادخل في قلوبهم الامن والاطمئنان وصرف عنهم الهموم والاحزان وذلك انه لم يقتل من اهل قشطيلة الا عشرين نفسا وان كان اعلمهم في تلك الفتنة الكبيرة قد ارتكبت ما يستحق به القتل والنماوتيم ان ارباب دولته حثوه على ان يظهر من القسوة اكثر من ذلك الا انه ابى ان يسفك دماء رعاياه على ايدى الجلادين قائلا بانه عفا عفوا سالفا وانه لا يلتفت الى ما حصل من اول الفتنة

٢من جهرتين الاول

الى آخرها ولم يستثن من ذلك الاعفاء سوى ثمانين نفسا عين اسماءهم بل ولم يكن مصمما على قتل هؤلاء الناس وانما كان قصده من بيان اسمائهم زجرهم وقمعهم ومما يؤيد ذلك ان بعض خاصته المقربين عرض عليه ان يعرفه محل شخص من اكابر هؤلاء الناس الذين اهدر دماءهم فاجابه الملك بجواب حسن لا يصدر الا عن ذوى الحلم والكرم حيث قال له انى لا اخشى من هذا الرجل فى شيء واما هو فله اسباب بها يخشى منى فينبغى ويتحذر ملاقاتى فكان الاحسن لك والاصوب ان تذهب اليه وتخبره بانى هنا لا ان تعرفنى المحل الذى هو فيه وزياد على هذا الحلم الذى لا يصدر الا عن النفوس الشريفة حاز مدة اقامته فى قشطيلة ان يفعل ما اوجب عشق اهلها وسرورهم وتخلق باخلاقهم وتعلم لغتهم ووافقهم على آرائهم وعوائدهم حتى صار له فى قلوبهم منزلة لم تكن لملك قبله ولو كان من الملة الاسبانيولية واعانوه كل الاعانة فى جميع مشروعاته وكان صدقهم معه اعظم معين له على تحصيل ما ربه وغاياته

طلب سر ادريان الى منصبه وعدم بلغه مقامع لم بحسب والاكرام

ولما وصل الامبراطور شرلكان الى اسبانيا خرج منها ادريان وسافر الى ايطاليا ليمكث فى منصبه الجديد وهو منصب البابا كما تقدم ذكره

سنة ١٥٢٢م

وكان الرومانيون يتطيرون بحكمه مع غاية الشوق الا انه لما وصل اليهم وعاينوه
ظهرت عليهم علامات الغم والحيرة لانهم كانوا معوّدين على أن يروا ملوكهم
وباباهم في ابتهاج عظيم ورونق كبير فاستحقروا ادريان حين رأوه شيخا
هرما متواضعا متقشفا في ملبوسه متخلقا باخلاق الزهد محتقرا ملاذ الزينة
والرفاهية لا يحب التصنع وبالجملة فكان خاليا عن تحسين الهيئة والحالة
الظاهرية التي تكون بها لذوي المراتب والمناصب العليا وقع وهيبة في قلوب
العامة وتحققوا من ذلك غاية التحقيق حيث لم يعهدوا في باباهم السابقين تلك
الحالة الردية فان ذلك من ابهة جاليوس الثاني ومظاهر لوون العاشر
وقد بحث الشيوخ عن اتضاح ادارته وسياسته حيث اعترف ان كلا من كنيسة
رومه وديوانها لا يخلو من المفاسد وبأنه ينبغي على ذلك كل الانبغاء واحد يصلح
حال الكنيسة والديوان ويطهرهما من تلك المفاسد التي لا تليق بهما ولم يظهر
منه انه يريد دفع غائلته واكتساب الثروة والغنى حتى انه لافراطه في التشديد
ردّ الاراضي التي كان اخذها الباباوات قبله بطريق الظلم والاختلاس فردّ الى
الامير فرنسيس ماري دوقية اوربان التي كان اغتصبها منه البابا لوون
العاشر وارجع الى دوق فرارة عدة مدائن كانت اخذت منه ظلما وعدوانا
واضيفت الى اراضي الكنيسة ولما كان شعوب رومه غير معوّدين على
مثل هذه العدالة ولم يعهدوا في احد من باباهم السالفين انه سلك على منهج الحق
والاستقامة رأوا ان هذه الفعال ادلة واضحة على ضعفه وعدم خبرته ودرايته
بالتجاريب لا سيما وكان ادريان يرسل غالبا في المشاورة وانهاء المصالح لجهله
باسرار سياستهم ودسائسها ولانه كان لا يعول عليهم ولا يثق بهم لغاية النفور
من اخلاقهم واخلاقه لانهم كانوا اهل خبث ومكر ومخادعة ومحاولة في ادارة
المصالح وهذا مناف لما انطبع عليه من طيب النفس وخلوص الطوية فكان
لا يعرف المكر والخداع الذي كانوا يباهون به فدخل في وهم الناس
انه ضعيف الرأي خفيف العقل ولم يزل هذا الوهم يزداد يوما بعد يوم حتى
صار رعاياه يحتقرونه ولا يعبأون بسياسته وادارته كما احتقروا امه عند

سنة ١٥٢٢

مطلب
بذل ادريان جهده
تسكين حرب اوروبا ونشر
الصلح بها

رؤيته ذاته
ومع ذلك فقد بذل ادريان غاية جهده في تسكين فتن اوروبا واظهر في هذا
الشان من الانصاف وعدم الغرض والميل الى غير الحق ما يلائم مقامه من
حيث كونه بابا النصارى كافة ومن العجب انه لم يجنح الى مساعدة الامبراطور
شرلكان وان كانت له السيادة عليه بل بذل جهده في ايقاع الصلح بينه وبين
الملك فرنسيس والالمانيين طوبهما حتى يكونوا على قلب رجل واحد
ويكونوا معا على السلطان سليمان الذي بعد اخذه جزيرة رودس صار
يخشى منه على سائر بلاد الافرنج لكن هذا المشروع كان فوق طاقته لان
حسن الطوية وخلوص النية لا يكفيان في التأليف بين ملكين لهما اغراض
ومآرب مختلفة ولا في ابطال الحروب التي اوجبتها بينهما العداوة والبغضا
بل كان يلزم لذلك ان يكون فوقهما في المعارف والمهارة حتى يظفر بمرامه
ولم يكن رغبة دول ايطاليا في حصول الصلح اقل من رغبة البابا ادريان
وكان وقتئذ الجيش الامبراطوري الذي تحت قيادة الامير كولون باقيا
على اصله لم يسرح من عساكره احد ولكن بسبب نفاد الاموال التي كانت ترد
للامبراطور من بلاد اسبانيا ونابلي ومملكة البلاد الواطئة
او صرفها في امور اخرى كانت مصاريف هذا الجيش من مأكولات وماهيات
مرتبة على اهل ايطاليا فكان من عساكره قسم عظيم نازلا بأراضي
الكنيسة ولاجل مصاريفهم كان نائب الملك في مملكة نابلي يصرف في كل
شهر غرامة على اهل فورنسه وميلانه وجنوة ودوقية لوقه
فشكى هؤلاء الناس وتظلموا من تلك المغارم واخذوا ينتظرون فرصة تعينهم
على التخلص منها ولم يصبروا لخوفهم من غضب الامبراطور وبطشه او لحسبهم
بأس هذا الجيش

سنة ١٥٢٣

مطلب
عقد حلف مع
الامبراطور على ملك
فرنسا

ولكن قد حصل انه بالحاح البابا ادريان وحثه ونشره فرمانا يحرض
فيه ملوك الافرنج على ابطال الحرب وعقد الهدنة بينهم ثلاث سنوات بعث
الامبراطور وملك انكلترة وملك فرانسا الى رسلهم بديوان رومه

خطابا

خطاباتهم مفوضون في هذا الغرض فبينما كان هؤلاء الرسل يتذاكرون في هذا
الشأن اذ كان كل من الملوك المذكورين يجهز لوازم الحرب ومهماته وكان اهل
البنادقة الى ذلك الوقت باقين على المعاهدة مع الملك فرنسيس فلما رأوا
ان مصالحهم ببلاد ايطاليا قد تعطلت تخلوا عنه وتعصبوا مع الامبراطور
عليه وانضم الى ذلك ان كان نائب الملك في نابلي لم يزل يلح على البابا ادريان
وكان من اصدقائه ومن ابناء وطنه حتى افهمه ان الموجب لعدم الصلح انما هو
طمع نفس ملك فرانسا فجنح ادريان بابا الى حزب الامبراطور وتبعه
سائر دول ايطاليا فرأى الملك فرنسيس ان كل الناس قد تخلوا عنه
ولم يبق له نصير ولا ظهير يعينه على مقاومة اعدائه الذين كانت جيوشهم تهدد
بلاده من جميع الجهات

ولا شك انه يرى بادي الرأي ان مثل تلك العصبة العظيمة تحمل فرنسيس
على ان يقتصر على حماية بلاده والذب عنها وييأس من الدخول في مملكة
ايطاليا ثانيا ليأخذ بلاده التي تغلب عليها الامبراطور شرلكان ولكن
كان من دأب هذا الملك انه يتساهل جدا في الامور العادية ويقوى عزمه
ويثبت عند نوب الانتقال لنكبات الدهر واخطار ويتداركها حتى لا تخل به
او تضعه مع الشأن كيف لا وقد جمع في هذه المرة جيشا عظيما قبل ان يأخذ
اعداؤه اهبتهم لفعل ما عزموا عليه لانه كان له على رعاياه صولة لم تكن
للامبراطور شرلكان ولا للملك هنري في ممالكهما فكان لا يمكنهما
ان يأخذا امدادا من رعاياهما الا عن رضا ارباب مجلس البرلمان وكان
لا يعطى لهما عادة الا اموال قليلة بل ولا تحصلان هذه المبالغ الا بعد توقف
الرعايا وتضجرهم مدة مستطيلة بخلاف فرنسيس فكان يسوغ له
ان يضرب على رعاياه مغارم جسيمة ويحصلها منهم في اقرب وقت وبنا على
ذلك سلك في هذه الواقعة كما سلك في غيرها من الوقائع السابقة حيث شرع
جيشه في السير قبل ان يجتمع عساكر العدو ولما كان يعلم انه هو في امن اعدائه
من هذه الجهة توجه بنفسه مع الجيش الى دوقية ميلان مؤملا انه بذلك

سنة ١٥٢٣ ميلادية

في ٢٨ من شهر حزيران

مطلب
الاحتراسات التي استعملها فرنسيس ليقاوم اعداءه ويسلم من مكرهم

سنة ١٥٢٣م

مطلب
ضياع فائدة احتراسات بسبب كشف الفتنة الى الدوق بوربون سر عسكر الفرنسة تصرم نارها سرا

مطلب
ترجمة هذا الامير

مطلب
اسباب فتنته

شديد على الاعداء طوراً ومادر ولا يخفى انه بهذه الطريقة كان يحتاط من ضربة على اعدائه وكان يظهر بعض سراية لولم تمنعه العوائق الاتية وهي انه حين كانت طليعة جيشه على ابواب مدينة ميلان وهو مقو اثر هاجم الفرقة الثانية من العساكر بلغه انه قد ظهر في المملكة فتنة مهولة تفضي بها الى الخراب فاضطر الى الاياب لوقته ورجع عن نيته

وكان مدير هذه الفتنة الخطر هو الامير كرلوس دوق دي بوربون سر العسكر الحربية بمملكة فرانسا وكان عريق الاصل ذا حسب ونسب مشهور بر واسعة وكان لعلوهمته اكبر اهل المملكة واعظمهم شوكة وصولة كما كان اشهرهم في المعارف والفضل وكان ذا رأي سديد وحزم مصيب في المشاور والحروب وكان مهابا محترما بسبب ما قام به من المساعي العظيمة والخدم الجسيمة للدولة وكان يزاحم الملك في عدة مصاعب كالولع بالحروب والاستشار في الرياضات الجسيمة والحركات البدنية وكسا وبهما في السن لا سيما وكانت شيم خلقه الغرابة فترتب على ذلك ان الملك كان يحبه محبة خاصة الا ان الاميرة لويزة ام الملك فرنسيس كانت بعض العائلة البوربونية بغضا شديدا ولم يكن لذلك سبب الا محبة الاميرة اندوير نطانيا زوجة الملك لويز الثاني عشر لتلك العائلة وكانت لويزة تكره اندوير نطانيا هذه كراهة شديدة ولما كان الملك فرنسيس سائرا بما تأمر به امه قام به من افعال الدوق دي بوربون غير لايق به فلم يكافئه حق المكافأة على ما كابد من المشاق في واقعة مار ينيان وما بذله فيها من الجد والاجتهاد واستدعاه انصاف دوقية ميلان التي كان حاكمها الاسباب واهمه فلما حضر فاتته بوجه لا يلائم ما ابداه في هذا المنصب الخطر من الحزم وسداد الرأي واوقع حركة بسببه بدون سبب قوي يقتضي ذلك وفي واقعة سنة ١٥٢١ لما هاجم جيبه الملك وحدثه بحصره العساكر وعزله من قيادة طليعة الجيش وولى عليها دوق دالنسون فحمل اولا هذه الفعال مع ما لم يكن يعهده فيه من الصبر لا سيما وكبر لا سيما وكان يعلم ان مقامه وما وفى به من الخدم العظيمة

في المملكة تحول عن ذلك ثم صار يهمل الحال وعمل صورة لا ساآت سبع متعلقة آماله بالانتقام فاحتجب عن ديوان الملك واخذ يكاتب بعض وزراء الامبراطور سرلكان

وفي اثناء ذلك ماتت زوجته زوجة بوربون ولم تعقب ذرية وكانت الاميرة لويزة قد بلغت ستا واربعين سنة ومع ذلك لم تزل تصابي وتعشق كما كانت تعشق وتحب فسلبت بعشقها الدوق بوربون بالمحبة وكان ذهنى العقل حسن الصورة تعرفت على الزوجة بان كان لا نسبة بينها وبينه في السن وكان من الجائز ان يصل هذا الدوق بعشق هذه المرأة التي كانت كلمتها نافذة على ابنها وعلى مملكة فرانسا تمامها الى اعظم رتبة تطلبها آمال طامع لكنه ابى زواجها لانه لم يكن مستعدا للعدول عن الكراهة التي له في امرت وحب اولاده ابدا فكيف ان يخفي الانفة وتظهر المحبة لمرأة طالما اساءته مثل ذلك طلبا وعدوانا ولم يأب الزواج على وجه مستحسن بل اظهره بالسخرية والذم لخلقها وخلقها فاغتاظت من فضحها وعدم احترامها واستحالت محبتها كراهة وصممت على اهلاكه

واتفقت على هذا الامر مع المستشار دوبرات وكان مداريتي الى هذا المنصب الجليل بكونه يحسن بعبارته وغزارة علمه بالاحكام والنواميس ب كان معتد مهاعي طرق الصواب لاغراضه فبواسطته احتجت على الدوق بوربون دعوى فقدتها جميع الاموال والاملاك التي تنسب للعائلة البوربونية فادعى الملك نصفها لانها كانت في الحال الملوكية والنصف الآخر ادعته الامير لويز لانها كانت امرت وارثت للدوقة الهالكة وكانت دعوى كل منهما باطلة ولكن لا احتاج هذا الامر وقد وجد كلمها ويحمل دوبرات وزير امكنهما ان يأخذ من القضاة حجة تقضي الحكم بالحجر على اموال العائلة البوربونية ولما كان هذا الحكم مبنيا على الزور والبهتان اوقع الدوق بوربون في القنوط واليأس وحمله على البحث عن اتباع الخطة المتقدم ذكرها فاخذ يكاتب ديوان الامبراطور سرلكان في هذا الغرض وكان قد بلغ منه

مطلب
مكاتبة الدوق بوربون مع الامبراطور

١٥٢٣

المعتمد سياه حتى كتب للامبراطور انه يعترف له بانه ملكه وسنده وانه يعينه
على الاستيلا على مملكة فرانسا فاخبر الامبراطور بذلك هنري ملك
انكلترة واتفقا معا على اعانة بوربون ووعداه بمواعيد عظيمة ليبني على
ما صمم عليه فوعده الامبراطور بزوجة باخته الونوره وكانت اولا تحت
ملك البورتغال ثم تأيمت وان يجهزها ويصدقها بما يليق بالملوك وعهد له
بان مخصوص في المشارطة المنعقدة بين الملك هنري والامبراطور وحاصله
انهما اتفقا على ان يعطياه دوقية بروينه ودوقية دوفينه ويلقباه
ملكا عليهما والتزم الامبراطور بان يدخل مملكة فرانسا من جبال البرنات
ويكمل الملك هنري ان يهجم على اقليم بيكردية مع عساكر الفلمنك ووقع
الاتفاق بينهما ايضا على ان يجمعا من بلاد المانيا اي عسكر المانيا يكون
مصاريفها عليهما ويرسلاها الى بورغونيا لتكون مددا واعانة للدوق
بوربون مع ستة آلاف يتعهد هو بجمعها من احبابه واتباعه وابقيا اشاعة
هذه الفتنة حتى يسافر ملك فرانسا مع جيشه الى بلاد ايطاليا لان
المملكة حينئذ لا يحدث من يدافع عنها فبعد أن يسافر فرنسيس ويساعد عن
مملكته اشرفت على الخراب والدمار

ولكن لو بوربون حظ ملك المملكة لم يحصل سر هذه الفتنة وان حوفظ على كتمانها
بقدر الامكان ولم يخبر بها الا قليل ممن كان يعتمد على امانته وثبوته وذلك
ان بعض الخدم الذين كانوا ببيت الدوق بوربون كانوا يلاحظونه ملاحظة
كلية لانهم كانوا يرون انه يسحوبهم فاخبر اثنان منهم الملك فرنسيس
بالمكاتبة السرية التي كانت منذ عدة اشهر بين سيدهم والقونته روكس
وهو من سردارات الفلمنك وكان الامبراطور يركن الى نيته ويعهد فيه
الصداقة الا ان الملك فرنسيس كان يستبعد أن الدوق بوربون يفضي به
الحنق الى التسليم في المملكة للاعداء لا سيما وهو من اقاربه ومن العائلة
الملوكية فسافر لوجهه الى مدينة ميلان وكان الدوق بوربون
قد تعرض فيها ولازم الفراش حتى لا يذهب معه الى بلاد ايطاليا فلما وصل

المهـ...
ـالهد ـ وظهورها

الملك الى هذه المدينة عرض على الدوق ما اخبر به حلفه له انه برئ من تلك التهمة ولم يظهر للملك منه ادنى شئ يدل على صحتها واخبر الملك انه آخذ فى مبادى الصحة وانه عما قليل يلحق الجيش ببلاد ايطاليا وكان الملك فرنسيس طيب الباطن سالم الطوية فاغتر بزخرف هذا القول حكما على بواطن الغير بما انطبع عليه من طيب النفس وسلامة الباطن فبقى على ما اعتمده فيه من الصداقة وحزم مرآة بحتى انه لم يرض بالقبض عليه مع الحاح العقلاء من خاصته وارباب ديوانه وتوجه الى مدينة ليون كانه لا يخشى شيأ ثم سافر الدوق بوربون بعد ما اظهر انه يريد ان يلحق الملك لكنه ولى وجهه الى الشمال واجتاز الرون وبعد ما كابد من المشاق الكثيرة والاخطار الكثيرة فاز بنفسه ووصل الى بلاد ايطاليا وكان الملك فرنسيس حين اخبر بفراره ارسل خلفه اناسا للقبض عليه فلم يلحقوه فندم حيث لا ينفعه الندم

فبعد ذلك اخذ الملك فرنسيس يتحرس بجميع ما فى وسعه ليسلم من عاقبة هذا الخطب الذى حل بنفسه فوضع عساكر وحفرا فى جميع القلاع التى كانت بأراضى الدوق بوربون وقبض على جميع الاشراف والعسكر الذين توهم فيهم انهم من ارباب العصبة وحيث لم يمكنه أن يعرف الغرض من تلك العصبة ولا اغراض الرعايا خشى ان يعتب عن المملكة فيسأمها عادية مهولة وعدل عن السفر مع الجيش الى بلاد ايطاليا

ومع ذلك لم يرجع عما عزم عليه من التغلب على دوقية ميلان بل جعل الامير بونيفه على الجيش عوضا عنه وامره بالسير الى ايطاليا وكان عند هذا الجيش بلا نزاع ولم يبرهن هذا الامير على غيره لمعرفته بالعسكر بحيث لم يكن له من الصفات اللازمة لكل مرعسكر الا الشجاعة وهى ادنى الصفات فى هذا المعنى واكبرها وجودا واعتمادا الملوك فانه على ارباب ديوان فرانسا الملوكى يحسن اطوار ولطف حركاته ودماثة وفصاحة كلامه وسحر بيانه وحلاوة لسانه وكان الملك فرنسيس يخالط ارباب ديوانه ويسامرهم آناء الليل واطراف النهار فانسرح صدره من لطائف هذا الامير وتنبع نكاته

سنة ١٥٢٣ م

فى فرار الدوق

مطلب
التجاء الدوق بوربون ببلاد ايطاليا

مطلب
اغارة الفرنساوية على بلاد ميلان

حتى كان يحصيه بمزيد الاعتبار والمراعاة وزيادة على ذلك كان الامير المذكور
عدو الدوق بوربون فلم ير الملك من يعتمد عليه في الرياسة على الجيش
الاهدا الامير

وكان المنوط بالمدافعة عن دوقية ميلان هو الامير كولون الذي كان
فتحها واخذها من الفرنساوية غير انه لم يكن معه من العساكر من يقوم بمقاومة
هذا الجيش الجرار ولم يكن عنده ما يفي بمشاهرات عساكره وزيادة على ذلك
كانت عساكره كل يوم في النقصان بسبب الامراض والهروب فهذا هو الذي
حمله على الاهمال في الاحتراسات اللازمة لامن تلك الدوقية وحمايتها من
الاعداء فاقتصر على كونه يجتهد في منع جيش الفرنساوية عن اجتياز نهر
سران وظن انه نجح في ذلك كانه نسي ما حصل له في واقعة مع الامير بونيك
من اجتياز لهذا النهر مع غاية السهولة فخاب سعيه كما خاب سعي بونيك
المذكور واجتاز الامير توسونطه النهر بدون مشقة من مخاضة رآها
خالية عن الحصون وحين يقوم بالمدافعة عنها فعند ذلك توجه عساكر
الامير المذكور الى مدينة ميلان عازمين على تركها فمتى وصل عساكر
الفرنساوية الى ابوابها الا ان الامير توسونطه اهمل ولم يبادر بالمسير نحو
المدينة ولا نعلم لذلك سببا غير ان المؤلف غساردين ذكر انه حصل له نوع
اختلال منعه عن المسير اليها فمكث بفلاته اياما او اربعة واضاع بذلك الفرصة
النفيسة التي ابداها اليه الدهر وذلك انه في اثناء تلك المدة افاق اهل ميلان
من فزعهم واخذوا اهبتهم للمدافعة وكان كولون اذ ذاك قد بلغ حدّ التماس
ومع ذلك كان نشيطا ماهرا وكان بمعيته الامير موروني وهو عدو مبين
للفرنساوية فاشتغلا معا ليلا ونهارا في اصلاح ما افسده الاعدا من الحصون
والاستحكامات وجمعا ما يلزم من الذخائر والزاد وجندا الجند ومن سائر البلاد
التي حولها فلم يصل الفرنساوية الى المدينة حتى صارت دونه حصينة
قادرة على مكابدة المحاصرات فهجم عليها الامير توسونطه عدة مرات
فلا غرو بل نعيب عساكره من هذا الهجوم اكثر من عساكر اعدائه ولم يزل

سنة ١٥٢٣ ميلادية

كذلك حتى اشتد البرد واضطر الى الاحتجاب في مساكن الشتا حتى مضى هذا الفصل

مطلب موت البابا ادريان السادس

وفي اثنا ذلك مات البابا ادريان ففرح الاهالي بموته كل الفرح لانهم كانوا يمقتونه ويحتقرونه حتى انهم في الليلة التي اعقبت موته زينوا بأكاليل الازهار بيت الطبيب الذي كان يعالجه وكتبوا اعلاه هذه العبارة (محيي وطنه) وبعد موته احد الكردينال دومديتشي مجدداً دعواه في احد منصب البابا ودخل مجلس الكردينالات مؤملاً انه ينجح في ذلك وكان الاهالي يحرمون نجاحه لان الامبراطور كان يعينه كل الاعانة وكان لهذا الكردينال كلمة نافذة ونشاط غريب في العمل وكان بالغاً الغاية في انواع المكر والخداع المسعوديه بها الحوالس السياسية ومع ذلك عارضه اخصامه فمكث مجلس الكردينالات خمسين يوماً وهو شديد كرهمن تولي منصب البابا وبعد ذلك كله غلبهم الكردينال المذكور وازال كل عائق وظهر على كل مانع وانتخب باباً وتقلد حكومة الكنيسة وسمي كليمان السابع وابتهج الناس

مطلب انتخاب كليمان السابع في ٢٨ من شهر نوفمبر تشرين الثاني

كافة بهذا الانتخاب لانهم كانوا يؤملون كل الخير في هذا الرجل الذي كان بمعارفه وبخبرته العظيمة في المصالح يرونه قادراً على حفظ دين الكنيسة وصيانته من مذهب لوثير وعلى ادارة مصالح الكنيسة السياسية مع الحزم الذي كانت تقتضيه الاحوال اذ ذاك وزياد على ذلك كان له اقتدار على جعل الدول السياسية تحترمه كل الاحترام لما كان له من الشوكة في فلورنسه ولعلو عائلته وسعة ثروتها

مطلب عدم نجاح الكردينال ولسي في نيل منصب البابا وغمه وحقده

هذا وكان الكردينال ولسي يطمع في نيل منصب البابا ولم يسبر همته بعدم نجاحه في الانتخاب الاول اي حين انتخب البابا ادريان فكان يطمع انه ينجح في تلك المرة وكتب الملك هنري الى الامبراطور يذكره ما وعد به الكردينال المذكور من اعانته على نيل منصب البابا واظهر الكردينال ولسي في الحاجة ما يليق بعظم المنصب الذي كان يطلبه وكتب لوكلائه في مدينة رومة امراً قطعياً بانهم لا يتركون شيئاً لزم صرفه

١٥٢٣٠

في الهدايا والرشوة الاصفر منه ولا وعدا الا وعد وانه لا يحل بحنثه في هذا
الأمر ولكن لم يقصد الامبراطور شرلكان لاغاثته في هذا الامر ولا يعلم
لاي شيء كان بعده قبل ذلك فهل كان وعده انما هو من قبيل الاماني الباطلة التي
كان مصمما على عدم الوفاء بها اولانه رأى حين شدائده من عدم الحزم والرأي
ان يتصدى لاغاثته وان كان تبعه في ذلك ليس دون حق الكردينال
دومندنيس ولا مانع من كون الكردينال لم يقصدوا الا اغاثته حسبة
ان مجرد ذلك لغضب الرومانيين لانه كان احد ... منهم لاسيما وكان غضبهم من
البابا ادريان المتوفي لم يزل باذهانهم فبعد ان بذل الكردينال ولسي
غاية جهده ... وطمعه عظيم حيث رأى ان من تولى على كرسي الكنيسة
صغير السن عظيم البنية سليم الصحة فلم يبق له رجاء بسلامته وتقمص الامة واجرائه
بل ولم يبق له رجاء الصحة في عمره حتى يموت البابا المتولي ويسعى في تقمص بل
امنيته ولما خاب سعيه في تلك المرة ايضا علم انه لا يوثق بكلام الامبراطور وانه
ليس من اهل الوفاء واضطرمت في قلبه نيران الحقد والغضب التي يكون مثلها
في قلب كل متكبر خاب امله وعكسه ضده وكان البابا كليمان يعرف ان دأبه
الحقد واضمار الانتقام فجعل معه اسبابا لطمعه لتسليته ولم يزل يغبطه فجعله
نائبا عنه في بلاد انكلتره مدة حياته وجعل له التصرف المطلق فيها حتى
كانه نائب الملك المملكة ولكن لما لم يغير الكردينال ولسي غضب البابا
في تلك المرة غضب على الامبراطور شرلكان وانفصمت الاسباب التي كانت
ربطتهما ببعض وصار هذا الكردينال من ذلك الوقت لا يتفكر
الا في الانتقام من الامبراطور شرلكان ولكن لزمه ان يخفي هذا القصد
عن سيده الملك هنري حتى تساعده الاحوال على انحرافه من معاهدة
الامبراطور واتباع الميل والشقاق بينهما ولذا لم يظهر ما يدل على همه بل كان
اذا تكلم امام الخاصة او العامة يبدي انه حصل له غاية السرور من تولية
الكردينال كليمان على منصب البابا

وقد وفى الملك هنري مدة الحرب بجميع ما التزم به في معاهدته مع الامبراطور

هنري في بلاد فرنسا

على

سنة ١٣٥٣م

على ملك فرانسا غير ان حربه لم تكن على وجه السرعة كما كان يؤمله وذلك
انه لا مرية في ان ادارته كان لا يحصل غالبا ما يحتاج اليه من الدراهم وكانت
حينئذ طريقة الحرب في بلاد اوروبا مباينة للطريقة التي كانت جارية
قبل ذلك فان العساكر بعد أن كانت تجمع مع السرعة وكان لكل جماعة
رئيس مخصوص وكانوا جميعا يسعون اثرهم في الحرب ولا يمكثون فيه
الا اياما معدودة ويصرفونهم على انفسهم تغير الحال في عصر هنري
فكان يلزم لجمع العساكر مصاريف واسعة ويجعل لهم ماهيات جسيمة
ولم يكن الامر كالسابق من ان العسكر نفس المحاربين كانا يخرجان من طول
الحرب فهيأته محاربة ليس فيها الظفر الا بمساعدة المقادير لا سيما وكانت
المدائن اذ ذاك غير حصينة ففي واقعة واحدة كان يتم الامر ويظهر الغالب
من المغلوب ويرجع البارونات مع اتباعهم الى اشغالهم اليومية بل كانت
المدائن في عصر هنري حصينة محكمة المباني وفيها من يدافع عنها مع
القوة والعزم فبعد أن كان فن الحرب سهلا بسيطا صار محتاجا لكثير
اللوازم وبناء على ذلك كانت تطول مدة الحروب ولا ينتهي القتال الا بعد
المشاق الفادحة فازدادت بذلك مصاريف الحروب حتى سئم الاهالي منها
حيث لم يكونوا يسعدون الا على دفع مغارم جسيمة لا نصر بهم فكان ذلك
سببا للتغيير والنسخ الذي اتخذه ارباب جمعيات المشاورة الانكليزية دنيا ودينا
ولم يمكن للملك هنري مع صولته وشوكته ان يردهم عنه لكنه لما طلب
لاجل هذا الحرب امدادا من الجمعيات البلدية وابت ان تعطيه استعان عليها
بجزية كانت باسم الملوك انكلتره حيث هي ابيح لهم التصرف المطلق
في رعاياهم فبهذه الواسطة حصل ما كان يحتاج اليه من الدراهم ولكن لم يكن
ذلك الا بعد مدة مستطيلة حتى انه مضى معظم فصل الصيف قبل ان يبرز جيشه
الى ميدان الحرب مع امير عسكره الدوق سوفولك وبعد تجهيز جميع اللوازم
سار امير العسكر المذكور بالجيش وضمه الى طائفة عظيمة من عساكر
الفلمنك وتوجه الى اقليم بيكارديه وكان لا يوجد فيها من يدافع عنها

٢ شهر ايلول

١٥٢٣

لان الملك فرنسيس ثم بعد كان لا يلتفت اليها وانما كان مرامه ان يستولي
ثانيا على دوقية ميلان فلم يزل الدوق سوفولك سائرا بدون عائق حتى
وصل الى شواطئ نهر الواز بعيدا عن مدينة باريس بستة فراسخ
ففزع اهل هذه المدينة وداخلهم الخوف والرعب الا ان الملك كان جعل دوق ده
لتون فارسل اليه سرية من العساكر فيها مهرة ضباط الفرنساوية وبسالتهم
لم يمهلوا العدو لا ليلا ولا نهارا حتى الجأوا الانكليز الى الرجوع لاسيما وكانوا
في شدة الشتاء وقد زاد همهم وكان حكمدار تلك السرية الامير لاترموي
فخار الفخار حيث دفع مع شرذمة قليلة من العساكر جيشا جرارا واجلاه من
ارض فرانسا مخذولا وانهزم ايضا عساكر الامبراطور في بورغونيا
وفي غسانيه وان كان الملك فرنسيس لاهماله لم يحصن هذين الاقليمين
على ما ينبغي لكن شجاعة حيرالابه سدت مسد ما فاته من التقصير في العواقب
فطردوا العساكر الالمانية الذين هجموا على اقليم بورغونيا
والعساكر الاسبانيولية الذين هجموا على اقليم غسانيه وخسروا خسرانا
كبيرا

سنة
بها الحرب

وبتلك الهيئة واقعة سنة ١٥٢٣ التي ساعدت المقادير فيها فرنسيس وبدت له
الظفر والنجاح حتى صار له موقع عظيم في ملوك الافرنج واعترفوا له بقوة الشوكة
والصولة كيف وقد كشف دسيسة مهولة ودمر اهلها وخرب من دبرها وهو
الدوق بوربون على الخروج من المملكة حيث اراد الملك بيعها بعد من خدمه
وحشمه وافسد على العصبة القوية التي تحزبت عليه سائر مقاصدها
واغراضها وعرف كيف يدافع عن دولته وكان العدو قد هجم عليها من ثلاث
جهات مختلفة وزيادة على ذلك ظفر جيشه الذي كان جهزه لبلاد ايطاليا
حيث استولى على نصف دوقية ميلان وان كان ذلك دون ما كان يؤمل
منه لزيادة عدده عن عساكر العدو

سنة ١٥٢٤
البابا الجديد في ٢٧
برساط

واما الواقعة التي اعقبت تلك الواقعة فكانت مبادئ مشؤومة على مملكة
فرانسا وذلك انه ضاع منها مدينة فونترابي لخبث حكمدارها او جبانته

وصمم

سنة ١٨٤٣

وصمم المعاهدون فى بلاد ايطاليا على بذل جهدهم فى طرد الامير توسوتطه مع جنسه من الجرمانيين الذى كان تغلب عليه فى دوقيه ميلان وهى البلاد التى خلعهم منها الآن السانا كلهان وان كان حصل تولية فى وسط كل من الساسان لبوف والسانا ادريان نظهر العصابا الفرنساويه صار يظهر من الغيرة والحسد التى نحو سوكة الامبراطور وزادها فاتى ان بعمر كغيره من سبعمائة السياسات العصبية المعتز به على ملك الفرنساويه وسعى نعصبة لهم وبذل جهده فى الاصلاح بين الفريقين ولكن خاب سعيه فى ذلك لان المعاهدين جمعوا جيشا عظيما وارسلوه الى دوقيه ميلان فى اول شهر اذار وتقدم من الامير كولون ملد رياسه هذا الجيش الوزير لانواى الذى كان نائب الملك فى مانيلى لكن اسقط بعضا من الحروب الجسيمة الدوق دى بوربون والملزم بسكير لان هذا الملزم كان اسقط الجنرالات الالمانيه واعظمهم فى المهارة والحذق واما الدوق دى بوربون فكان لا عائلة من الملك فرنسيس بذل جميع مجهوداته لاسيما وكان يعرف طبع الجنرالات الفرنساويه وعساكرهم ويعرف قوتهم وضعفهم فكان له اقتدار عظيم على احكام اداره الجيش الا انه كان هناك عوائق اخرى وهى ان الامبراطور كان لا يمكنه تحصيل الدراهم اللازمه لتحضير المشروعات الجسيمة التى عزم عليها فلما اراد الجنرالات ان يوجهوا بالعساكر الى العدو امتنعوا من السير الا اذا صرفت لهم ماهيه عدة اشهر كانت باقيه لهم فاخذ الضباط يهددونهم بالنار ويخادعونهم اخرى ولم يجد ذلك نفعا بل استمروا على تصميمهم وعزموا على نهب دوقيه ميلان ان لم يعطوا المطلوب لهم ولكن كان للامير موروني كلمه نافذه فى هذه الدوقيه التى هى وطنه فاخذ من اهلها المبلغ اللازم لدفع ماهيات العساكر وبعد ان صرفت لهم ماهياتهم توجهوا الى العدو

ولم يكن مع الامير توسوتطه من العساكر من يكفيه لمقاومه جيوش عدوه وزياده على ذلك لم يكن له كبير معرفه بالفنون العسكريه كغيره من جنرالات

مطلب
مبادره جيش الامبراطور الى الحرب

مطلب
تأخير الحرب بسبب تمكر العساكر وامتناعهم عن السير الى العدو

مطلب
اضطرار الفرنساويه الى ترك دوقيه ميلان

١٠٤٣ ة

الاعداء يحصل عدة مصادمات ذكرها على حسبها مؤرخو ذلك العصر ولا حاجة الى ايرادها هنا الاتها عزل عن غرضنا ولا يتوقف عليها الفائدة ولا يتشوق اليها النفس وبعد تلك المصادمات العديدة اضطر الامير نوسو بطه الى ترك خطة مسينه كان قد ترك بها قرينا من مدينة ساغراسة ولولم يرتحل عن هذه الخطة لاغاثة كبيرا على الاعداء فبعد ارتحاله بقليل اختل نظام جيشه لعدم حسن ادارته وقوة العدو لانهم كانوا يحملون على جيشه حملة منكرة ويقذفون بشدة بضرب النار ويحاولون أن لا تصادموه وهو مصطف منتظم وزيادة على ذلك كان للامير نوسو بطه ستة آلاف من عساكر السويسيين فالعدد منه عزلة فلما كتب لهم أن يحضروا اليه عصوه وابوا الحضور لجيشه فاضطر الى الالتجاء والفرار الى فرانسا وكان تبعه وادى اوسته فوصل الى سواحل نهر سيسية عازما على اخذ ثاره الا وظهر الدوق دى نورنون والامير بسكر مع طلائعه حسن الاعتراض وروا معا على موخر جيشه فسبب نوسو بطه امامها وابدى الحجب العجاب حتى خرج جرحا بالغا اخيره على ترك ميدان الحرب فسلم قيادة الجيش للفارس بيار وكان شجاعا من الابطال الا انه لعدم علمه لم يصل الى الرياسة استقلالا على جيش ولكن كان يعوّل عليه في الخطوب الجسيمة ويناط بالوظائف المهمة التي توقع غيره في الحيرة والارتباك فصار امام الخسائر ولاقى الاعدآ مع الثبات وقوة الجنان وبأ ي به العساكر فحملوا على العدو حملة صادقة فامكنه بذلك ان يسهل الالتجاء على هيئة الجيش الا انه جرح جرحا بالغا لم يمكنه ان يثب على ظهر جواده فامر بعض اتباعه ان يسنده الى شجرة ويجعل وجهه مقابلا للاعدآ ووقع تحته سيفه عوضا عن الصليب وصار ينظر الى سيفه ويدعو الله تعالى حتى مات على هذه الهيئة التي وادتها سرفا في ديانته وشجاعته وكان الدوق دى نوربون امام عساكر الاعدآ فلما وجد قتيل وهو على هذه الحالة رثى لحاله واظهر له التأسف والحسرة فاجابه بيار بهذه العبارة لا ينبغي التأسف على مثلي اذا انا مت حرب شرف العرض في تأديته ما يجب على وانما ينبغي

التأسف

ملحوظة: الفارس بيار وابهرام ... الفرنساوية

سنه ١٥٢٢

الناسف على شقاوة بن حال مملكته ووطنه ونقض عهده * ومن بها اصحاب الملك دسكر ومدح خصائله وتأسف على فقده واظهر له من الشفقة غاية ما يؤمل من عدو كريم النفس واراد ان ينقله من محله فرأى ان في نقله مشقة وخطرا فأبقاه بهذا المحل ونصب له خيمة وابقى عنده اناسا يقومون بخدمته ومعالجته لكن لم تنفعه المعالجة بل مات في ميدان الحرب كأبائه واجداده مدة عدة اجيال فاخذ الامير دسكر خيمته وقبره وارسلها الى امارته فانظر كيف كانوا في تلك الاعصر يحترمون صاحب المعارف في العسكرية حتى ان دوق سافوه امر بان كل مدة سمي اراضيه تمر بها جثة الفارس سار يجب عليها ان تؤدي له من التشريف ما يجب اداؤه لجثث الملوك والوصول الى وطنه وهو افلم دوفينه فتبع له فيها احتفال عظيم وشيع جنازته سائر الناس على اختلاف مراتبهم ومراتبهم

وسار بوسوبطه الى فرانسا مع من بقي من جيشه وفي هذه الحرب العظيمة المدة جرّد الملك فرنسيس عن سائر اراضيه ببلاد ايطاليا ولم يبق له فيها ولي ولا نصير

وحين كانت نيران الحرب مشتعلة في عدة من ممالك الامبراطورية بسبب معاداة الامبراطور شرلكان والملك فرنسيس لبعض كانت بلاد الماانيا في صلح عظيم وراحة تامة بعض على مذهب النسيح في الدين واتساع دائرته * فمن مدة ما كان لوتير مختفيا في قصر وارتبرغ حصل ان رجلا من بلاد اسمه كرلوستاد كان قد تشرب من مشربه وان كان دونه في الحزم والسياسة فبذل جهده وادخل في اعتقاد العامة آراء باطلة واوهاما عاطلة فصار مذهب لوتير وغيروا من بعض مواعظه حتى عصوا في عدة قرى من دوقية سكس وحرقوا الكنائس وكسروا صور القديسين التي كانت بتلك الكنائس محفوظة بها ولا شك ان مثل هذه الافعال كانت تغضب الامير فردريق منتخب سكس الذي كان يدافع عن لوتير في حماه ولو لم يكن منعها على وجه التسرع لكف عن انتصاره وتخليه عن حزب لوتير لان هذا الامر

مطلب
مذهب النسيح في بلاد الماانيا

١٥٢٢

نموذج...

1523 م

المنصب كان مغادرهم مهما أمكن ان لا تغضب الامبراطور وغيره من الملوك الذين
كانوا قائمين بأشد المذاهب الدينية القديمة ولما كان لوثير يعرف ان ذلك
يكون فيه تعريضه للخطر ويؤدي الى اضراره وتعطيل مذهبه خرج فورا من
القصر المذكور من غير أن يستأذن الامير فريدريك ورجع الى مدينة
وتمبرغ وبمساعدة الاقدار كان الناس يحترمون لوثير كل الاحترام
ويهابونه حتى انه بمجرد وصوله الى العاصمة سكنوا واقلعوا عن الافعال القبيحة
التي ارتكبوها وزعموا انه لم يحملهم على ذلك احد من البشر وانما تبعوا صوت
ملك سادتهم وأمرهم به

26 من شهر ادار
1522 م

ترجمة لوثر الكتاب المقدس

وقبل أن يخرج لوثير من مخبئه كان قد شرع في ترجمة الكتاب المقدس
(كتاب العهد القديم والجديد) باللغة الالمانية ومثل هذا كان عسيرا وصعبا
لكنه رأى فيهما فائدة وتعينه حق الاعانة على مقصوده فصمم على ترجمته
ولم يكترث بصعوبته ولا شك انه كان مستكملا لجميع الصفات التي بها يكون
النجاح في مثل هذا المشروع الصعب وذلك انه كان له المام في الجملة باللغات
المشرقية وكان له معرفة غزيرة بالكتب المقدسة وآداب الاحبار الملهمين
وكان يعرف لغة وطنه (اللغة الالمانية) حق المعرفة وكان انشاؤه فيها مطبوعا
طريفا لا يعلوه بلاغة في تلك اللغة وان كان انشاؤه في اللغة اللاطينية ضعيفا
ركيكا فتأمل في النفوس فكثر اجتهاده ومواظبته واعانه تلامذته
ملانكتون وغيره من تلامذته النجباء ثم ترجم كتاب العهد الجديد
سنة 1522 م وكانت اذاعة ترجمة هذا الجزء اكثر ضررا للكنيسة رومة من سائر
الكتب التي الفها لوثر في هذا المعنى وذلك ان الناس على اختلاف مناصبهم
وحرفهم قرؤوا واعتبروا اثرا فيه كل الاعتناء وبحثوا حتى رأوا ان دين عيسى
عليه السلام في الاصل مخالف بالكلية لدين الكنيسة الرومانية وناقض
لسنن البابات الذين يزعمون انهم خلفاء عيسى عليه السلام وحفظة اسرار
دينه وحيث كان يوجد في الانجيل قواعد الدين ظن الناس ان كل انسان له
اقتدار على تطبيق تلك الاصول والاحكام الدينية وعلى البحث في مذاهب

الكنيسة

سنة ١٥٢٤

الكنيسة ومعرفة ما هو موافق منها للدين المسيحي وما هو مخالف له فلما رأى اتباع
لوتير ميل الناس لترجمة اعتقاداته في ذلك وترجموا الكتاب المقدس بعبارات
يفهمها الخاص والعام ونشروا ترجمته في سائر الاقطار الامر فيه

مطلب
ابطال المواسم والمحافل الدينية في عدة مدائن

وحصل في اثناء ذلك ان مدينة نورمبرغ ومدينة فرنكفورت
ومدينة همبورغ وعدة مدائن اخرى كثيرة من بلاد الالمانيا قد انتحلت
الدين الجديد وابطلت ما فيها من ولائم القداس وغيره من المسائل الدينية التي
كانت تأمر بها كنيسة رومة وقام كل من الاميرين منتخب برندبورغ
ودوق برونسويك ودوق لونبورغ وامر اهله بحماية مذهب
لوتير وتعضيده وامروا باشاعته في سائر اراضي دولهم

الوسائط التي استعملها ادريان لمنع تقدم مذهب لوتير

فصار ارباب ديوان رومة في غم شديد بسبب هذه المصيبة التي كانت كل يوم
في نمو وازدياد وكان البابا ادريان بمجرد وصوله الى ايطاليا قد اعتنى
بتحصيل ما يكون به دواء هذا الداء بجمع مشورة الكردينالات والتذاكر معهم
في هذا الشأن وكان ادريان متمكنا من علم اللاهوت الاسكولاستيكي
والمهارة فيه من صغره وكان هذا العلم اصلا في شهرته وملاحظته لم يزل يحبه ويذب
عنه حتى كان لا يفرق بين الكفر وبين قدح لوتير في العلماء الاسكولاستيكيين
لاسيما قدحه في العالم توما آكين لان آراء هذا العالم كانت تظهر له
واضحة مبنية على براهين وادلة قوية لا يمكن نقضها فكان رأيه انه لا ينافي
تلك الآراء ولا يشك في صحتها الا من طمس على بصره وبصيرته ووصل في اودية
الجهالة او كان رأيه انه يكتم الحق وان اعتقده وبالجملة فما كان احد من البابات
يدافع عن مذهب الكنيسة كالبابا ادريان فان البابا ليون العاشر كان
يدافع عن مذهب الكنيسة القديم لمجرد انه كان يخشى على الكنيسة الضرر
ان حصل في مذهبها تغيير وتبديل واما البابا ادريان فكان يعتقد هذا
المذهب القديم ويبدي في الاستدلال على صحته جميع ما يقدر عليه علماء
اللاهوت الاسكولاستيكي من جدل وعناد ثم انه لما كان من طبعه الورع
والزهد وكان منزها عن جميع المفاسد التي كانت حينئذ بديوان رومة

سنة ١٥٢٤

كان يعرف أن ديوان رومه مشحون بالمفاسد وكان يسخط باطنا على أرباب
هذا الديوان بقدر ما كان يسخط عليهم أتباع لوثر ومما يدل على ذلك
الفرمان الذي أرسله إلى مشورة الدينية التي انعقدت بمدينة نورمبرغ
والأمور التي أوصى بها القسيس شيرنغاتو حين أرسله إلى تلك المشورة
لينوب عنه فيها فمن جهة شنع في هذا الفرمان على آراء لوثر تشنيعا
لم يسبق مثله من البابا ليبين للعالم ترويجه أمراء ألمانيا على كونهم
تحملوا في هذا المبتدع أن ينشر بين الناس آراء الكفر وأهملوا في إجراء أمر
الامبراطور الصادر إلى مشورة الدينية المنعقدة في مدينة ورمس
وأمرهم أن يجبروا لوثر إن لم يبادر بالإقلاع عن اعتزاله وضلاله
وأن لا يمهلوه لأنه في أثناء الضرر به كعضو فسد ينبغي بتره ولا حرج في إزالته
وقطعه كما فعل موسى عليه السلام حين قتل الرافضي داثان والرافضي
آبيرون وكما قتل الحواريون المعتزل أنانياس والكافر سافيره
وكما قتل أيضا بعض الملوك والأمراء أتباعهم لهذا السبب * ومن جهة
أخرى اعترف في هذا الفرمان أن فساد حال ديوان رومه هو السبب في ابتلاء
الكنيسة في تلك المصائب ووعد بأنه سيبذل غاية جهده في إزالة تلك المظالم
والمفاسد بقدر ما تسوغه له مقتضيات الأحوال ورجى من أمراء ألمانيا
أن يعينوه في إجراء ما يكون به إزالة الاعتزال الموجود في بلادهم

في تشرين الثاني سنة ١٥٢٢

وبعد أن قرأ أرباب مشورة الدينية فرمان البابا أثنوا عليه في نظير محبته
للكنيسة وشكروه على حسن مقاصده واعتذروا له عن عدم إجراء أمر
الامبراطور الذي صدر لهم في مدينة ورمس بكونهم لم يسهل عليهم ذلك
لكثرة أتباع لوثر وأنصاره وبأن ديوان رومه كان مبغضا عند الرعايا
لشدة ظلمه وعدوانه فلذا كان إجراء ذلك الأمر خطرا جدا بل كان من قبيل
المستحيلات وأبدوا أنه يلزم الآن إيجاد إجراءات جديدة يشفى بها غليل
أهل ألمانيا مما يشكون منه حيث أن شكواهم في محلها لكونها مؤسسة
على مظالم كثيرة لا تطاق كما يعلمه البابا باطلاعه على الجدول الذي سيعرضه

مطلب
ادعاء مشورة الدينية المنعقدة في نورمبورغ بأن تعقد مشورة مسيحية عامة لتنظر في إزالة أسباب الاعتزال

عليه

سنة ١٥٢٤

عليه ارباب مشورة الدينية فمكان رأى ارباب هذه المشورة ان لا دواء يصلح لهذا الداء ويعيد الكنيسة الى عوائدها الاولى الا جمع مشورة مسيحية عامة وبناء على ذلك اشاروا على البابا ان يستأذن الامبراطور ويجمع في اقرب وقت تلك المشورة في احدى المدائن الكبيرة ببلاد المانيا وكل من كان له حق في الحضور بتلك المشورة يأتي اليها آمنا مطمئنا ويبدي رأيه كشفا والا يخشى على الدين القديم من الضياع

مطلب
تحيل باب البابا ومحاولته لاجل منع انعقاد تلك المشورة المسيحية

ولكن لما كان باب البابا اروع منه واكثر نباهة واعرف بمقاصد ديوان رومة وآراء السياسة فزع حين سمع انهم يريدون جمع مشورة مسيحية عامة لانه كان يعلم انه من الخطر للكنيسة وللبابا ان يجمع تلك المشورة في ذلك الزمن اذ كان اغلب الناس حينئذ يبغضون البابا ويستنكرون حكمه عليهم وقل عندهم احترامه واخذوا يتحيرون عن طاعته فاستعمل جميع ما في طاقته من الحيل والخداع ليحمل ارباب مشورة الدينية على مطاردة لوثر ويتركوا مقصدهم من عقد تلك المشورة العامة ببلاد المانيا ولكن حيث ادرك ارباب الدينية ان باب البابا يريد بذلك مراعاة مقاصد ديوان رومة لا المحافظة على امان الراحة في الامبراطورية ولا على احياء الكنيسة الرومانية طاهرة منزهة عن الدنس والارجاس لم يحولوا عن مقصدهم واستمروا على تحرير جدول يتضمن شكواهم ليعرضوه على البابا ولما كان باب البابا ابى ان يوكلوه بحمل هذا الجدول ليوصله الى ديوان رومة وهو لا يحب ان ينقل الى الديوان مثل هذا الخبر المشؤوم عجل بالخروج من مدينة نورمبرغ ولم يستأذنهم

مطلب
عرض مشورة الدينية على البابا جدولا مشتملا على مائة شكوى

فحرر امراء الاهالي ارباب المشورة جدولا مسطورا في تواريخ المانيا يشتمل على مائة مادة شكوى يشكون منها ويعدونها من مظالم ديوان رومة واما امراء القسوس الذين كانوا بتلك المشورة فاقتصروا على عدم المعارضة في هذا الشأن لانهم رأوا انه لا يليق بهم استحسان ذلك والرضا به ولا يخفى ان اغلب هذه الشكاوي كان قد ذكر في الجدول الذي حرر في عهد الامبراطور

١٥٢٤م

مكسمليان ولا نذكرها هنا تفصيلا خوف الاطالة وانما نقول انهم اشتكوا من المظالم التي كانت تضرب على العموم والرعايا والعمران ومن المصادرة الكبيرة التي كانت تعرض لهم من اجتلاب دعوى في ديوان رومه ومن عربدة كانت القسوس من انهم لا تجري عليهم الاحكام المدنية كسائر الاهالي ومن الحيل والخداعات التي كان يستعملها قضاة القسوس ليطلعوا على سائر الدعاوى المدنية ومن قبح سلوك معظم القسيسين وفساد اخلاقهم ومن عدة امور اخرى مستقبحة قد ذكر اغلبها في ضمن الاسباب التي اعانت على نشر مذهب لوثر ونقول ارباب من الناس وجميع الامراء هذا القول، ولهم ان لم يبادر البابا بازالة هذه الاسباب الداعية المضرة فلا يصبرون لها بعد ذلك بل يبذل في ابعاد اسبابها جميع ما يسره الله تعالى لهم من القوة والطاقة

مطلب
اصل ما انحط عليه رأي مشورة الديتة في ٦ من شهر اذار سنة ١٥٢٣

ومع ان نائب البابا الح على ارباب الديتة ان يطاردوا لوثر واحزابه ويضيقوا عليهم كل التضييق صدر منهم امر كتابي لاهالي الامبراطورية ان يصبروا على ما هم عليه حتى تجتمع المشورة القسيسية العامة ولا يدعى الى نشر شيء من العقائد والمذاهب الجديدة تكون مخالفة للمذاهب الكنيسية حتى تنعقد تلك المشورة القسيسية وتحكم بما تستصوبه وصدر ايضا امر بان سائر الخطباء والوعاظ لا يتصدون في خطبهم لذكر شيء من الامور الغامضة الجدلية وانما يقتصرون على ذكر معاني الدين كما هي لمجرد افادة العامة

وكان لاحزاب لوثر مع عظيم فائدة كبيرة من هذه الاوامر الصادرة من مشورة الديتة وذلك انها تدل اوضح دلالة على الفساد الموجود في ديوان رومه وتدل ايضا على ان المغارم التي كانت تضربها القسوس على الناس كانت زائدة عن الحد لا تطيقها الانفس وكان لهم في فرمان البابا ما يدل على صحة مذهبهم وتشنيعهم على الكنيسة بالنظر للامر الاول وهو فساد ديوان رومه واما الثاني وهو ضرب المغارم المجاوزة للحد فامره وكلاء الجمعية الجرمانية في مشورة الديتة وكان انصار المذهب الجديد في تلك المشورة اكثر عددا من انصار الدين القديم واقوى منهم بأسا وشوكة وجعلوا

المظالم

سنة ١٥٢٤

المظالم التي كان لوثير يشنع بها على الكنيسة الرومانية من جهة الامور التي كان اهالي الامبراطورية تشكى منها فلذلك صار لوثير واصحابه في سائر المؤلفات المتداولة التي نشروها بعد ذلك بين الناس يستدلون بقول البابا ادريان والمانية شكوى التي حررتها ارباب مشورة الدينية على صحة ما كانوا يقولونه في اختلال ديوان رومه وظلم القسوس وطمعهم

مطلب ما كان ملام ادريان على فعله

واما اهل رومه فرأوا ان سلوك ادريان بهذه المثابة تدل على خفة وعدم حزمه لان ارباب ديوان رومه كانوا اعتادوا على مثل حسد داوين الباباوات وتعوّدوا على اتخاذ همتهم نصب اعينهم في سائر افعالهم ولا يراعون عدالة ولا حياء فحنقوا كل الحنق من البابا ادريان حيث عدل عن نهج الحزم الذي كان سبقه الباباوات فيه واعترف بان الكنيسة لا تخلو عن الخلل والفساد واعجب من ذلك انه كان يستعين بآراء اناس كان حقه ان يأمرهم بما شاء لا ان يستشيرهم في اموره فكان ارباب هذا الديوان يخشون ان يستند لوثير واخوانه على قول ادريان فلا يزالون على اعتزالهم وعنادهم ويترتب على ذلك ضعف شوكة الباباوات ويترتب عليه سد الابواب التي يأتي منها ايرادات القسوس واموالهم فلذا كانوا يحاولون منع ادريان عن التغيير والتبديل الذي كان يريد احداثه في الكنيسة الرومانية فكان في تعب شديد من جهتين مخالفين الاولى عناد لوثير والاخرى قبح سلوك اهل ايطاليا وفساد اخلاقهم وطالما تأسف على زمن قضاه في رياسة دير لوان وان كان هذا المنصب دون منصبه الان لانه كان فيه في راحة تامة لا يرى ما ينغص عليه عيشه ويمنعه عن تحصيل مقاصد الحسنى

مطلب الانتخابات التي انتخبها كليمان لابطال مذهب لوثير

واما البابا كليمان السابع الذي تولى بعد موت ادريان فكان موهوبا في السياسة وفي الحكم بقدر ما كان ادريان موهوبا في حسن الاخلاق وصفاء النية فكان كغيره من الباباوات يكره انعقاد مشورة دينية كل الكراهة خصوصا وكان لم يتول منصب البابا الا بطريق غير موافق للقوانين فكان يخشى من

١٥٢٤ م

انعقاد تلك المشورة لانها ربما نازعت في تولية فلا جل أن تخرج من تلك الحيرة التي اوقعته فيها عدم حزم ادريان الذي كان قبله زمان يحاول كل المحاولة في اعانة اهل المانيا على الامرين اللذين كانوا يطلبونهما اعني انعقاد المشورة العمومية وازالة المظالم والمفاسد من ديوان رومه فانتخب رجلا جادا فطنا ونبيها لكون بانشاعه في مشورة الدينية التي انعقدت بالمانيا في مدينة نورمبرغ وهو الكردينال كمبيجه الذي كان الباباوات يستعملونه كثيرا في المأموريات ويرسلونه سفيرا في المهمات الكبيرة فيوفقون في الامور فانها مصالح حسنية جيدة وسياسات امور صعبة مهمة وكان يوفق بها حتى الوفقه

فلما حل الكردينال كمبيجه بمشورة الدينية لم يتعرض لذكر ما حصل في المشورة السابقة بل وعظ الناس بخطبة طويلة موضوعها تحريض ارباب المشورة على اجراء الامر الصادر من الامبراطور الى المشورة التي انعقدت بمدينة ورمس لانه لا يمكن منع اعتزال لوتير الا بهذا الامر فاجابه ارباب المشورة بانهم يريدون اولا ان يعرفوا راي البابا في شان ما عرضوا عليه وهو طلب عقد المشورة العمومية وازالة المظالم التي ذكروها في تقريرهم فحاولهم ان لا يجيبهم على العرض الاول وهو عقد المشورة العمومية حيث اجابهم بكلام محتمل مبهم وهو ان غرض البابا النصب عمامة المصلحة للكنيسة الرومانية واما العرض الثاني وهو ازالة المظالم المذكورة في تقريرهم فاجاب عنه بان التقرير لم يصل الى رومة الا بعد موت البابا ادريان وبنا على ذلك فهو لم يعرض على البابا الجديد حتى يظهر رأيه في هذا العرض ولكن قال امام ارباب المشورة ان هذا التقرير الذي ارسل الى البابا يشتمل على مواد فيها اساءة ادب في حقه وان ارباب المشورة قد اساؤوا الادب ايضا في حق الكنيسة الرومانية حيث امروا بنشر تلك المواد بين الناس وختم كلامه بطلبه منهم ان ينصبوا على لوتير واتباعه كل النصب ووافقه على هذا الرأي رسول الامبراطور وافاد ان الامبراطور يريد نصر الكنيسة واما هاتحرمه محله ومع ذلك فكان حاصل مذاكرات هذه المشورة عين ما تحطب

تداوله باب البابا
بمشورة الدينية
بعده بالمانيا بمدينة
نورمبرغ في سنة ١٥٢٤ بساط

الابا

الآراء في الصورة المعقودة قبلها ولم يرد عليه شيء من التسديد والتصديق على لوتير ولا على اتباعه واجرائه

ولعل ان خروج الكردينال كمبجه من بلاد المانيا شتّت من الناس بعض هواجس لطيفة كان غرضه بها استعطافهم واستمالة قلوبهم لان هذه الهواجس كان فيها ازالة بعض اشيا من المظالم والمفاسد التي كان يرتكبها اسافل القسوس ولكن كانت قليلة لم تسبب تقليل اتباع لوتير ولم تجد نفعا في تسكين غيظ الناس لان هذا الكردينال فعله ذلك كانه انما قطع بعض فروع من شجرة خبيثة الاصل كان اهل المانيا يريدون قلعها واستئصالها من جذرها

(المقالة الرابعة)

من اتحاف ملوك الزمان

بتاريخ الامبراطور سرلكان

مطلب
آراء دول ايطاليا في شأن مصالح الامبراطور سرلكان والملك فرنسيس

كان اهل ايطاليا يحرمون بانه بعد انهزام الفرنساوية وطردهم من دوقية ميلان ومن اراضي جمهورية جنوة لا يمكن انقطاع الحرب بين الامبراطور سرلكان والملك فرنسيس ولما رأوا انه لم يبق في ايطاليا بعد طرد الفرنساوية منها الا دوسوكة ووجوه عكسها ان مقاوم الامبراطور صاروا يخشون من ازدياد قوته وبقوة سوكته واخذوا يبذلون غاية جهدهم في ايقاع الصلح بين الفريقين وكان السبب الاصلي الذي دعاهم الى المعاهدة مع الامبراطور هو ان يردوا الى الامير سفورس بلاد الوراثة فلما بلغوا هذا الغرض لاح منهم علامات تدل على انهم لا يريدون من الآن مساعدة اعانة الامبراطور على خصمه الملك فرنسيس وانه قد حصل لهم باطنا غير من ظفر الامبراطور وازدياد سوكته وصولته لاسيما البابا كليمان فانه كان يخاف كثيرا من طمع الامبراطور ويبذل غاية جهده في ان يعرض في قلبه حب القناعة ويترك الطمع وان يميله الى الصلح كما استدل على ذلك بغير اسلافه الى حروبها للامبراطور وبكلام رسله الذين بعثهم اليه لهذا الغرض

سنة ١٥٢٤م
مطلب
تصميم شرلكان على الهجوم على مملكة فرنسا

ولكن لجماح الامبراطور وشدة طمعه وتحريض الدوق دي بوربون اياه
لانه كان يريد الانتقام لنفسه لم ينتصح لقول كاتمان بل اظهر انه صمم على
الحرب وانه لا يمكن ان يرجع عن بده وانه سيأمر جيشه بان يسير من جبال
الب ليهجم على اقليم بروفنسه لانه غير حصين وحاول ارباب الحرب والتجارب
من وزرائه ان يحولوه عن هذا القصد وبينوا له انه يصعب عليه لقلة عساكره
ونفاد امواله ولم يجد ذلك شيئا لانه كان يؤمل ان ملك انكلتره سيبعث اليه اعانة
وزاد على ذلك ان الدوق دي بوربون تعهد بانه بمجرد دخول جيشه
في فرانسا ينضم اليه طائفة كثيرة من احزابه واصحابه الذين كانوا في غلي
عظيم من طرده من المملكة وبعدهم فلذا استمر شرلكان مصمما على
مقصده ولا ندري انه في غرور واماني باطلة وقد التزم الملك هنري ان يدفع
مائة الف دوقه (نوع من النقود) على سبيل الاعانة مدة اول شهر من الحرب
وبعد هذا الشهر يكون مخيرا بين امرين اما ان يستمر على دفع هذا المبلغ
في كل شهر او يهجم على اقليم بيكردية مع جيش عظيم قبل فراغ شهر عور
والتزم الامبراطور ان يهجم قبل فراغ الشهر المذكور على اقليم غيينه مع
طائفة كثيرة من العساكر فاذا انتصر رد الى الدوق دي بوربون جميع اراضيه
المسلوبة منه ويولى ملكا على اقليم بروفنسه ويكون تحت سيادة الملك
هنري لانه هو الاحق بالملك على فرانسا

ولم يحصل من هذه الامور كلها الا شيء واحد وهو الهجوم على اقليم بروفنسه
لان شرلكان لم يغير همته ولم يرجع عن هذا القصد وان كان الدوق دي
بوربون لم يراع الاحوال اذ ذاك وأبى ان يكون تحت سيادة الملك هنري
وان يعترف بالملوكية على مملكة فرانسا فانتقد الملك هنري ذلك عليه ورجع
عن جميع الاشياء التي كان التزم بها وكان جيش الامبراطور الذي اعده لهذا
المشروع لا يبلغ الا ثمانية عشر الفا وجعل الامير پسكير رئيسا عليه وامره
ان يعمل في جميع حركاته واعماله لاوامر الدوق دي بوربون فسار هذا الامير
واجتاز جبال الب ولم يجد من يقاومه ويصده عن الطريق فدخل اقليم

پروفنسه

بروسه ووضع الحصار امام مدينة مرسيليا وكان مرام دي بوربون ان يسير الى مدينة آفيون لان اراضيه كانت قريبة تلك المدينة فتكون مركزه بها اقوى وكلمته اكثر نفوذا ولكن حيث كان الامير بسكير يعلم ان الامبراطور شرلكان يرغب كل الرغبة في الاستيلاء على مدينة مرسيليا لانه اذا استولى عليها سهل عليه ان يدخل مملكة فرانسا متى شاء فلم يقبل تلك المشورة وقول بوربون ورأى ان اخذ مرسيليا هو الغرض الاصلي فلما ادرك الملك فرنسيس مقصد الامبراطور اتخذ الوسائط والاحتراسات التي بها يمكنه ان يسد على الامبراطور مآربه وقصد تعميره تخريب البلاد التي حول مرسيليا لئلا يجد الاعداء فيها ما يقتاتون به وهدم ضواحيها وانشأ تحصينات جديدة ووضع في المدينة طائفة كبيرة من المحافظين وجعل عليهم ضباطا اهل خبرة ودراية وشجاعة عظيمة وانضم الى المحافظين تسعة آلاف من اهل المدينة فخافوا من الوقوع في ايدي اهل اسبانيا فلم يهابوا الاخطار والاهوال وتسلحوا وصدوا الدفع العدو وضاعفت شجاعتهم وبسالتهم جنود دي بوربون ومعارف بسكير العسكرية وفي اثناء ذلك سهل على الملك فرنسيس ان يجمع جيشا عظيما تحت مدينة آفيون وسار به الى مرسيليا وكان جيش الامبراطور قد مضى عليه اربعون يوما وهو يكابد مشاق المحاصرة فتعب كل التعب وضعفت قوى العساكر بسبب الامراض وكان قد اشرف زادهم على النفاد فرفعوا الحصار وفروا الى ايطاليا

ولو هجم الامبراطور والملك هنري على مملكة فرانسا في مدة ما كان الجيش في اقليم بروسيه حسبما اتفقا عليه لكانت تلك المملكة عرضة لاخطار عظيمة الا ان الامبراطور وجد ان ايراده لا يكفيه في تتميم ما عزم عليه فاضطر الى انه يصرف ما يقتدون به كما هي عادته من انه كان يعزم على امور كثيرة ولا يتمها كلها ولم يساعده الملك هنري في هذا المشروع لاسباب منها انه حصل له غيظ من دي بوربون حيث أبى ان يقر بان يكون له الحق في ملوكية

مطلب
دخول جيش الامبراطور في اقليم بروسة في ١٩ من شهر آب

مطلب
ما اتخذه الملك فرنسيس من الاحتراسات المبنية على الحزم والحذق

مطلب
رفع جيش الامبراطور الحصار عن مدينة مرسيليا في ١٧ من شهر ايلول

فرانسا ومنها ان اهل اسبانيا تحرّضوا ملك فرانسا بانهم عزموا على المسير الى انكلترة لنشر العار عليها وزيادة على ذلك لا يخفى ان الوزير ولسي هو الذي كان يحث ملك انكلترة على اعانة الامبراطور ليساعده في نيل منصب البابا اطماعاً واولى انسان مثله على هذا المنصب ولم يعنه الامبراطور كما كان وعده فتاب املاه منه وضرب همه من جهته وصار لا يعتني بمصالحه ولا يسعى في منفعته حتى تمم بحسب سنده الملك هنري على اعانته في مشروعاته

مطلب
زار الملك فرنسيس الصاح

ولو اكتفى ملك فرانسا بحفظ رعاياه وبلاده من تلك الاغارة المهولة التي ادخلت في اعتقاد الافرنج ان دول الداخلية عظيمة جداً حتى امكنها طرد جيش الامبراطور وان كان معه الدوق دي بوربون واعانه ام الاعانة وهو دو شوكة عظيمة ومعارف غزيرة وتعرف مملكة الفرنساوية حق المعرفة لكونه منها لما ثم هذا الحرب باسباب الفخر والشرف له ولرعاياه لكنه لما كان شجاعاً طماعاً تغتر بمساعدة دهره وكان من دأبه الميل الى الخطر لا الى الحزم كان يشرع بما يالبه وراحته اوداً ويظهر شجاعته ويغتر بظفر في كل مشروع خطب يلزم له السبب والخسار فلما ساعده الدهر في هذا المشروع تعلقت آماله بما فوق ذلك لا سيما وكان له اذذاك جيش جرار بعد من اعظم الجيوش التي سوحها في مملكة فرانسا فاثبت نفسه ان شرّح هذا الجيش قبل ان تظهر به في حرب كبير وزاد على ذلك انه راى ان جيش الامبراطور قد تعب من مشاق المحاصرة وضرب همته بعد الهزيمة وان دوقة ميلان لا تجد من يدافع عنها وانه لا مانع من دخولها قبل ان تصل اليها عساكر مع من بقي معه من العساكر بعد الهزيمة وان ضل الادصل عساكر هذا الامر اليها الا وهم على غاية من التعب والمشقة من سرعة سيرهم لما داخلهم من الخوف والرعب فلا تكون لهم اقدار على مقاومة عساكر عديدة لم تشرهما ولم تكل عزمها فتبادر دوقة ميلان الى التسليم بدون مقاومة كما حصل منها ذلك عدة مرات مع ان هذه الاماني في حد ذاتها كانت مقبولة لا تستبعدها العقل

مطلب
تصميمه على الهجوم على دوقة ميلان

الا ان

الا ان الملك فرنسيس لحسبانه اياها من الامور المهمة شاور اولي الدراية من وزرائه وخبر الانسان به عن هذا المشروع وابدوا له انه خطر يصعب عليه نجاحه ويتمادى كان وقت شتاء وامطار لا سيما وكان معظم جيشه من السويسريين والالمانيين لا من رعاياه فلا مانع انهم يتخلون عنه فيكون عرضة لاخطار عظيمة ولما اطلع على ذلك والدته لويز عجلت بالسفر الى اقليم بروفنسه لتمنعه عن هذا المشروع الخطر ومع ذلك لم يلتفت الى قول وزرائه ولا خاف ان لا تغضب والدته بعدم قبوله لنصيحتها سافر قبل ان تصل اليه ولكن حيث كان ذلك يخل بحلمها على كل حال ويدل على عدم اعتباره لها جعلها قبل سفره نائبة على المملكة مدة غيبته هذا وقد بين لنا ان ننبه هنا على ان الامير بوربون قد دل على انه جهد في حث الملك فرنسيس على السفر الى ميلان لانه كان داخله وبدا وكان من طبعه وطبع الملك فرنسيس شبه كلي وزيادة على ذلك كان مدة حربه الاول في دوقية ميلان قد عشق امرأة من نساء تلك الناحية وكان في قلق من بعد عشقها وكان يحب الاجتماع بها ويقال انه اخبر الملك فرنسيس بعشقها وبالغ له في حسنها وجمالها حتى تعلق بها قلبه واشتغل بها خاطره واشتاقت نفسه الى رؤيتها فانه كان بمكانة عظيمة بين العشاق

سنة ١٥٢٤

مطلب
اقامة امه نائبة عنه في المملكة مدة غيبته

فاختار الفرنساوية جبال الالب من جهة تسمى سنيس واسرعوا في السير لانهم كانوا يرون نجاحهم موقوفا على مبادرتهم ووصولهم الى ميلان قبل وصول بسكاره مع عساكر الامبراطور اليها وكان بسكاره قد سار من طريق اطول واصعب من الطريق التي سار منها الملك فرنسيس بنفسه فانه سار من طريق موناكو وطريق فسال فلما بلغه مقصد فرنسيس علم ان دوقية ميلان لا يحفظها الا اذا اقتحمها بعساكره فحث السير حتى وصل الى دلبه يوم وصل الجيش الفرنساوي الى ورسيه ولما كان الملك فرنسيس يعلم ان تواني بوربون وتأخر في الحرب الاول هو السبب في خذلانه وانهزامه لم يقف بل سار بدون براح ولا امهال الى

مطلب
الحرب الحاصل في دوقية ميلان

مدينة ميلان فصمم بظهوره بنفسه العظيم أمام ملك المدينة ووقع الرعب
والخوف في قلوب أهلها حتى إن الأمير بسكير حين دخل فيها مع أعظم
عساكره وأكبرهم شجاعة ومهارة جزم بأنه لا يمكنه أن ينجح في المدافعة عنها
ولا أن يصدها من أيدي الأعداء بوجه من الوجوه فوضع في القلعة طائفة
من الحافظين وخرج من باب وكان الفرنساوية إذ ذاك يدخلونها من الباب
الآخر

فكانت سرعة سير ملك فرانسا سببا في إفساد ما دبره مدبرو الإمبراطور
في شأن المدافعة وصاروا بعد ذلك في حيرة كبيرة ولم يبق لأحد من رؤساء
العساكر ما حصل لومدلروسا مدبرو الإمبراطور حيث كان يلزمهم مقاومة
جيش جرار وهم على غاية من الضنك والضيق ثم إن دول الإمبراطور شرلكان
كانت كبيرة واسعة لا يحكم على مثلها أحد من ملوك الإفرنج ولم يكن عنده
من العساكر المستأجر الاحنش اللمرديه الذي كان عنده نسبة عشر الما
ولكن كانت شوكته ضعيفة وكلمته قليلة النفوذ في دولته وكان لا يجوز له
أن يضرب على رعاياه مغارم جديدة إلا برضائهم وكانوا يظهرون الضجر
والبطء إذا ضرب عليهم مغرما جديدا عند الحاجة فكسب عساكره بدون ماهية
وزاد وملبوس بل كان لا يمكن تحصيل المهمات والمواد الحربية اللازمة لهؤلاء
العساكر فكان لا يقوم بهذا الخطب الجسيم إلا أن يبذل الأمير لانواي غاية
حزمه وسداد رأيه وأن يظهر الأمير بسكير غاية شجاعته ومهارته وأن يجتهد
الأمير دي بوربون بقدر ما في قلبه من البغض والحقد للملك فرنسيس
وبدون ذلك لا يمكن منع عساكر الإمبراطور من الوقوع في اليأس
والقنوط ولا تحصل المنافع التي بها أمكن لقربي الإمبراطور أن يخرجوا من تلك
الأخطار ولا شك أنه لم يبق للإمبراطور دول في إيطاليا إلا بسبب حزم
هؤلاء الرؤساء الثلاثة واجتهادهم لا بكثرة رجاله وقوة العسكرية فرهن
الأمير لانواي أراد مملكته نابلي وحصل بذلك ما صرفه على العساكر
في أمورهم الضرورية وكان العساكر الإسبانيولية يحبون الأمير

بسكير

سنة ١٥٢٤

سكنكر حاجاتهم على ان يلتزموا خدمة الامبراطور في هذا الخطب
وان لا يطلبوا ماهياتهم لقول الامير انهم سيأخذون بحسب زيادة الفخر والشرف
وذلك يجعلهم في الاعتبار فوق العساكر المستأجرة فقبلوا منه ذلك عن طيب
نفس ورهن الامير دي بوربون حليه وجواهره الثمينة واخذ بدلها مبلغا
عظيما وسافر فورا الى بلاد الماسيا وكان له بها شوكة عظيمة وكلمة نافذة لجمع
منها طائفة كبيرة من العساكر لاعانة الامبراطور

مطلب

محاصرة فرنسيس لمدينة باويا

وقد اخطأ الملك فرنسيس خطأ كبيرا حيث امهل رؤسا عساكر
الامبراطور حتى فعلوا ذلك كله لاسيما وكان عساكر الامبراطور قد فروا امامه
وذهبوا الى مدينة لودي على نهر العدة وهي مدينة غير حصينة حتى كان
الامير بسكير قد عزم على تركها عند ظهور العساكر الفرنساوية
ودنوهم منها ولكن استحسن الملك فرنسيس راي الامير بونيويطه
وان كان مخالفا لرأي بقية الرؤسا ووضع الحصار امام مدينة باويا
الموضوعة على نهر تزان وكانت تلك المدينة مهمة يسهل بالتغلب عليها
الاستيلا على جميع البلدان التي على شاطئ هذا النهر لكنها كانت حصينة
منيعة فكان من الخطر الشروع في حصارها في مثل ذلك الوقت اي في اشد
فصل الشتا هذا وكان رؤساء عساكر الامبراطور يعلمون ما يترتب على تغلب
الفرنساوية على هذه المدينة فجعلوا فيها لمحافظتها ستة آلاف من اقدم العساكر
المنتخبين من العسكرية وجعلوا رئيسهم انطوان دوليوه وهو ضابط
جليل القدر كثير الاعتبار له من الدراية والشجاعة الحظ الاوفر وله في الادارة
اليد الطولى ذو حزم وعزم يحب الشرف والفخار معود على حسن القيادة
والانقياد فكان يسهل عليه ان يتحمل جميع المشاق ويبذل ما في وسعه لنجح
وربح

مطلب

شدته في تلك المحاصرة

وقد شدد فرنسيس في هذه المحاصرة وبذل في تتميمها فوق طاقته فلاجل
التغلب على قلعة المدينة استعمل مهندسو ذلك العصر ما في طاقتهم ولم يبق
للعساكر غير الاجتهاد والمداومة ولا جهد الا بذلوه ولم يمكن للامير لانواي ولا للامير

ه ١٥٤٤

بشكيرا ان فعلا شنيعا مع الملك فرنسيس بل مكنا في البر والبحر حتى شاع
في رومة اسيرا بالامبراطور وجرى انه قد بعث بجنل لمن يعقد المجلس
الامبراطوري الذي حصل في شهر تشرين الاول وشاع في الجبال التي تفصل
فرانسا من لومبردية ولم يقف له احد على خبره ولا اثر

مطلب امنة المحصورين

ولما رأى الضابط انطوان دوليو ان انباء وطنه في خطر عظيم وكرب
شديد ورأى انه لا يمكنهم مقاومة العدو خارج المحصورين علم انه لا يبقى له المعول
الا على نفسه وشجاعته وعزمه ومهارته فابدى من ذلك ما يلائم عظم الثقة
التي امن عليها فدافع عنها فكر ما خرج منها بعساكره واقتص على عساكر
الفرنساويه بثبات ناس وعزم قوي فصادمهم بذلك عن الدنو منها وما كانت
جهة مدافعتهم في الاسوار كان محذورا من استحكامات حصينة متينة كانت
تظهر انها السبب دون الاستحكامات القديمة وكان يدفع الاعداء المحاصرين
بقوة عظيمة وعزم متين وثباتية في ذلك المحافظون وسكان المدينة فكانوا
لا يكترثون بمكابدة المشاق ولا باقتحام الاخطار وغاية الاهتمام لنوه على
مقاومة الاعداء وابعادهم بوابل فضل السماء وما تحدث عنها ومن جملة ما فعله
الملك فرنسيس ليتغلب على المدينة تحويله لمجرى نهر تيزين وكان
كالمتحصن لها من احدى جهاتها الا ان هذا النهر فاض على حين غفلة فصار فاتا
كثيرا فاضاع في يوم واحد ما جدده الملك فرنسيس في عدة اسابيع
وبجاجمع الجسور التي بناها حسبه وصرف فيها اموالا جسيمة ومهمات
عظيمة

مطلب ميل البابا عن الفرنسيس بحسب مشارطة عقدها

ومع بطء المحاصر وما حصل للشهر لنوه بحسن مدافعته كان من المجزوم به
انه لو بقيت الاحوال على ما كانت عليه لاضطرت المدينة الى التسليم ولو بعد
حين لا سيما وكان قد بين للبابا ان جيش الفرنساويه هو الغالب وكان يغار
من الامبراطور كل الغيرة فحل بعض المشارطات التي كانت معقودة بينهما
وبادر بعقد معاهدة جديدة مع الملك فرنسيس وكان البابا ليون العاشر
قبله قد عزم على مشروع خطب وهو انقاذ بلاد ايطاليا من ايدي كل

من

سنة ١٥٢٤

من الامبراطور وملك فرانسا وانما هو مكان محترس غاية الاحتراس في جميع اموره فلم يصغ بهذا المشروع بل عدل عنه الى مشروع آخر اسهل منه وهو اظهار الميل لاحد الفريقين وسلوك سبيل المداهنة لطمعه بقوى الفريقين الا انه اظهر ان احب الاشياء اليه هو استيلاء ملك فرانسا على دوقة ميلان لنمنع الامبراطور حتى كان لا يوجد حينئذ بلاد ايطاليا من له اقتدار على هذه مثل هذا البابا حينئذ في عقد صلح بينه وبين الملك فرنسيس احد بلاده في مملكة ايطاليا ولكن كان الامبراطور شرلكان ذوي العزم والثبات لا يرده شيء عن عزمه ما وقع عليه فرد عن قول البابا وتظلم منه حيث انه هو الذي دعاه الى الاغارة على دوقة ميلان فقبل توليته منصب البابا فلما ابى الامبراطور ان يقبل قول البابا عقد عقدا مع ملك فرانسا مشارطة بانه لا ينصر احد الحزبين على الآخر وكانت جمهورية فلورنسة داخلة في ضمن تلك المشارطة بمعنى انها تخلت عن الفريقين

مطلب
اغارة فرنسيس على مملكة نابلي

فهذه المشارطة تخلى عن فريق الامبراطور دولتان هو سان اعني البابا وجمهورية فلورنسة واذ ان الملك فرنسيس ان عزيمته من ارادتهما فلما رأى هذا الملك ان ذلك بعينه ام اغاثه عزم على شن الغارة على مملكة نابلي مؤملا انه يسهل عليه الاستيلاء عليها لانها ليست محصنة والامبراطور غير ملتفت اليها ولو فرض انه لا يمكنه التغلب عليها فله في الهجوم عليها ما رب اخرى وهي ان عاملها اي نائب الامبراطور بها يتطلب ان يحصر اليه فرقة من العساكر الامبراطورية الموجود في دوقة ميلان وبنا على ذلك ارسل الى مملكة نابلي سته آلاف من العساكر وجعل عليهم رئيسا الامير حنا سوار وهو دوق البانية ولكن ادرك الامير بسكيرا ان ذلك كله مساعلة وملاها ورأى ان دوقة ميلان هي مركز العمل فامر الامير لانوا اي بانه لا يلتفت الى ذلك ولا يعبر به لانه خداع ومحاولة بل يجعل مآل الملك فرنسيس مطمح نظر ولا يلتفت الى غيره حيث انه قد اضعف جيشه بنفسه اذ فرق جيشه بدون ثمرة محروم بها وحصل عنه تلك المسرة الى

سنة ١٥٢٤

مطلب
له كل من الامير بسكر
مر دى بوربون من
عظم الجهد والعزم

ارسلها الى نابلى واستحق بذلك لوم الناس عليه من حيث ان عادته ان يخاطر بنفسه ويعزم على امور بمقتضى الامانى الباطلة

ولنرجع الى الكلام على مدينة باويا فنقول ان محافظيها كانوا فى كرب شديد وضيق عظيم حيث احدقت جنائزهم ولوازمهم الحربية فى العصيان وكانت العساكر الالمانية منهم لم تصرف لها ماهياتها مدة سبعة اشهر كاملة فعصيت وقالت انها تسلم المدينة الى العدو ان لم يدفع لها ماهياتها حتى ان الامير ليوه مع شجاعته وحسن سياسته ووفود كلمه عليهم عسر عليه ان يمنعها عن العصيان فلما علم رؤساء عساكر الامبراطور بما هى فيه من كرب شديد بادروا بالمسير اليه ليغيثوه وكان لا يمكنهم حينئذ ان يفعلوا احسن من ذلك فسار اليه الامير دى بوربون ومعه اثنا عشر الفا من الالمانيين وجد السير حتى وصل فى اقرب مدة الى بلاد لومبرديه وانضم مع هولاء العساكر الى جيش الامبراطور فكاد يساوى فى العدة جيش الفرنساوية بعد ان انفصلت عنه سنة الآلاف المبعوثة الى نابلى مع دوق البانيه خصوصا وكان جيش الفرنساوية قد تعب وكلت همته لطول المحاصرة ومصادمة الشتاء ولكن كان جيش الامبراطور كلما ازداد عددا ازدادت فيه القحط واحتاج الى اموال ومصاريف كان لا يمكن تحصيلها فكان لا يتيسر تحصيل الاموال اللازمة لمصاريف العساكر بل ولا ما يلزم لنقل الاسلحة والمهمات الحربية والذخائر الا ان مهارة رؤساء الامبراطور سدت مسد ذلك كله بسبب ان ذوى العزم والحزم ما تحل عن الوصف وشرحوا صدور العساكر بمواعيد من عزمهم بشدة حتى استمالوا اهواءهم وساروا بهم الى ملاقاة العدو من غير ان تدفع لهم ماهياتهم لا سيما وكانوا قد شرحوا لهم القول حيث ابدوا لهم انهم سيسيرون بهم الى الاعداء بدون فتور ولا ارتياح وانه سيكون لهم النصرة ويغنمون غنائم عظيمة من سلب جيش الفرنساوية ويأخذون ما يكافئهم حتى المكافأة على تعبهم وبذل جهدهم وزيادة على ذلك كان العساكر يرون انهم ان عصوا وخرجوا من الجيش ضاعت عليهم ماهياتهم المتأخرة وكانوا

سنة ١٥٢٤

في قلق عظيم لم يوفوا بالكرورة الواسعة التي وعدهم بها الرؤسا فطلبوا بانتشاب
الحرب وملاقاة العدو واظهروا من القلق والجزع ما يصدر عادة عمن يتصدى
للقتال لقصد السلب والنهب والاغتنام

مطلب
هجوم الجيش الامبراطوري على عساكر الفرنساوية في ٣ من شهر [illegible]

فلما طلب العساكر الحرب بانفسهم لم يمهلهم الرؤسا حتى تبرد همتهم بل بادروا
بانتهاز تلك الفرصة وتوجهوا بهم فورا الى معسكر الفرنساوية فلما بلغ الملك
فرنسيس ان جيش الامبراطور قادم اليه جمع رؤسا جيشه وعقد مشورة
حرب للمذاكرة فيما يلزم عمله فانحط راي ارباب الدراية والخبرة من ضباطه
على ان يسافر مع جيشه ولا يتصدى لقتال جيش تعضده سواعد اليأس
والقنوط لان العاقلين بذلك كانوا يرون ان رؤسا الجيش الامبراطوري
اذا لم يجدوا احدا يحاربونه يختل نظامهم ويعصى عليهم العساكر بسبب
عدم صرف ماهياتهم فيضطرون الى تسريحهم لانه لم يمنعهم عن العصيان
الا تعلق آمالهم بأخذ سلب اعدائهم او ان العساكر لا يرون ما وعدوا به
فيأخذون في العصيان ولا يمنع رؤساؤهم الا الى ما باد ودبه على اهبتهم
وبالجملة فكان رأيهم هو أن اشاروا على الملك فرنسيس ان يتحصن في محل
حصين حتى تاتيه العساكر الجديدة التي ارسل بطلبها من مملكة فرانسا
ومن السويسة فانه حينئذ يمكنه بدون مشقة ولا ثقل ثم ان يعلق
على دوقية ميلان بل فراغ فصل الربيع ولكن كان رأي الامير
بونيوطه بخلاف ذلك فكأنه قد سبق في الازل انه لا يبدي مدة هذا الحرب
رايا الا ويكون رأي سوء وشؤم على مملكة فرانسا وذلك انه راى ان من العار
للملك فرنسيس كونه يترك مدينة باويا بعد أن حاصرها مدة مستطيلة
ويهرب من جيش اقل عددا من جيشه وقال ان الحرب اولى من ترك مشروع
نسبته للملك شهرة عظيمة مدى الدهور والايام لاسيما وكان الملك فرنسيس
محافظا على اسباب الشرف وراعي مفاخر العرض وكان قبل ذلك قد اخبر عن
من نامه انه لا يأخذ مدينة باويا او يهلك تحت اسوارها فرأى انه لا يليق به
العدول عما عزم عليه ولم يصغ لقول من اشار عليه بالرحيل والانتقا

سنة ١٥٢٥

في تحصن بل مكسك تحت اسوار ناوبا ينتظر هجوم جيش الامبراطور

مطلب واقعة ناوبا

فلما وصل رؤساء جيش الامبراطور بعساكرهم الى معسكر الفرنساوية وجدوه على غاية من التحصين والاحكام حتى انهم مع ما كان لهم من الاسباب التي تدعوهم الى الحمل على العدو بدون مهلة ولا تراخ مكثوا زمنا طويلا وهم في تردد وحيرة لكنهم لما رأوا ان المحصورين بالمدينة قد ضاق بهم الحال واستولى على قلوبهم اليأس ورأوا ان الجيش قد ضجر من طول المدة خاطروا بانفسهم وشرعوا في القتال وتصادم الجيشان بحمية لم يسبق مثلها في ميدان حرب ولم يتفق ان جيشا آخر اظهر من العزم عند اللقاء ما اظهره كل من هذين الجيشين ليثبت لنفسه النصرة على الآخر ولم يسبق واقعة ترتب عليها من نتائج النصر والهزيمة ما يضاهي نتائج هذه الواقعة ولا واقعة اخرى كان الفريقان فيها يبذلان غاية جهدهما لما بهما من الغيرة والحقد والتعصبات الملية وغير ذلك من الاسباب الاخرى التي تحمل الانسان على كونه يبذل ما فوق طاقته فمن جهة كنت ترى المكانى عمومان شانه يقصد ابطال الامراء والامراء الذين يدلون بنفس هو منهم في محنته وربما كانت جيشهم لا يزال في نمو وازدياد من مقاومة العدو لهم وكان فالهم لتحصيل الفخر وشرف العرض ومن جهة اخرى كنت ترى فريقا آخر مؤلفا من ابطال اعرف فنون العسكرية من القرن الاول ورؤساؤهم اكبر نهار وخبراء وكانوا جميعا يتداولون مع الجمعية التي تسلطت على الفلك عند اليأس والضرورة ومع ذلك لم يمكن لجيش الامبراطور في مبدإ الامر ان يثبت امام جيش الفرنساوية حتى ان اعظم اورطة واحكمها انتظاما واضبطها فاحدث في الزلزل والتقهقر الا ان الدهر ادبر عن الفرنساوية بعد الاقبال وتغير الحال في الحال فان جميع العساكر السويسية الذين كانوا مع جيش الفرنساوية نسوا ما اكتسبته لهم من الشهرة والفخار بسبب الامانة والشجاعة وحملهم الجبن على ترك معسكرهم فعند ذلك خرج الامير لنوه مع عساكره من المدينة وحمل على ساقة الجيش الفرنساوي

٢ من شهر ساط

جملة عساكره فاختل نظامها وهرب معظمها وحمل اتباع الامير بسكير
مع خيالة الامبراطور على الخيالة الفرنساوية وكانت خيالة الامبراطور من
الالمانيين وكان الامير بسكير بحزمه وسياسته قد جعل في خلال هؤلاء
الخيالة جماعة من المشاة الاسبانيولية وكان هؤلاء المشاة مسلحين
بربانات ثقيلة فاقتحم الامير بسكير صفوف الخيالة الفرنساوية بواسطة
طريقة جديدة لم يكن يخطر ببال الفرنساوية فانهزم عند ذلك جيشهم من
كل جهة حتى لم يحصل منهم مقاومة الا في المحل الذي كان به الملك فرنسيس
وبالجملة فصار هذا الملك لا يتأمل تحصيل الشرف ولا الظفر والنصر وانما كان
يتأمل مجرد الذب عن نفسه فجرح عدة جروح اوهنوه وسقط من فوق
جواده بعد أن قتل تحته ومع ذلك لم يزل يقاتل ويدافع عن نفسه مع عزم
الابطال وبطش الرجال وكان قد اجتمع حوله من الضباط عدة افراد وابدوا
العجب العجاب وفدوا الملك بأرواحهم لكنهم قتلوا حوله واحدا بعد واحد وكان
من جملتهم الامير بوسوبطه الذي كان سببا في تلك المصائب الكبيرة
فلم يأسف احد على قتله وكاد الملك يكون وحده في المدافعة عن نفسه وكلت
قواه من الطعن والضرب لاسيما والعساكر الاسبانيولية الذين كانوا
محدقين به اشتد غيظهم وغضبهم من مدافعته وثباته امامهم وهم لا يستطيعون
القرب منه ولا يعرفون من هو فعرفه حينئذ الامير بومبران احد
السكرادات الفرنساوية وكان قد دخل في خدمة الامبراطور مع بوربون
وخرج عن طاعة الملك فرنسيس فلما رآه محصورا بين العساكر اقتحم عليه
ومنعهم عنه واقسم عليه ان يذهب معه الى الدوق دي بوربون لانه كان
قريبا منه فابى فرنسيس وان كان في خطب عظيم وكرب شديد ورأى
ان ذلك منقصة له ويدنس بعرضه ويوجب لشماتة عدوه لكنه رأى الامير
لانواى قريبا منه فناداه وسلم له حسامه على حسب العادة فخر لانواى
لتقبيل يد الملك واخذ الحسام مع الادب والاحترام ثم اخرج حسامه ودفعه اليه
قائلا انه لا ينبغي لملك عظيم ان يبقى بدون سلاح امام احد رعايا الامبراطور

سنة ٩٢٥ ✱✱

مطلب
انهزام جيش الفرنساوية

مطلب
اسر الملك فرنسيس

ووصل من الفرنساوية عشرة آلاف في هذه الواقعة المعدودة من أكبر المصائب
التي نزلت بمملكة فرانسا وهلك فيها معظم الاشراف والعسكر اذاب حيث
آثروا القتل على الفرار الذي يورثهم الخزي والعار ويدنس عرضهم وأسر
مقدار جسيم من جملته هنري دالبر الذي كان سابقا ملكا على نوار وهرب
طائفة صغيرة من ساقة الجيش مع رئيسها الدوق دالنسون وحين وصل
خبر انهزام الفرنساوية الى المحافظين الذين كانوا بمدينة ميلان تركوا
المدينة وولوا مدبرين قبل أن يتعرض لهم احد وبالجملة فلم يمض خمسة عشر يوما
بعد تلك الواقعة الا ولم يبق ببلاد ايطاليا احد من الفرنساوية

وأما لانواي فكان يعامل الملك فرنسيس معاملة الملوك ويبدي
في اكرامه ما ينبغي لمقامه ويلائم طبيعته لكنه كان يحفظه كل الحفظ ويلقي
اليه غاية الالتفات خوفا ان يفر منه او يقبض عليه عساكر الامبراطور
ويأخذوه رهينة عندهم حتى يدفع اليهم ماهياتهم السابقة اليهم ولاجل
الاحتراس من هذين الامرين اخذ سيد الملك فرنسيس في اليوم الثاني من
الواقعة وادخله في قلعة بزغيتون التي بقرب مدينة كريمونة وأناط
بمحافظته الامير فرديننددالركون من عسكر اسبانيا الاشداء وانه
وكان ذا مروءة وكرم ويعرض فعال الملك بما يقتضيه جلالة قدره ويشدد
في محافظته حتى شكاه وود به غير ان يحاذر ذلك الامير أن يفرط
فيها

ولكن لما كان الملك فرنسيس طيب النفس حسن الظن خطر بباله
ان الامبراطور شرلكان ملك متصف بهذه الاوصاف فكان يود ان يبلغه
ما هو عليه من سوء الحال ظنا منه انه اذا علم بذلك رثى لحاله وخلى سبيله
وكان رؤساء عسكر الامبراطور يودون ايضا أن يخبروه بالنصر العظيم الذي
حصل لهم ويستميحوه ويأمنوه عما ينبغي لهم فعله وفي ذلك الفصل كان طريق
البر اقرب الطرق برا مهيأة فوصل الاخبار الى بلاد اسبانيا فأعطى الملك
فرنسيس للامير بانالوره الذي ارسله لانواي الى الامبراطور ورقة

سنه ١٢٢٥ هجريه

طريق لمرورها من ارض فرانسا بدون معارضه

مطلب
حالة الامبراطور حين وصله الاخبار بنصرة جيشه في عشرة من شهر آدار

فلما وصل هذا البشير الى الامبراطور واعطاه الاخبار تلقاها مع الهدوء والسكون حتى لو كان ذلك عن نية خالصة وطوية سليمة لا كتسب شرفا وفخرا اكثر من اعظم نصر وذلك انه لم يفرح بظفر جيشه ولم يظهر منه امارات كبر وتعاظم ودلائل عظمة وشماتة بل ذهب فورا الى الكنيسة ومكث ساعة كاملة وهو يدعو الله تعالى ويشكره ثم عاد الى ديوانه فرآه مشحونا من اكابر اسبانيا واعيانها ومن سفراء الملوك والكل يجيئون لتهنئته بالنصرة فقبل منهم التهنئة بوجه الهدوء والسكون واظهر التاسف على اسر الملك فرنسيس قائلا انه عبرة عظيمة للملوك والسلاطين تريهم انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من صروف الزمان ونكبات الحدثان ومع ان تمام مواسم وافراح اوتعمل زينة في مدائن دولته وبلادها قائلا انه لا ينبغي الفرح في مثل هذا الحرب حيث انه بين الملل النصرانية وانما الفرح والسرور يكون بعد النصرة على جيوش الاسلام وبالجملة فيفهم من حاله انه لم يفرح بتلك النصرة الا لكونه صار بها قادرا على تسكين بلاد اوروبا في ظل الوية الصلح والامان

مطلب
مقاصده التي عزم عليها

ولكن كان سرلسكان يضمر خلاف ما يظهر اذ كان الطمع نصب عينيه وكان خاليا عن الحلم والكرم والمروءة البشرية فانه بمجرد ما بلغه الخبر بانتصار جيشه في واقعة بافيا حصل له ما لا مزيد عليه من الفرح والسرور ما جل عن الوصف وتعلقت آماله بمشروعات جليلة ومقاصد عظيمة ولكن حيث كان يعلم انه يصعب عليه تتميمها رأى من اللازم الضروري ان لا يظهر ما اضمره مادام باحد امنيته ويحضر جميع المواد اللازمة ظانا انه بذلك يمكنه اخفاء اغراضه الباطنة وسترها عن نظر ملوك اوروبا

مطلب
غم اهالي مملكة فرانسا

هذا وكانت مملكة فرانسا في غم جديد وحزن شديد لانهزام جيشها واسر ملكها حيث كتب الملك بنفسه الخبر بانهزامه في كتاب ارسله الى والدته مضمنه الامر بالموادة وكان لا يشتمل الا على عبارة واحدة وهي (سيدتي الوالدة انا فقدنا كل شيء ما عدا الشرف والعرض) وقد حكي من فرص العساكر

سنة ١٠٢٥

ورجع من بلاد ايطاليا جميع ما حصل فى تلك الواقعة المشؤومة فحزن اهالى المملكة كافة مما وقع لعساكرهم وصاروا فى غم شديد وكانت مملكة فرانسا حينئذ يسر ملكها الامالى بخرابها ولاعساكرها ولاضباط يحسنون الادارة الحربية والسياسة العسكرية وكانت فى غاية الاعداء عندهن حتى صاروا على شفا جرف ولم يتقدها فى الواقع ومن الامر من تلك النكبة الكبيرة الا مصارف الامرة لويزة ام الملك فرنسيس وعزمها وكانت نائبة عن الملك فيها كما سبق فقد انقذتها تلك المرة وان كان عزمها الخطر عن عزمه اسار المسؤمها وحط تقسيا وذلك ان هذه الامرة المشهورة بالسعة على ولدها لم يزل منها الاستيلاء الحزن والغم عليها حتى ظهر منها بل اظهرت اقصى السياسة الحكمية وحسن التدبير ما اعجب فحول الرجال فى السياسة وحير عقول ارباب الكياسة والرياسة فجمعت العساكر الذين سلموا من واقعة بلويا وجمعت بعد الاسارى ودفعت لهم ما كان مأخوذا من ماهياتهم وامتعتهم فجمعت مايلزم حتى صاروا مستعدين للحرب والقتال وجمعت عساكر جديدة وحصنت الصواحى والرساتيق وعرفت بعزمها وعزمها ان تحصل المصالح اللازمة لتتميم هذه الاشياء الحسنة وبذلت غاية جهدها فى استمالة هنرى ملك انكلترة الى حزبها فى هذه الحنية احد الرجا بعثت طوب الفرنساوية

مطلب من سياسة النائبة فى المملكة

واما الملك هنرى فانه لما كان معاهدا للامبراطور واخرى مع ملك فرانسا لم يقصد غرضا سياسيا يسعى اليه مسروقانه ويكون مطمح نظره فى افعاله بل كان مصرا عازما على فعل ما تقتضيه الاحوال ولكن قد حصلت وقائع عرف بها انه من اللازم الضرورى نصب ميزان تعادل بين قوى الغير من المتشاحنين يعنى من بنى الامبراطور ومن بنى ملك فرانسا حتى انه رأى حينئذ ان هذا الامر متعين عليه لا يقوم به غيره وانه لا ينبغى له اهماله فجعله مطمح نظره وجعل ابقاء التعادل بين قوى الغير من المذكورين نصب عينيه وذلك ان سبب معاهدته قبل ذلك مع الامبراطور هو انه كان يظن انه يمكنه اخذ

مطلب اهتمام من الملك هنرى ملك انكلترة لنصرة الامبراطور فى واقعة باويا

سنه ١٥٢٥

بعض اراض من مملكة فرانسا كانت مفيدة لملوك انكلترة فلا غرابة
بهذه الاماني من اخذ تلك البلاد بمساعدة الامبراطور وهم باعانته على الملك
فرنسيس لكنه كان لا يظن ان ذلك يؤدي الى انهزام جيش الفرنساوية كل
الانهزام كما حصل في واقعة باويا لان هذه الواقعة جرت الى ضعف قوى
احد الخصمين بل محقتها بالكلية ورأى ان هذه الواقعة يمكن ان تؤدي الى حدوث
المذهب السياسي الذي هو اصل في ابقاء التعادل بين ملوك الافرنج فتحير
في امره وحصل له فزع كبير حيث رأى ان بلاد اوروبا صار يخشى عليها
ان تقع في ايدي الامبراطور شرلكان اذ هو بعد انتصاره على جيوش
الفرنساوية صار عظيم الشوكة والبأس لا يقدر احد من ملوك الافرنج على
مقاومته وصده عن المشروعات التي نصر بالملك النصر امه تعلق له بالنظر لكونه
حليف الامبراطور ومعاهدا معه كان يسوغ له ان يؤمل مقاسمته في بلاد
الملك المأسور لكنه كان يلاحظ ان الامبراطور شديد الحرص والطمع فربما
يكون القسمة بينهما اسرى او انه لا يمكنه حفظ ما يخصه منها وزيادة على ذلك
رأى انه اذا ترك الامبراطور يفعل ما يريده مع الملك فرنسيس واخذ من مملكة
فرانسا بعض اراض عظيمة واضافها الى الممالك الكبيرة الواسعة التي كانت
حينئذ تحت يده يزيد طغيانا وعتوا ويخشى منه على مملكة انكلترة اكثر من
ملوك فرانسا الاقدمين الذين كانوا يشنون عليها الغارات في سائر
الاوقات ويؤدي ذلك ايضا الى اختلال ميزان التعادل بين ملوك الافرنج مع
ان هذا الميزان هو اصل شوكة انكلترة ومناصبتها ونفوذ كلمتها بل
وبدونه لا بأس على منعها وزيادة على ذلك رق الملك هنري لحال فرنسيس
في وقوعه في مثل هذه النكبة خصوصا وقد بلغه انه ابدى في واقعة باويا من
الشجاعة ما الامر يدعيه فازداد بذلك رأفة وشفقة عليه وكانت عادته
الميل الى مكارم الاخلاق فطمع ان ينسب له الفخار بين ممالك الافرنج بكونه
انقذ عدوا مقهورا ما هذا ولا يخفى ان وزيره ولسي كان يبذل غاية جهده
في استمالته الى حرب الملك فرنسيس لان هذا الوزير لما خاب امله في نيل

سنة ١٥٢٥

منصب البابا ولولاه انسان غيره مع ان الامبراطور كان هو وعده بانه بعد
حاله لا يولى عليه احد سواه غضب من الامبراطور واعتقد انه هو السبب
في عدم توليته لذلك المنصب وكان ينتظر حصول فرصة تعينه على الانتقام
منه فلما نظر الى تلك الاحوال عدّها من اعظم الاشياء موقعا لنصرة ما كان
عزم عليه لاسيما وقد ارسلت الاميرة لويزة والدة الملك فرنسيس الى هذا
الوزير والى الملك هنري تستعطفهما وتدعوهما الى اعانتها على الامبراطور
فوعدها الملك هنري بانه من الآن فصاعدا لا يعين الامبراطور على
ايذا مملكة فرانسا واضرارها ما دامت على حالتها المشؤمة التي آلت اليها
بعد انهزام جيشها في واقعة باويا لكنه طلب منها التعهد بان لا يرضى
بتخريب مملكتها وسلب بلادها عن بعضها ولو كان ذلك بقصد انقاذ ابنها من
الاسر والرق
ولكن بسبب المعاهدة التي كانت بينه وبين الامبراطور لزمه ان يسلك سبيلا
بحيث لا يظهر عليه آثار ما وعد به الاميرة لويزة فامر ان يحتفل في بلاده
مواسم واعياد عامة لادخال السرور والفرح على كافة الناس لنصرة
الامبراطور حتى كانه ود ان يحصل فرصة تعينه على تخريب مملكة
الفرنساوية وتدميرها بالكلية ووجه سفراء من طرفه الى مدينة مدريد
كرسي اسبانيا بقصد تهنئة الامبراطور بالنصر ولتذكيره بان الملك هنري
له الحق في اقتسام ثمرات الانتصار لانه حليفه ومعاهده وكتب له ايضا بان معاهداته
توجب ما اتفقا عليه الرأي وتقرر في المشارطة يلزم ان يسير الامبراطور مع
جيش عظيم ليغلب على اقليم غيينة ويسلمه اليه وانه يريد ارسال بنته
الاميرة ماريه الى بلاد اسبانيا او الى مملكة البلاد الواطية لتكون
ويزوجها بمعرفة الامبراطور حتى يعقد نكاحها بموجب ما هو مقرر في المشارطة
وطلب من الامبراطور ايضا ان يبعث اليه الملك فرنسيس لانه بموجب
المشارطة المنعقدة بمدينة اوروجه يجب على كل من المعاهدين ان يسلم الى
المظلوم من ظلمه او تعدى على حقوقه * هذا مضمون ما كتبه الملك هنري

الى

سنه ١٥٢٥

الى الامبراطور وبعثه اليه مع السفراء المتقدم ذكرهم ولكن حيث كان يعلم انه لا يحصل في شيء من ذلك كله لانه ساعي مراعاة مصلحته بل ولا يستطيع الاجابة لان ارباب دولته يعوقونه عن ذلك فلذا امل ان الملك هنري لم يطلب ذلك من الامبراطور الا ليرده فيتعلل عليه ويتعاهد مع مملكة فرانسا على حسب ما تقتضيه الاحوال

مطلب
ما قام بنفوس اهالي ايطاليا بسبب نصر الامبراطور

وبمجرد ما اطلع دول ايطاليا ان جيش الامبراطور قد انتصر في واقعة باويا حصل فيها فزع كبير وغم شديد لكافة الناس لان هذه النصرة يترتب عليها انعدام تعادل قوى الفريقين وكان هذا التعادل نصب اعينهم في جميع ادارتهم وسياساتهم اذ هو اصل اطمئنانهم وامنهم على دولهم وبلادهم فبعد نصرة الامبراطور على الملك فرنسيس رأوا انهم صاروا عرضة اكثر من غيرهم لان لطمعهم نفس الامبراطور الذي كانت اطماعه دائما في النمو والازدياد خصوصا بعد هذه النصرة وقوة شوكته عما كانت عليه قبل ذلك لاسيما وكان قد ظهر لهم منه علامات كثيرة دلتهم على انه بوصف كونه امبراطورا او ملكا على بلاد نابلي لا مانع أن يدعي دعوى عريضة تتعلق بمعظم بلاد ايطاليا ويسهل عليه ان يظهر مرامه فيما يدعي به فيقتضي منه أن يقهر بلادهم كل القهر ورأوا وقعهم ذلك في الحيرة والرعب فاخذوا يتحثون عن وسائط بها يمكنهم ان يتعرضوا له ويعطوه فيها كما يلبقه وصدقه ولكن لم يسلكوا في ذلك مسلك الحزم وسداد الرأي فلم يحصل لهم فلاح ولا نجاح وذلك ان البابا كليمان لم يجتر على ما اتفق عليه مع اهل البنادقة في شأن حفظ بلاد ايطاليا

في عزم فرنسيس

واضاءة حريتها بل خاف الخوف من الامير لانواي او غرره بالمواعيد المزخرفة التي وعده بها على ان يعدل عما صمم عليه مع البنادقة وبعد مشارطة خصوصية بينه وبين هذا الامير والزم فيها ان يدفع في الحال مبلغا جسيما من المال في نظير بعض شروط طلبها فلما دفع اليه ذلك المبلغ وارسل تلك المشارطة الى الامبراطور أبى ان يقرها فاستوجب البابا سخط الناس عليه بكونه آثر مصلحته نفسه على المصلحة العامة وبكونه ارتكب من

سنة ١٥٢٠

الدنيا فما اكتسبه الجرى والفارس من عز تعود عليه ثمرة من ذلك
ومع ان هذا المبلغ قد اخذ من البابا بطريق الحيل والخداع الذي يدنس العرض
ويورث المعرة لصاحبه يقول انه كان له عظيم نفع حيث ان وقوعه في يد الامير
لانواي قد وافق ووقع نسبه بين الجيش فصرفه على العساكر وسكن به هذه
الفتنة فكان ذلك سببا في نجاته من الخطر وذلك انه بعد انهزام جيش الفرنساويه
طلب العساكر الالمانيون الذين دافعوا عن مدينة بافيا حق المدافعة
انه مقدارهم الذي اكتسبوه بشجاعتهم حتى لهم ان يطغوا ويبغوا ويفعلوا
ما لا يرضاه النفوس الشريفه من السفه والوقاحه فطلبوا وفاء ما كانوا وعدوا به
قبل الحرب فحصل لهم مخاوفه من جهة حكامهم فاستولوا على مدينة بافيا
وصمموا على انهم يأخذونها على سبيل الرهن حتى يصرف لهم ماهياتهم وكان
يظهر من بأس الجيش انه يجنح الى اعاديهم لا الى هجومهم ولكن سكن الامير لانواي
هذه الفتنة بصرفه عليهم المبلغ الذي اخذه من البابا ولما رأى انه ربما يتعذر
عليه فيما بعد ان يصرف لهم ماهياتهم شهرا بشهر بدون تعويق فيعصون عليه
ثانيا ورأى من الحزم انهم حين عصيانهم ربما قبضوا على الملك فرنسيس
الذي كان اسيرا عنده استحسن ان يسرحهم جميعا الالمانيين والطاليين
ولا يبقي منهم احدا في خدمة الامبراطور ومن العجب وان كان ملائما
لما كان جاريا في معظم الممالك الافرنجيه في القرن السادس عشر ان اغلب
ملوك الافرنج كانوا يحسبون ان يهجم الامبراطور عليهم ويأخذ بلادهم وكان هو
في الحقيقه مصمما على ذلك مع ان ايراداته كانت قليلة جدا بحيث لا تفي
بمصاريف هذا الجيش الذي لا يزيد على اربعة وعشرين الفا

هذا ولا يخفى ان الامبراطور شرلكان لم يبق على ما كان يتكلفه اولا من
اظهار الزهد وعدم اظهار الفرح حين بلغه نصر جيشه بل عدل عن ذلك
وصار يبذل غاية جهده حتى يستفيد من مصادفة حصول الفوائد الحالة له
وقد اشار عليه بعض ندمائه وارباب ديوانه ان يعامل الملك فرنسيس معاملة
اهل العفو والحلم وان يترك دأب السياسة عند النوائب ولا يكلف الملك

(في الهامش:) ما — م جيش الامبراطور وخروجه عن الطاعة

(في الهامش:) ما — ذكر الامبراطور ما يكون به تحصيل — حظه من نصرته — الملك فرنسيس

فرنسيس

سنة ١٥٢٥

فرنسيس بافيا ورضعته بل يطلقه ليكون بينهما روابط المحبة الاكيدة لان روابط حسن الصنيع اعظم واثبت من كل رابطة تكون ناشئة عن المواثيق التي تحصل بمحض الالزام والاكراه لكن ربما كان مثل هذا الحلم لا يوافق الاغراض السياسية خصوصا وكانت هذه الصفات لا تلائم طبيعة هذا الامبراطور فلم يشق عليه ان يقبل نصح هذا الفريق واما الفريق الآخر وهو الجمهور فكان رأيهم موافقا لرأيه فلذا امتثله بدون توقف الا انه لم يجر في مقاصده على مقتضى العزم والهمة وذلك انه بدلا عن كونه يبذل جهده ويدخل في مملكة فرانسا مع العساكر الاسبانيولية وعساكر البلاد الواطية ويغير على دول ايطاليا مثل ان ينتهز الدهشة التي اوقعها فيها نجاح عساكره في واقعة بافيا سلك سبيل الحيل والخداع واضاع وقته في المذاكرات والمداولات التي لا تجدي نفعا ولكن لم يكن الحامل له على سلوك هذا السبيل هو مجرد ميله الى ذلك بل الجأته اليه الضرورة ايضا وذلك انه لقلة امواله كان لا يمكنه تحصيل المؤن والمهمات اللازمة لجيش عظيم لا سيما وكان لم يذهب اندفاع جيوشه في الحروب والوقائع بل كان يحمل عليها سر عسكر ينوب عنه فكان لا يميل الى الحرب كل الميل ولا يتعلق به وانما كان يعول على المذاكرات وآراء المشورات لانه كان في سياستها مكانة عظيمة وزاد على ذلك اغتراره بنصرته في واقعة بافيا كل الغرور حتى كان يرى منه اعتقادا انه دنى فوز مملكة فرانسا واخذ رايتها وانه عن قريب ستقع تلك المملكة في يده كما وقع ملكها

مطلب الشروط الصعبة التي طلبت من الملك فرنسيس

ولما كان غروره زين له تلك الآمال صمم على ان لا يبيع حريته الملك فرنسيس الا باعلى ثمن وعزم على عدم اطلاقه من الاسر الا اذا املى عليه ما شاء من الشروط فامر القونته روكس ان يذهب الى الملك فرنسيس في محبسه ويخبره على لسانه انه لا يطلق من الاسر الا اذا قبل هذه الشروط وهي ان يرد الى الامبراطور اقليم بورغونيا لانه اخذ من آبائه واجداده بمحض الاغتصاب والتعدي وان يتخلى عن اقليم بروفنسه ودوفينه دوقيه ليكون منهما

مملكة مستقلة تعطى للدوق دى بوربون وان يسلم الملك انكلترة فى جميع
ما كان يطلبه منه وان يتنازل من الآن فصاعدا بجميع ما يدعيه من الحقوق
فى مملكة نابلى ودوقية ميلان وغيرهما من دول ايطاليا هذا وكان
الملك فرنسيس يظن ان الامبراطور سيعامله معاملة الملوك ويطلقه على
احسن الوجوه فلما عرضت عليه تلك الشروط غضب غضبا شديدا وسل
حسامه قائلا الاولى بالملك ان يموت هكذا واحسن منه واذا بالامير
الرسون قام فزعا وقبض على يد الملك حتى سكن غضبه وعاد الى عقله وافاد انه
يؤثر الامر على سراية جرثومة هذا الغم الذى نغص ايامه مدة حياته
وتدنس عرضه

ولما وقف الملك فرنسيس على حقيقة ما رتب الامبراطور احدث الآمه
فى الزيادة وقوى عليه ان يمكث اسيرا عند الامبراطور ولولا ما كان يتسلى به لئيس
كل اليأس وجزم ان لا مناص وهو انه اعتقد ان الشروط التى عرضها
عليه القومسيه روكس لم تكن صادرة من قبل الامبراطور وانما حكم بها
ارباب ديوان اسبانيا وانه اذا قابل الامبراطور بنفسه يطلقه من الاسر
بلا خلاف ما اذا كان الوزراء هم الواسطة بينهما فيطول عليه المدة وبنا على ذلك
طلب ان يسافر الى مدينة مدريد ليقابل الامبراطور وان كان هذا يفضى به
الى ان يكون كالفرجة يتفرج عليها الخاص والعام من الاسبانيولين
فاغراه الامير لانواى على ذلك بل رغبه فيه فارا كيف يسلك فى هذا الامر
وكان الملك فرنسيس فى قلق عظيم حتى انه من عنده بالسفن اللازمة للسفر
لان الامبراطور شرلكان لم يكن عنده اقتدار على تجهيزها وبينما كان
مسافر الامير لانواى مع الملك فرنسيس الى جنوة ولم يخبر بقصده
الامير دى بوربون ولا الامير بسكير واعتذر لهما بكونه يريد ان ينقل
فرنسيس الى نابلى فبمجرد ان اقلعت السفن امر الملاحين ان يتوجهوا
الى اسبانيا وكانت الريح مساعدة فذهبت السفن الى نواحى مملكة
اسبانيا فصار فرنسيس تلعب به الهواجس والحسر والتاسف ويرجع بصره

واحشاوه

سنه ١٥٢٥
٢٤ شهر اب

واحساؤه سلطى وبعد ايام طلبه وسواء على مدينه برشلونة فصدر امر من الامبراطور بوضع الملك فرنسيس في السرايه الملوكيه التي بمدينه مدريد وامر الامير الرسون بحفظه وحجره فقام بذلك مع التبسط الذي كان عليه في السجن الاول وبعد وصول ملك فرانسا الى مدينه مدريد ببعض ايام علم انه لا ينبغي له ان يعتمد على حلم الامبراطور وكرم نفسه واما السلى بالمسارطه التي انعقدت من امه الامير لويزة والملك هنري الثامن مولاان نطلق بها من اسره وذلك ان الامور التي طلبها ملك انكلتره من الامبراطور الغاها في مدينه مدريد لان الامبراطور لغروره بالنصرة صار لا يظهر لملك انكلتره الاحترام والتجمل الذي كان يظهر له سابقا وكان الوزير ولسى متكدرا كحسده بحث من يخلو له ويداهنه فاغتاظ كل الغيظ من الامبراطور حيث قطع المودة وعلامات المحبة التي كان يظهرها له سابقا وهذه الاسباب هي الاسباب التي ذكرناها آنفا فحملت الملك هنري على عقد مسارطه مع الاميره لويز الزم فيها بالمدافعه عن مملكه فرانسا وحاجها من الامبراطور وذلك زال جميع الاسباب التي كانت توجب العداوة من انكلتر و فرانسا ووعد الملك هنري ان يخلص فرنسيس من ورطها بره

مطلب
المسارطه المنعقدة بين مملكه فرانسا وملك انكلتره واعانه هذا الملك للمملكه المذكوره

وبينما كان الامبراطور في حيز عظيم بسبب تخلي ملك انكلتر عن حزبه ادحصلت حادثه اخرى مشؤومه زادت بها حيرته وذلك ان مورون فضلير ميلان كان يدبر مراقبه كبيرة لاعدام حكم الامبراطور من بلاد ايطاليا لان مورون وان كان بعض الفرنساويه الان طالب العصمه زالت من قلبه بعد طردهم من بلاد ايطاليا وحصل له ايضا سرور من جعل الامير سفورس حاكما على دوقيه ميلان لكنه اغتاظ حين توقف ديوان الامبراطور في توليه سفورس المذكور على دوقيه ميلان وابدى علامات كثيره في عدم تحمله سولته هذا الامر وكانت هذه العلل ظاهرها المحاوله والمخادعه فظن مورون ان قصدا الامبراطور وارباب ديوانه من هذ

مطلب
القصد التي اوقعها مورون لاعدام حكم الامبراط من بلاد ايطاليا

سنة ١٥٢٥

المحاولة ان يسلبوا من الامير سفورس دوقية ميلان مع انها اخذت من
ايدى الفرنساوية لاجله وكان الباپا واهل البنادقة يظنون ذلك ايضا
فاراد شرلكان ان يزيل ذلك من قلوبهم فعجل باعطا حكومة ميلان
للامير سفورس لكن بشروط صعبة واعتراضات ثقيلة وبموجبها كان يرى ان الامير
المذكور صار من رعايا الامبراطور لا من خراجي الامبراطورية وصار اعتماده
على بقاء هذه الدوقية بيده موقوفا على ارادة سيد طماع اعنى الامبراطور
فكان من البديهي ان الامبراطور يأخذ منه تلك الدوقية وكان موروني يعلم
انه اذا اخذها وضمها الى مملكة ناپلى يخشى على حرية بلاد ايطاليا
بالجملة بل ويخاف ان يفقد ما كان له حينئذ من الشوكة ونفوذ الكلمة وحسب
كان هذه الامور المرجحة فانه بذهنه لا يغفل عنه احد تدبير ما يكون به
ابعاد بلاد ايطاليا من حكم الامبراطور وهذا الغرض كان يميل اليه
ارباب السياسة من اهل ايطاليا فى ذلك العصر وكانوا يرغبون فيه
كل الرغبة فرأى موروني انه اذا كان سببا فى خلاص مملكة ناپلى من ايدى
اهل اسپانيا يتسبب له فخر كبير وشهرة عظيمة لا سيما وقد كان سببا فى
طرد الفرنساوية من دوقية ميلان فبمجرد ما تعلقت آماله بتحصيل هذا الغرض
شرع بذهنه فى طريق يسلكه فى هذا المعنى فاستحسنه وصمم عليه وان كان صعبا
جدا لانه كان جسورا ماهرا لا تعوقه خطوب ولا تصده اخطار

مطلب
مذاكرته مع الامير بسكير

هذا ولا يخفى ان كلا من الامير دى بوربون والامير بسكير كان قد حصل له
غيظ شديد من كون الامير لانواى وجه ملك فرانسا الى اسپانيا
من غير أن يخبرهما اما الدوك دى بوربون فخشى ان يحصل بين الامبراطور
والملك فرنسيس عقد مشارطة بغير مصالحه فسافر فورا الى مدينة
مدريد ليأمن من وقوع ذلك وبعد سفره بقى الامير بسكير وحده منوطا
بحكم الجيش فلم يمكنه أن يترك بلاد ايطاليا لكنه كان فى كل وقت يظهر
الغيظ من الامير لانواى ويتكلم فى حقه بامور تدل على بغضه وكراهته له
ويشتكى الى الامبراطور كلما تذكر انه ان لانواى لم يسمع وقت الحرب ولم يظهر منه

سوى

سنه ١٥٢٥م

سوى الحرب كانه بعد الحرب لم يظهر منه سوى الوقاحة وقبح السلوك وزيادة على ذلك كثيرا ما كان الامير بسكير يظن بالامبراطور ويخبر انه لم يكافئه ولم يجره على خدمته واستعماله حتى ان موروني المقدم اسمه ما كان شارعا فيه على غيظ الامير بسكير وذلك انه كان يعلم ان طمعه وتمرده على الحد وله فضل شهير واطلاع طويل في الحرب والصلح وله حسن سريرة وهمة عالية تقدم على ما لا يمكن الاقدام عليه فصعود زائلا في حلل الظفر والنجاح وكان معسكر جيش اسبانيا قرب مدينة ميلان فسهل على موروني ان يتفاوض مع الامير بسكير مقابلة عدة مرات وفي كل مرة يتكلم معه في شأن الحوادث التي اغتصبت واقعة بافيا لان الامير بسكير كان يكثر ذا مغامز ذكر هذا المعنى فلما رأى موروني انه يظهر الغيظ والالم من فعل الامبراطور اخذ يذكره جميع الامور التي يمكن ان يزيد في غيظه وغضبه فكان يبالغ له في ظلم الامبراطور وعدم انصافه معه حيث اثر عليه الامير لانواي وعوض له امير ملك فرانسا واخذه وسافر به الى اسبانيا ولم يشاور مع انه هو السبب في نصرة جيش الامبراطور فكان حقه ان يعوض له لا لغير امور الملك فرنسيس مادام اسيرا وبهذا القول ظن انه قد قوى غيظ الامير بسكير واخذ بعده نظر في الوقوع والطمع ان الوقت ساعده اذا اراد الانتقام من الامبراطور في نظير هذه الفعال القبيحة بل ويمكنه ان يدبر بنفسه فخرا مؤبدا وفضلا مخلدا في مدى الاعصار والدهور بكونه يعد وطنه من ظلم الغير ما واجحاف الحكام الاجانب لاستيلاء ودول ايطاليا كما قد شمت من حكم الاسبانيول لغلظهم وسوء فعالهم فهي ماشية لان تجتمع مع بعضها وتطلب استقلالها واهاليها كلهم متطلعون اليه ولا يرون احدا سواه له عقل وهمة وقريحة واسعة وذهن يقدر على تحرير هذا المقصد المهم وتتميمه مع النجاح والذي له ان تتم هذا العرض موقوف على ارادته حيث ان الامبراطور ليس له من العساكر في بلاد ايطاليا الا طائفة من الجنود الاسبانيول وهي قد اوغرتهم في قرى ميلان بظلمهم الاهالي في البلد واحد لانهم في غيظ شديد منهم بسبب

سنة ١٥٢٥

ظلمهم وإيقاعهم العسف وبعد ذلك يمكنه بدون صعوبة أن يستولي على كرسي مملكة نابلي وأوقع في ذهنه أن الدهر أعد له تاج هذه المملكة مكافأة له على إسعاده لبلاد إيطاليا من أيدي الغرباء لا سيما والبابا الذي هو سيد مملكة نابلي تحت يده طالما انتصر فيها السلاطين قبله كيف شاؤوا فحصل له غاية السرور من جعله ملكا عليها وأفاده أن أهل السافويه وطورينه ودوق ميلان بلغهم هذا الخبر وأنهم سيضمون إلى مملكة فرانسا ويقومون مع الفرنساوية بإثبات حق المملوكية له في نابلي وأن أهل نابلي أنفسهم يودون أن يكونوا تحت حكمه لأنه من أبناء وطنهم ويعرفونه كثير الفضيلة ومعارفه وأن قومهم قد سئموا من حكم الغرباء الذين أتعبوهم بظلمهم وشد قيودهم وأن الأمبراطور إذا ظهر له ذلك على حين غفلة يقع في الورطة والارتباك ولا يمكنه مقاومة هذه العصبة الكبيرة لا سيما وهو قليل الأموال والرجال

وفي مدة هذه الحكاية كان الأمير بسكر يصغي إلى قول مورون وهو في عجب زائد من صعوبة هذا المشروع كأنه فكر في أمور جمة ومقاصد مهمة فكان من جهة يغتر من قول مورون حيث كان يحثه ويدعوه إلى القيام على الأمبراطور وبذا استماله وجعله رئيسا على عساكر وكان من جهة أخرى يخشى في نفسه أتباع مورون حيث كان يعرف قوله إنه هو الذي يتولى ملكا على بلاد نابلي فمكث بسكر مدة وهو متردد بين هذين الأمرين ثم جنح إلى ما تكسبه العشيرة منهما وحدثته نفسه الطماعة أن يغدر بالأمبراطور ليستولي على مملكة نابلي وكثير ما حصل أن أناسا عند تخيرهما بين مادته نفعهم ومادة شرف عرضهم يؤثرون الأول لكنه أراد قبل خيانته وغدره أن يحتسب له عن علة يتعلل بها ويحتج بحجة يستند إليها فألزم مورون أن يسأل بعض علماء الدين هل يجوز لشخص من الرعايا أن يعصي ملكه الذي هو فوقه مباشرة ليطيع من له الحق والسيادة في الدولة التي هي الغرض من العصيان والخروج فجاؤوا بالجواز واستغرب من ذلك الوقت المداولات والمذاكرات بين مورون

والأمير

سنة ١٥٢٥

والامير بسكير حتى يبذل كل الجهد في تحصيل ما يلزم لنجاح هذا
الغرض المهم

مطلب
غدر بسكير بالقطب موروني وقبضه عليه

ولكن الامير بسكير اما لكونه استعظم هذا الامر واستبعدت مروءته من
الغدر بسيده الذي له عليه خيرات جزيلة اولكونه رأى ان الدهر لا يساعده
في ذلك وتيقن عدم النجاح اخذ يفكر فيما يتعلق به في بعض الشروط التي
انعقدت بينه وبين موروني وكان اذ ذاك الامير سفورس هذا اعتراه مرض
ظن انه يفضي به الى الهلاك فرأى الامير بسكير انه ان كشف سر هذه الفتنة
وقبض على موروني الذي يريد اشاعتها يسر منه الامبراطور ويجعله حاكما
على دوقية ميلان مكافأة له على امانته وصدقه وان هذه الوسيلة اكثر حزما
واقرب للنجاح مما اذا بحث عن احدها بطريق الغدر والخيانة الا ان هذه الفتنة
الجائية الى ارتكاب امور قبيحة تزري انصافا بالمروءة وتدنس العرض وكان
للامبراطور الالمام بامر هذه الفتنة من حين اخبره بها بسكير فظهر منه انه
قد حصل له غاية السرور من هذا الامير لامانته وصداقته وامره ان يستمر على
ما هو عليه من المذاكرة مع البابا والامير سفورس حتى يختبرهما
ويعرف بواطنهما ويسجل عليهما ادلة واضحة بسبب خيانتهما ولما كان بسكير
قد علم من نفسه ان مذاكرته اولا لم تكن عن خلوص طويته بالنسبة للامبراطور وان
سكوته على ذلك مدة لابد وان اوقع في قلوب اهل ديوان مدريد سوء الظن به
واتهامه بالخيانة وعند الامبراطور بمجرد امره له لتبرئة نفسه عند الامر [?] حتى
لا يسوء الظن به فلذلك اضطر الى ارتكاب ما يدنسه مدى الايام والدهور وهو
مداهنة قوم للغدر بهم واذا التفت [?] الانسان الى سعة فرأى [?] من خادعيهم بسكير
رأى ان مداهنته لهم لتسبب في الصعوبة دون ما يشاعها [?] من تدنيس العرض
ومع ذلك سلك فيها مسلكا غير سائغ؟ لكنه اراد حل حيلة وخداعه على
موروني وكان متمكنا من الذكاء والفطنة وذلك ان موروني لما كان قد
صدق الامير بسكير ووثق به ذهب اليه في قصر نوارو ليتمم معه ما هو عليه
في هذا الخصوص فلقاه [?] بسكير وجعل كأن الامر لقوة [?] حمية محبته ساقه

١٥٢٥

لتشييع دوك موروون مع بسكير وبسكير شاهدا عليه فبعد ان مضى
موروون امره وهم بالخروج من القصر ليرجع الى داره اذ فزع فزعا شديدا
وتحير في امره حين رأى الامير لنو قد قبض عليه بقطر بن النيابة عن
الامبراطور وذهب به الى قلعة مدينة باويا وبعد ان كان بسكير شريكه
في الفتنة صار يسأله ويقضي في دعواه وصدر امر من الامبراطور بحرمان
الامير سفورس من جميع حقوقه في دوقية ميلان لانه كان من ارباب
الفتنة وامر باخذ جميع قلاع دوقية ميلان ومنها فاخذها بسكير
ماعدا مدينتي كريمون وميلان لان الامير سفورس بادر بالمدافعة
عنهما وبادر عساكر الامبراطور بحصارهما

ثم ان هذه الفتنة التي كان الغرض منها تجريد الامبراطور عن اراضيه التي ببلاد
ايطاليا لم ينتج منها شيء بل ترتب عليها تمكين اراضيه في البلاد المذكورة ومع ذلك رأى
الامبراطور ان من الضروري اللازم له ان يمضي مع ملك فرانسا ويصالحه
ويخلي سبيله وانه ان لم يفعل ذلك عادى سائر دول اوروبا وبعضهم عليه
لما رآى منه الهيا كلها اذ فرغ من نجاح حسنة في واقعة باويا وبما اظهر
من شدة الطمع والسر حيث كان لا يكتفي احيانا بما كان فاتحا فيه وكان الى
ذلك الوقت لم يعامل فرنسيس المعاملة اللائقة بالملوك بل ولم يحترمه
الاحترام اللائق به فعوضا عن كونه يسلك معه ما يسلكه الملوك العظام
مع المصاب بالنكبات سلك معه مسلك ارباب الصعال وقطاع الطرق الذين
يطمعون باسرهم بامن وقع في ايديهم يحررونه على فدا نفسه منهم بما يملكه
يده وذلك انه حبس الملك فرنسيس بقصر عتيق ووضع عليه حجرا كان
يشدد عليه كل التشديد حتى يتعطل عقله وتنقبض نفسه وعند الفسحة كان
لا يؤذن له الا ركوب بغل ويحدق به جملة الامتسلحة ولم يذهب اليه الامبراطور
بل تعلل بانه لا يمكنه ان يغيب عن المشورة العامة المنعقدة بمدينة طليطلة
وذهب بذواته الى تلك المدينة قاصدا بذلك ان لا يقابل الملك فرنسيس
فقط بعد اسابيع من غير ان يذهب اليه في السجن مع ان فرنسيس كان

نقله فرنسيس من سو
له في بلاد اسبانيا

سنة ١٥٢٥

مطلب
اشراف فرنسيس على الهلاك

بطلب ذلك بنفسه ويجد في طلبه فهذه الفعال الشنيعة التي لا تطمع بها نفوس
الملوك نغصت نفس الملك فرنسيس ولحقه غم شديد حتى كره الدنيا وما عليها
لما أنه كان ذا همم وشرف نفس وبعد الميل الى اللذات وزالت بشاشة الطبيعة
وبعد أن مكث زمنا طويلا وهو آخذ في الضعف والهزال أصيب بحمى شديدة
حتى أشرف على الهلاك وفي شدة مرضه كان لا يشكي الا من تشديدهم عليه
وتوجعا لمهم أنا وكان يلهج بالتأسف بأن الامبراطور سيحصل له غاية السرور
من كون عدوه مات في السجن بحيث يقضيه من غير أن يحصل عليه بعيادة
ولو مرة واحدة فلما عجز الاطباء عن معالجته وأيسوا من حياته أخبروا
الامبراطور بأنه لا يرجى له شفاء من هذا المرض الا اذا تم عليه بمنامه ويلهج به
في أغلب أوقاته وهو أن يذهب لعيادته وكان الامبراطور يود حفظ حياة الملك
فرنسيس حتى يحصل له الفوائد الجليلة التي كان أملها بعد انتصار جيشه
في واقعة بافيا فجمع وزراءه ليستشيرهم في شأن ما ينبغي فعله
وكان أعظمهم علما ودراية القنصلير غاتينار فأبدى للامبراطور أنه من عدم
المروءة أن يعود الملك فرنسيس ان لم يكن عازما على التساهل معه وتخلية
سبيله بموجب شروط مقبولة وأفهمه أن من العار في حقه أن يعوده لمجرد
الطمع والحرص على عدم ضياع مصالحه بحسب أنه قبل مرضه واشرافه على
الهلاك طالما طلب منه ذلك مع الالحاح فلم يجد ذلك شيئا وأما الامبراطور فكان
دون هذا الوزير في المروءة والغرض فلذا لم يلتفت لقوله وسافر الى مدريد

مطلب
معاملة الامبراطور مع
الملك فرنسيس في ٢٨
سمو الملوك

لمجرد نظر أسيره ومقابلته لكن لم يمكث معه الا برهة يسيرة لان الملك فرنسيس
لشدة مرضه كان لا يستطيع التطويل في المحادثة الا أن الامبراطور في تلك
البرهة التي مكثها معه خاطبه مع الاحترام والتعظيم ووعده أن يعامله
المعاملة اللائقة بالملوك وأنه يخلي سبيله عن قريب ولو كان هذا القول
من الامبراطور صادرا عن صدق وخلوص نية لكفى ذلك شرفا وفخرا
الا أن فرنسيس كان في حالة رديئة من شدة مرضه فاعتقد صدق قول
الامبراطور وداخلته العافية لانشراح صدره بما وعده به ومن ثم ابتدأ

١٥٢٥

في الاعتناء والسما حتى استمالت محبة بعد مدة طويلة ورجعت له هواه

ولكن بعد أن شفي وتنبه داخله الندم والحسرة حيث اعتمد محبة كلام الامبراطور واعتبر رجوعه معه ماسبق له منه هذا واما الامبراطور فانه بعد خروجه من عند فرنسيس توجه فورا الى مدينة طليطلة واخذ الامور على وزرائه فصار الملك فرنسيس من شدة الهم آعليه في ضيق وضنى اكثر مما كان فيه اولا وحصلت حادثة اخرى ازدادت بها آلامه واحزانه وهي ما حصل من المراعاة ومزيد الاحترام لاحد ساعيه وذلك ان الدوق دي بوربون حين دخل بلاد اسبانيا قابله الامبراطور بالتبجيل والاحترام ومزيد التعظيم والاكرام مع اهانة فرنسيس كيف ذهبت وهو لا يرضى ان يعوده في مرضه وذهب لمقابلة الدوق دي بوربون خارج مدينة طليطلة وعامله معاملة الاحباب وحمله على يساره وسار به في محفل عظيم وموكب مبهج حتى وصل به الى قصره فاودع ذلك في قلب فرنسيس حسرة كبيرة الا انه تسلى بحادثة اخرى اعقبت تلك الحادثة وهي ان ظهر له ان مروءة اهل اسبانيا منافية لطبع بعضهم وذلك انهم كانوا يبغضون الدوق دي بوربون لخيانته حتى ان اشراف تلك المملكة كانوا يتباعدون عنه ويتحامون معاشرته والمخالطة معه وان كان ذا معارف جليلة ونفع وطنهم كل النفع في مواطن مهمة وقد حصل ان الامبراطور التمس من المركيز وبلوية ان يسكن بوربون في قصره مدة اقامة الديوان الامبراطوري بمدينة طليطلة فاجابه المركيز المذكور مع الادب بانه لا يستطيع مخالفة الامبراطور لكن المأمول منه ان لا يعجب اذا احرق القصر بعد خروج بوربون منه وجعل عاليه سافله لان البيت اذا دنس بسكنى اهل الغدر والخيانة فلا ينبغي ان يسكنه احد من اهل شرف العرض والامانة

ومع ذلك لم يعبأ الامبراطور بذلك بل ما زال مصمما على مكافأة بوربون على خدمته حق المكافأة الا انه كان مضطرا لمكافأته وكان بوربون يطلب من

[Margin notes:]
لمسألة الدوق دي بوربون في مدينة مدريد

من شهر نوفمبر من السنة التالية

ما تعلق بالتشريف والتعظيم لأمير الرابعة عشر (?)

طلب دي بوربون سر عسكر من الامبراطور الذي سلاد ايطاليا

سنة ١٨٢٥ الامبراطور ان يتممه بما وعده به وهو ان يزوجه اخته اليونور ملكة البورتغال وقال له ان هذا الامر هو الذي دعاني الى الهجوم على الملك فرنسيس وكان فرنسيس المذكور عمل سفره الى بلاد ايطاليا قد طلب ان يزوج بهذه الاميرة فبعد التزوج الدوق دي بوربون بها وكان الامير المذكور مدبرا ان يزوجها ملك دوصوله وشوكة على الزواج برجل من رعيته مطرود عن بلاده فلذا كان الامبراطور متحيرا في امره لا يدري ما يصنع الا انه في اثناء ذلك مات الامير بسكير عن ست وثلاثين سنة بعد ان اشهر وعد من

شهر كانون الاول

اعظم جنرالات عصره وامهر ارباب السياسة في دهره فكان موته سببا في اتحاد الامبراطور من تلك الجهة وذلك لانه اقام مقامه الدوق دي بوربون حيث جعله رئيسا على جيش ايطاليا وزيادة على ذلك جعله حاكما على دوقية ميلان بدلا عن الامير سفورس واشترط عليه ان لا يطلب التزوج بالاميرة اليونور ملكة البورتغال وكان الدوق دي بوربون لا يستطيع مخالفته فرضي بذلك

مطلب
المذاكرة التي حصلت في شان تخلية سبيل الملك فرنسيس

واعظم الاشيا التي كانت تمنع من تخلية سبيل الملك فرنسيس هو انه كان لا يرضى ان يعطي اقليم برغونيا للامبراطور وكان الامبراطور يشدد في ذلك ويظهر انه لا يخلي سبيله الا بعد رضائه بهذا الشرط وكان الملك فرنسيس يظهر انه لا يرضى بذلك ابدا الا ان همه عزل مملكته وابان شيء ما يجب عليه من حيث كونه ملكا وقبل هذا الشرط فواش مملكته سابذلك كل المساعدة وانما رضي انه من الآن فصاعدا اترك حقوقه في بلاد ايطاليا والبلاد التابعة للامبراطور ولا ينازعه بهذا ووعد ايضا بانه يرد الى الدوق دي بوربون سائر الاراضي التي اخذت منه وانه يزوج بالاميرة اليونور وان يدفع مبلغا عظيما في فدا نفسه لكن لم يحصل بينهما اتفاق بل صار كل منهما من وفقد لا يراعي الآخر ولا يثق به ووقع ذلك من قلوبهما الى ان نبتت بينهما العداوة والبغضا ولم يزل متمكنة من قلوبهما حتى فارقا الحياة وفي تلك المدة لا زالا في جدال ونزاع وعرض ونقض حتى راى الناس ان لا انتها لتلك المذاكرة

وانه لا يحصل توافق بين الجانبين فان احدهما كان طامعا مصمما على ان يغتنم هذه الفرصة ويغتنم فيها جميع ما ساعده عليه دهره من الفوائد والمصالح واما الجانب الآخر فكان على غاية من الاحتراس الناشئ من خوفه وعهده من خصمه وكانت الدوقة دانغولين اخت الملك فرنسيس قد ذهبت اليه لتعوده فاذن لها الامبراطور بدخولها عندما جاءت في السجن وبذلت غاية جهدها في فكه من ربقة الاسر بشروط سهلة لطيفة لا تزري بالعرض كالاولى واعتنى بذلك ايضا هنري ملك انكلترة لكن لم يفدها في ذلك حتى ان الملك فرنسيس يئس كل اليأس وعزم على ان يخلع نفسه من مملكته ويتنازل عن تخته ويعطيها الى ابنه ويمكث هو في السجن حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ورأى ان ذلك اوفق به من كونه يفدي نفسه بشروط لا تليق بالمقام الملوكي فكتب خطه بهذا الامر ووضع عليها امضاه وامر اخته ان تذهب بها الى مملكة فرانسا لتصدق في ديوان بارلمنت المملكة وتعمل بمقتضاها واخبر الامبراطور بذلك ورجاه ان يعين لسجنه محلا ويجعل له مثالا تماما ليقضي فيه ما بقي من عمره

عطف الامبراطور

فاثر ذلك تأثيرا عظيما في قلب الامبراطور واوقعه في حيرة كبيرة فخشي انه يستبد في الشروط بحسب نفسه ولا يفتر عزمه ويؤول الامر الى كونه يرى بين يديه ملكا لا فائدة ولا ايراد لاسيما وقد حصل في اثناء تلك المدة ان بعض اتباع ملك نوار بذل جهده حتى اخرج سيده من السجن الذي وضع فيه بعد واقعة بافيا فخشي الامبراطور ان الملك فرنسيس اذا ساعده تمكنهم بالرشوة وغيرها ان يخرجوا مليكهم من السجن مع حفظ الضباط المأمورين بحفظه واذا حصل ذلك خابت آماله وضاعت جميع فوائد غلبته فلهذه الاسباب رأى ان الاحسن والاوفق للصواب والحزم ان يتساهل في المشارطة ولا يلزمه بشروط صعبة هذا ما كان من امر الامبراطور واما الملك فرنسيس فكان قد سئم من السجن وطول المدة وكان قد اتى اليه اخبار من بلاد ايطاليا بان هنالك من يدبر عصبة كبيرة على الامبراطور فصمم على ان يتساهل

ايضا

سنة ١٥٢٥

انفاق المشارطه وبعمل ما تلزمه الامبراطور وبعد ان تخلص من السجن
وعلى سبيله يمكنه ان يأخذ من البابا حل جميع ما يلزمه عن طريق الاكراه
والقهر

سنة ١٥٢٦

مطلب
المشارطه المنعقدة بمدينة مدريد

وبهذه الاسباب تساهل كل من الملكين في انشاء وانعقاد مشارطة اطلاق
الملك فرنسيس بمدينة مدريد في اربعة عشر من شهر كانون الثاني
سنة ١٥٢٦ من الميلاد واما اقليم بورغونيا الذي كان سابقا مانع عقد
المشارطه الى ذلك الوقت فاتفق الرأي على ان الملك فرنسيس يتركه الى
الامبراطور مع سائر ما يتعلق به من الاراضي والبلدان ولكن حيث رضي
الامبراطور باطلاق الملك فرنسيس وتخلية سبيله حل وصمم بعده على هذا
الاقليم وعين ما تضمنه المشارطه ومن الشروط ايضا على ان الملك فرنسيس
يسلم للامبراطور على سبيل الرهن اكبر اولاده الذي هو ولي عهده والابن الثاني
دوق اورليان او بدلهما اثني عشر من امراء فرانسا يختارهم
الامبراطور ويكونون رهينا عنده وتبقى مدة حتى يوفي الملك فرنسيس
بما حوته المشارطه وكان في تلك المشارطه شروط اخرى مجحفة وان كانت
دون الشروط المذكوره في الاهميه منها ان الملك فرنسيس يترك دعواه
في سائر بلاد ايطاليا ويترك حقوقه الملوكيه في بلاد الفلمنك واقليم ارتواره
وانه بعد اطلاقه بستة اسابيع يرد الى الدوق دي بوربون وسائر اتباعه
واصحابه جميع املاكهم وامتعتهم وعقاراتهم ويعطيهم اسباب عظيمة في نظير
الاشيا التي تلفت عليهم بسبب اخذ املاكهم وامتعتهم منهم ويجبر الامير
هنري دالبرطه على ان يترك دعواه في حق الملوكيه على بلاد نوار
وان لا يعينه من الآن فصاعدا على الاستيلا على تلك المملكة وان يكون بين
الامبراطور والملك فرنسيس محبة اكيدة ومعاهدة لا تنقض على مدى الدهور
والايام وان يعين كل صاحبه عند الحاجه ولاجل تاكيد تلك المحالفه وتقويتها
انعقد الرأي على ان الملك فرنسيس يتزوج بالاميرة اليونوره اخت
الامبراطور شرلكان ملكة البورتغال والتزم فرنسيس انه يصح

١٥٢٦

على تلك المشارطة مع ما تضمنته من الشروط اقرار ارباب مشورة بوكلا
مملكة فرانسا وبه دهاقين سائر دواوين مملكته والزم الامبراطور ايضا
انه بمجرد وصول هذا الاقرار اليه يخلي سبيل ولدي الملك فرنسيس المرهونين
عنده ولكن يرسل اليه بدلا عنهما الامير كرلوس دوق انغولم ثالث ابن
الملك فرانسا ليربى في ديوان الامبراطور ويكون به تمكين المحبة ودوامها
بين امة الملك فرنسيس والامبراطور ووعد فرنسيس وأكد وعده
بالقسم انه ان لم يوف بما تضمنته المشارطة في المدة المعينة يرجع ثانيا الى بلاد
اسبانيا فيمكث اسيرا عند الامبراطور كما كان

انتقاد هذه المشارطة من ارباب الاحوال

فظن الامبراطور شرلكان انه بتلك المشارطة قد ارغم انف عدوه وسد عليه
كل باب حتى لا يمكنه ان يعود الى صولته الاولى فيخشى باسه ولكن ادرك اعظم
ارباب السياسة من اهل عصره ان هذه المشارطة لا يمكن العمل بمقتضاها
وان الملك فرنسيس بعد اطلاقه وتخلية سبيله يستنكف نفسه ان يعمل بموجب
شروط رفضها عدة مرات ولم يقبلها الا تخلصا من السجن والاسر فقالوا
ان الطمع والحقد يحملانه من غير شك على نقض تلك الشروط التي لم يقبلها
الا بمحض القهر والاكراه ويسهل عليه تحصيل ما يستند اليه في هذا المعنى
ويبرهن به على انه لا يجب عليه الوفاء بشيء مما ذكر في المشارطة لانه انما قبلها
بالاكراه والاجبار لا بالطوع والاختيار ويجد من يعضده اذا اعتذر بحسب
ان الضرورات لا يقاس عليها ولو اطلع على ما اضمره فرنسيس حين عقد
المشارطة لعلم ان هذا الرأي في محله وانه عين الصواب لا محالة لان الملك
فرنسيس قبل ان يضع امضاءه على المشارطة المذكورة ببعض ساعات جمع
من كان معه من ارباب دولته ومشورته بمدينة مدريد وبالغهم ان يكتموا
السر ولا يفشوه ابدا ثم قص عليهم ما فعله الامبراطور معه من الحيل بقصد
مخادعته وسوء المعاملة التي لا تليق بالملوك لتهديده وتخويفه وبناء على ذلك
فهم من الشاهدين على ان المشارطة التي هو مطالب بوضع امضائه عليها ليست
صحيحة بوجه من الوجوه ولا يعمل بها لانها بمحض الالزام والاكراه * وبعد

انكار الملك فرنسيس المشارطة المعقودة سرا

الطرهه

سنة ١٥٢٦

الطريقة التي ليست من شروط الصدق وخلوص الطوية ولا يصل اعتداره فيها عما ابداه من مخادعة الامبراطور له واساءته اياه طيّ انه قد فعل ما فيه سروره ورضا نفسه فلم يصغ اصغاء على المشارطة الا وهو مصمم على نقضها وعدم العمل بها

ولكن كان كل من الامبراطور والملك فرنسيس يظهر لصاحبه الصداقة والمحبة السامية فكانا يخرجان مع بعضهما امام العامة والخاصة ويكرران المحادثة والمسامرة ويسافران معاً في عربة واحدة وكانت نزهتهما وخطوطهما واحدة الا انه في اثناء ذلك كان الامبراطور مشغول البال موسوس الخاطر فانه مع تحصيله الشروع في اشهار نكاح الملك فرنسيس للاميرة المذكورة عقب المشارطة لم يرض الامبراطور بتتميم هذا الزواج الا بعد حتى يأتي اقرار المشارطة من مملكة فرانسا واما الملك فرنسيس فكان لم يتخلص من أسره بالكلية بل كان الحفر ملازماً له في سائر الاوقات فكانوا يراعونه ويكرمونه بوصف كونه صهراً للامبراطور وكانوا يحضرونه ويلاحظونه كل الملاحظة بوصف كونه اسيراً ومن ثم ادرك الحازمون من ارباب السياسة والفطنة ان تلك المحبة ليست صادقة ولا دوام لها حسب انها من مبدئها مشوبة بالغش والخيانة

مطلب

اقرار المشارطة ببلاد فرنسا

وبعد مضي شهرين من المشارطة من مملكة فرانسا عليها اقرار الملكة لويزة ام الملك فرنسيس وكانت حينئذ نائبة عنه في المملكة وظهرت الملكة المذكورة آثرت في هذه الصورة المصلحة العامة على مصلحة نفسها حيث ارسلت بحفيدها ولدها فرنسيس عاماً عوضاً عن ارسال الامراء الاثني عشر المذكورين في المشارطة فارسلت الدوق دورليان واخاه الى بلاد اسبانيا لما رأته من ان المملكة لا تستوفي مصالحها على عهدة ولد صغير وتعطيل امورها وبقي بدون من يقوم بمهامها والذب عنها اذا غاب عنها الابطال والمدبرون الاب اولو الفضل والمهارة الذين عينهم الامبراطور في المشارطة ليأخذهم عنده رهينة عوضاً عن الدوق دورليان

١٥٢٦

ملك فرنسيس

وبعد ذلك كله وقع الوداع بين الملك فرنسيس والامبراطور وكانت وصيته
دأ عاني عو وازدياد حتى انه لا حل لما كتب المشارطه اشترط شروطا جديده
وثقلها الملك فرنسيس بدون توقف وعظمها على الاولى ولا حاجه الى بيان
مالحق فرنسيس من المسره والفرح حين خروجه من مدينه مدريد لانه
غني عن الوصف وانما نحكي للتأمل عما لحقه تلك المدينه من الضنك
والضيق فعرف به مقدار كراهته لها ودرجه سروره حين خروجه منها
ثم سافر فرنسيس ومعه جماعه من الخياله بخفره وكان رئيسهم الامير
الرسون وكان هذا الامير كلما قرب من اطراف مملكه فرانسا يزداد
التفاته وشفقته للملك فرنسيس فلما وصل به الى نهر بيداسواه الفاصل
بين مملكه فرانسا وبلاد اسبانيا رأى على الشاطئ الآخر من هذا النهر
الامير لوتريك ومعه جماعه من الخياله تساوي في العدد الجماعه التي معه
وكان هناك سفينه راسيه واقفه في وسط النهر واصطف الجماعتان امام بعضهما
على الشاطئين وتقدم الامير لانواي من شاطئ الاسبانيولين ومعه
ثمانيه من العسكر الاداب وتقدم الامير لوتريك من شاطئ الفرنساويه
ومعه ايضا ثمانيه وكان الملك فرنسيس في سفينه لانواي وكان ابنه
البكري وابنه الثاني وهو دوق دورليان في سفينه لوتريك فتلاقى
السفينتان عند السفينه الراسيه فعند ذلك عانق فرنسيس ولديه ثم وثب
من سفينه لانواي الى سفينه لوتريك وانتقل ولداه الى سفينه لانواي
وانفصلت السفينتان جميعا وتوجهت كل سفينه منهما الى جهه أمن فبمجرد
الوصول سفينه الملك فرنسيس الى شاطئ فرانسا وثب منها طائرا
من الفرح وركب حصانا راكضا وركضه وهو يطوح يده فوق رأسه وصاح
بأعلى صوته وهو يقول (ها انا الآن ملك) ووصل في اقرب مدة الى مدينه
سان جان دولوز ولم يستقر بها بل توجه الى مدينه بايونه *وقد وافق حصول
هذا الامر الذي كان فيه فك الفرنساويه كما كان تمام الملك بنفسه الثامن عشر
من شهر ادار بعد واقعه بافيا بسنه واثنين وعشرين يوما

واما

سنة ١٥٢٦

مطلب
زوج الامبراطور بالاميرة ايزابله البورتوغاليه

واما الامبراطور فبمجرد ان ودع الملك فرنسيس واذن باطلاقه توجه الى مدينة اشبيليه ليتزوج بالاميرة ايزابله بنت المرحوم عمانويل ملك البورتوغال واخت الملك حنا الثالث الذي خلف عمانويل المذكور في الملك وكانت الاميرة المذكورة نادرة في حسنها ذات جمال فائق وبهاء رائق وكانت متمكنة من الفضل والمعارف وكان ارباب مشورة مملكة قشطيلة ومملكة اراغون منذ مدة طويلة يحثون الامبراطور على الزواج فلما اختار تلك الاميرة ليتزوج بها وكانت من نسل العائلة الملوكية الحاكمة بمملكتي اراغون وقشطيلة استحسن الرعايا رأيه واستصوبوه وفرح البورتوغاليون كل الفرح بتزوج الامبراطور لاميرتهم وكان اعظم ملوك الافرنج فاعطوها جهازا عظيما يساوي تسعمائة الف كورون (نوع من النقود تقدم ذكره) وبالنظر لحالة الامبراطور لذلك الوقت لهذا المبلغ موقع عظيم عنده فانعقد النكاح وانشرحت الصدور بهذه الافراح وعاش الامبراطور في ارغد عيش واحسن هواها والذي ابهج الاميرة ما حصل لها من العز والاكرام والتعظيم والاحترام

مطلب
مصالح بلاد المانيا

ولما كان الامبراطور شرلكان مشتغلا بهذه الامور في بلاد اسبانيا كان لا يمكنه ان يلتفت حق الالتفات الى مصالح الامبراطورية الالمانية مع انها وقتئذ كانت محرومة كل حرمان مما حدث فيها من الفتن والمعكرات حتى كان يخشى ان تفضي بها الى عواقب مشومة تضر بها كل الضرر لان العوائد الالمانية والرسوم السائدة كانت اذ ذاك باقية على اصلها في بلاد الامبراطورية وكانت

مطلب
الحالة السيئة التي عليها الفلاحون

الاراضي والضياع ملكا للبارونات وكانوا يعطونها لاتباعهم ويكلفونهم بامور تتعسر منها النفوس وكان باقي الملة في حالة سيئة لا فرق بينها وبين حالة الرق والاستعباد حتى انه في بعض بلاد المانيا كان رعاع الناس في اسرواق بمعنى ومرتبطين بمعنى ان اشخاصهم ومنازلهم وما ملكت ايمانهم ملك لسادانهم وفي بعض بلاد اخرى منها لا سيما الجيم توهميه وهي حجه واطلم لوراس كان الفلاحون بالنسبة لاراضي سادانهم بمعنى انهم يعدون في ضمن

الارض ان يعطيه ربع او عشره للملتزم آخر وفي اقليم سوابه وغيره من الاقاليم التي على شواطئ نهر الرين كان يجب على الفلاحين مع انهم في تلك البلاد احسن حالة من غيرهم ان يدفعوا الى ساداتهم وملتزميهم محصولات الاراضي بتمامها بل وكانوا اذا اراد احدهم أن يغير مسكنه او يعرف بحرفة اخرى غير الزراعة والفلاحة لا يرخص له في ذلك الا اذا دفع لسيده او ملتزمه مبلغا معلوما واما الفلاحون الذين كانت تعطى لهم بعض اراض فكانوا لا ينتفعون بها الا مدة حياتهم ولا تنتقل بعدهم الى ذراريهم بل كان للملتزم بعد موتهم الحق في اخذ ما شاء من امتعتهم وأثاثهم وكان ورثتهم اذا ارادوا أن يعمروا في تلك الاراضي دفعوا مغرما جسيما ومع ذلك كان الفلاحون لا يشكون ولا يتظلمون من هذه المظالم الكبيرة لانهم كانوا قد تعودوا عليها وتمكنت من طباعهم لكن لما حصل التقدم في التمدن والرفاهية وتغيرت الاحوال وصارت الحروب تستلزم مبالغ جسيمة اتسعت مصاريف الدول واضطر الملوك الى ضرب مغارم كثيرة على رعاياهم لاسيما وكانت اغلب تلك المغارم على السوقة والاتباع وما اشبههما مما كثر الشكاية منه فصح الناس من ذلك حسب استعداد ازمنتهم وتنبيه حالهم وكان اهل بلاد السويسة فعل ذلك اي في القرن الرابع عشر فقد نبههم من مثل هذه المغارم خروج الطاعة واستولى نفسهم شجاعتهم الحربية التي يعرفون بها الآن وبتلك الاسباب خرج الفلاحون عن طاعة ساداتهم في عدة اقاليم اخرى من بلاد النمسا في اواخر القرن الخامس عشر واوائل القرن السادس عشر ثم لم يترتب على عصيانهم ما ترتب على عصيان اهل السويسة الا انه لم يمكن اطفاء تلك الفتنة الا بعد مشاق كثيرة وسفك دماء كثيرة تزيد على ما حصل في عصيان السويسيين

ولكن بعد هيج الفلاحين في تلك المرة لم يترفهوا بل كانت آمالهم لم تزل متعلقة باسعاد انفسهم من الظلم والجور لاسيما وكان الظلم يتجدد كل يوم فعيل صبرهم وهموا بالعصيان ثانيا وجاهروا بالخلاف وقد طمع بهم العصب شيئا فشيئا بشرب في سنة ١٥٢٦ اعلام الفتنة باقليم سوابه من ناحية مدينة اوله فبادر

سنة ١٥٢٤

البها الفلاحون اعوانا واحامى سائر البلاد التي حولها المدبروا تلك الفرصه وسعدوا انفسهم من المظالم الكبيرة التي هم بها في ضنك وكرب منذ مدد زمن طويل واسعل جمرهذه الفتنه من اقليم الى آخر حتى انتشر في سائر بلاد المانيا وتعصب جميع الفلاحين تلك البلاد وصاروا يطوفون في البلاد الالمانيه كالمجانين وكلما دخلوا بلده نهبوا ادبارها وكنائسها وخربوا اراضي الملتزمين وهدموا قصورهم ودعوا من وقع تحت ايديهم منهم

ولما ظنوا انهم بهذه الفتن قد اوقعوا الخوف والرعب في قلوب الملتزمين والحكام الذين كانوا ظلموهم اخذوا في السكون والهدو وصاروا يبحثون عن الوسايط التي يامنون بها في المستقبل من المظالم والجور وبعدى الملتزمين والحكام حرروا لهذا الغرض تقريرا مشتملا على الامور التي يطلبون منها وذكروا فيه انهم لا يلقون السلاح الا اذا انصفهم الاعيان طوعا او كرها في هذه الامور كلها وكان اعظمها هو طلبهم الحريه في شأن الخورنيس بحيث يكون لهم حق انتخابهم وان لا يدفعوا الاعشار الا في محصولات القمح فقط وان لا يكونوا كالارقا للملتزمين وان لا يباح لهم صيد البر والبحر كاصحاب الشرف فلا تكون الغابات والاحراش من خصوصيات الاشراف والملتزمين بل يكون لسائر الناس حق فيها وان يرفع عنهم ما حدث من المغارم وان يحسب الاعراض في الحكم والقضا ويتساهل معه عن الحالة التي هو عليها وان لا يعاقب الملتزمون على العطايا والخلوات وعلى حقوق الجمعيات البلديه

مطلب
سكون الفتنة السابقه

ولا شك ان طلبهم لاغلب هذه الاشيا كان في محله وكان منهم جم غفير حاملا للسلاح حتى كانت طائلتهم مقضى بانهم لابد أن يفوزوا بما طلبوا ولكن كان هولاء الفلاحون لا ضبط ولا ربط عندهم ولا معرفه لهم في الحرب وكانوا منفصلين عن بعضهم في عدة محال فكانوا في طائلتهم خالين من الانتظام وكان روساهم من رعاع الناس لا معرفه لهم بفن الحرب ولا مجال لهم في الوسايط التي توصلهم الى مقاصدهم فلم تكن طائلتهم الا محض الحشويه خالية عن الانتظام

١٥٢٦

وحسن الترتيب لجميع اشراف سوابه واشراف البلاد التي على أسفل نهر
الرين اساءتهم وساروا لقتال هولاء العاصين الذين كانوا يحررون الاقاليم
فهجموا على بعض هولاء الفلاحين في السهول واقتصوا على البعض الآخر
في الجبال التي كانوا ملتجئين اليها فهزموهم ومزقوهم كل ممزق وبددوا شملهم وبعد
أن خرب الفلاحون جميع البلاد العديدة المخصبة وهلك منهم في القتال اكثر من
عشرين الف انسان رجعوا الى مساكنهم وهم في الهبوط واليأس لا يرجون فكاكا
من شقوتهم وكروبهم

المقاتلة في اقليم تجيه

وكان مبدأ هذه الفتن في الاقاليم الالمانيه التي كان مذهب لوتير لم يتمكن منها
كغيرها ويجب كان اغراض الفلاحين من هذه الفتن سياسية محضة كما يرى
لم يتعرضوا الى شئ من الاحكام الدينية التي كان النزاع حاصلا فيها اذ ذاك بين
لوتير والكنيسة الرومانيه ولكن لما حصلت الفتن في البلاد التي كان مذهب
لوتير قد تمكن منها ازداد غضب اهل تلك البلاد حتى جاوزوا الحدود لان الشيخ
الذي كان كلما دخل في بلدة يطبع الخسار والمخاطر في قلوب اهلها فتتشوق
نفوسهم الى احداث امور جديدة ولا تعتريهم همة ولا يسكن ان من يجسر على
ابطال مذهب الكنيسة مع علو شأنه واحترامه لا يخشى صولة ولا يخاف بطشا
وذلك انهم لما كانوا يرون انفسهم حكاما عدلا في المواد الدينية المهمة ويعودوا على
رفض ما يظهر لهم خطأوه في الدين كان لا يصعب عليهم التعرض الى اصول
الحكومة وازالة ما استعظموه منها ويرونه من قبيل الظلم والجور على حسب رأيهم
رأوا ان ذلك من حقوقهم لاسيما وقد كانوا قبل ذلك قد ازالوا مظالم الدين
وما استعظموه فيه من غير ان يستعملوا بالاحكام المدنية فصوب ذلك قلوبهم
حتى شرعوا في ازالة المظالم السياسية كما فعلوا بالمظالم الدينية

المسبب زيادة الفتنة المقاتلة في طورنجه

وبنا على ذلك ظهرت الفتنة في اقليم طورنجه وكان عليه منصب مكس
وكان اهله قد تمسكوا بمذهب لوتير وتمكنت آراؤه من قلوبهم كل التمكن
صارت تلك الفتنة كبيرة مهولة لم تسبق مثلها الا سماع وكان تومه مونسير احد
اصحاب لوتير مبسوطا بهذا الاثم وصارله موقع عظيم في قلوب اهله وكان

سنه ١٥٢٦

دعواعظم

قد طبع فى عقولهم عقائد باطله وآرآ عاطله الا انها كانت تستلزم الحث على العصيان واتباع امير حسبما كان يعظهم بقوله (اعلموا ان اضرار تربيه بالدين اكثر من منفعته فانه وان ابعد الكنيسه من مطالع الديانات ومفاسدهم الا ان مذهبه دبى على فساد الاخلاق حيث انه اسهدنه انهما كه على المعاصى والمحارم فينبغى للناس لاجل منع ذلك ان يسلكوا بمقتضى مسالك العفه والحسن وان يكون الانسان على هدى و تقوى ملازما للسود لا يتكلم الا بقدر الحاجه ويلبس الملابس الخشنه ولا يضحك ولا يمزح ويراعى شعائر الزهد والتقشف فى جميع امور الظاهره فمن فعل ذلك طهر قلبه وباطنه ورآى الله معه اينما توجه وافاض عليه من بحار جود وحلمه فاذا حرم من نعمته وهو على تلك الحالة فله ان يتب اليه بالشكوى ويرجو وجهه الكريم فى ايفا ما وعد به وازاله البوس عنه فيقبل الله شكوا ويحفظ رجا ويحفظه بقدرته كما حفظ الانبيا المسالفين وينبغى لسائر الناس ان يحافظ ويحذر كل الحذر حتى لا يستوجب سخطه بذنوب ما وينبغى اجتناب طلب الامتياز الان الله سبحانه وتعالى قد خلق الناس على حد سوآ فيستوى عنده الغنى والفقير والحقير والكبير فلترجع الناس الى تلك الحاله التى هم عليها من اصل الفطره ولتكن جميع الاموال والخيرات الموجود فى الكائنات مشتركه بينهم على سبيل الشيوع لا يختص بها انسان دون آخر وليعيشوا اخوانا مع بعضهم حتى لا يكون فيهم اعلا وادنى انتهى كلامه)

ثم ان هذا الكلام وان كان من بعض الوجوه من قبيل الهذيان الا انه ملايم الطباع البشريه ولذا كان له وقع عظيم فى قلوبهم واثر فى عقولهم كل التاثير حتى انهم لم يقتصروا على مجرد دفع الاسراف وتخفيض شوكتهم بل راوا ذلك امرا واهيا لا يستحق ان يعتبر فصمموا على ازاله درجات التفاوت فى الجمعيه حتى يكون الناس جميعا على حد سوآ وان يبطلوا حق الملك على العقارات والاراضى حتى تعود الناس الى ما كانوا عليه من التساوى من اصل الفطر وتكون الاراضى مشتركه بينهم على وجه الشيوع لا يختص احد بها دون آخر بل

كل انسان يستخرج منها ما يحتاج اليه من اسباب المعيشة واهمهم موسيو
المتقدم ان الله سبحانه وتعالى يريد منهم ذلك حسب رأي في الاسلام انه جل وعلا
وعده بالنجاح والظفر فعند ذلك زاد تصميم الفلاحين على مقصدهم وأبوا
الا تتميمه وتنفيذه وكان هنالك بون بعيد بين حميتهم وحمية الفلاحين الذين عصوا
في الاواخر من الامبراطورية الالمانية حيث كانت حميتهم ناشئة عن تولع
ديني فعزلوا القضاة والحكام في سائر المدائن التي تغلبوا عليها واستولوا على
اراضي الاشراف وخيروا من وقع في ايديهم من هؤلاء الاشراف والملتزمين
على ان يلبسوا ملابس الفلاحين وسائر لواحق جميع خصوصياتهم ومزاياهم
والعامة ويكتفوا من الالقاب بما كان يقال لاحد الطبقة الاهلية فكثيرين
من كل جهة افواجا من الناس سائرون الى الدخول في هذا الفصائل
الآن موسيو الذي كان قائدهم وقائد كانهم لم يكن مستكملا للشروط
اللازمة لحفظ النظام وسياسة العساكر والرياسة عليهم نعم انه كان جامعا
لضلالات اهل البدع ومخترعاتهم لكنه لم يكن موصوفا بشجاعتهم وثبات قلوبهم
وعسر عليهم ان يفهموه انه لا بد من البروز الى الاعداء ومجالدتهم فلم يزل
في تردد واهمال حتى احاطت به فرقة من الخيالة يقودها الامير منتخب سكس
والامير حاكم هيسه والامير دوق برونسويك مع ان عساكره كانوا ثمانية
آلاف ولكن حيث كان هؤلاء الامراء الثلاثة لا يهون عليهم سفك دماء
رعاياهم لكونهم لم يخرجوا عن الطاعة من تلقاء انفسهم بل اغراهم على ذلك
رجل لا عقل له بعثوا اليهم احد العسكر اذ ان يعرض عليهم انهم ان القوا السلاح
وقبضوا على من كان سببا في الفتنة عفي عنهم فلما عرض عليهم ذلك ووقف عليه
موسيو فزع كل الفزع واخذ يعظهم مع الحماسة التي هي عادته في الوعظ
ان لا يصغوا الى قول هؤلاء الطلبة الغادرين وان لا يحجموا عن شيء اراده الله
وبه يكون نجاة المملكة النصرانية وبسبب حريتها
ولكن خوف هؤلاء الفلاحين من الاخطار التي كانت قريبة الوقوع بهم
أثر فيهم اكثر من فارغ وعظ موسيو وفصيح بيانه فبينما كانوا يترددون

سنة ١٥٣٦

في هذا المشروع ولا يستطيعون الاقدام عليه اذ سطع في السما فوس من النور كان قد رسم الفلاحون المذكورون صورته على ساريهم فاتهان ذلك موستر على احيا قلوبهم حيث رفع يديه ورأسه حالا الى السما قائلا ما على صورته هاهي العلامة الساطعة التي اظهرها الله لنا كي نطمئن ونتحقق انه يخصنا بالنصر على اعدآئنا وانهم هم المغلوبون الاشقيا فعند ذلك صاح الفلاحون فرحا وسرورا حتى كان النصر نسب لهم لا محالة وهاجوا الامير الذي اتى اليهم

١٥ من شهر ادار

بالعفو من طرف الامرآء وطلبوا التوجه الى الاعدآء فغضب الامرآء والاشراف من ذلك حيث انه مخالف لقوانين الحرب ورسومه وبعد ان اخبروهم بانهم فادون عليهم ساروا القتال لهم ولكن لم يظهر الفلاحون في هذا الحرب من الشجاعة والحمية ما كان يظن بهم حيث لم يمكنهم لعدم معرفتهم بالعسكرية ان يقاوموا عساكر الامرآء والاشراف الذين هم متعوّدون على الحروب ولهم في العسكرية باع طويل ودراية عظيمة فقتل منهم في ميدان الحرب اكثر من خمسة آلاف وفر الباقي وبسبب قتل جيش الفلاحين وهرب من سلم موستر امامهم وقبض عليه في اليوم الثاني من الواقعة وحكم عليه بالقتل فقتل وهو يبدي من امور الجبن ما يدنسه ويورثه الخزي والعار وبعد موته سكن الفلاحون وانطفأت الفتن التي كانت بهذه البلاد الالمانيا في فزع عظيم وانقلاب ورعب واضطراب عمران ما نشره موستر بين الناس من الاوهام الباطلة لم يزل باقيا على حاله حتى نشأ عنه فيما بعد امور اكثر واشهر من هذه الامور الباقية

مطلب
حزم لوتير وحذقه

وفي اثنا هذه الفتن كان لوتير يسلك في اموره مسالك الحزم والحذق وكان يشق عليه حصول تلك الفتن التي هي مصائب للنصارى الذين كان يعتبرهم كعائلة واحدة وهو اول من اخذ يدبر ما يكون به اصلاح حال الفريقين من الاشراف والامرآء ان ظلمهم هو الداعي لقيام الفلاحين وبين للفلاحين انهم قد اخطاوا في قيامهم وخروجهم عن الطاعة وذلك انه كتب الى الاشراف يقسم عليهم بالله ان يعاملوا رعاياهم بما تقتضيه المروءة والشفقة ولين الجانب

سنة ١٥٢٦

وان يتركوا مطالبهم الفاسدة وكتب الى الفلاحين يعظهم ان يصبروا ويسلموا امرهم لله تعالى ولا يفتخروا بما ابتلاهم به وان يحملوا المشاق التي هم فيها بتحمل الصابرين وانهم ان يحتجوا عما تكون به خلاصهم واصابوا نصيبهم من هذه المشاق فلكن ذلك بمقتضى القوانين والاحكام ولا يعدلون عن سنن الشريعة

وفى تلك السنة تزوج لوتير بامراة عابدة راهبة يقال لها كاترينه بوريه وهي من عائلة عريقة فى الحسب والنسب كانت رهبت الرهبانية وهربت من الدير وقد حصل التوقف فى اجراء هذا الزواج فكان اعداء لوتير يعدون هذا النكاح من قبيل الزنا والفواحش المنافية للدين والشريعة وكان احبابه واخوانه يرون انه لا يليق منه ذلك فى زمن كانت مصائب وطنه فيه سيى فأدرك لوتير ان هذا النكاح قد اغضب الناس الا انه لما كانت عادته التحمل والصبر صبر على لوم اخوانه وقدح اعدائه

هذا وقد مات ايضا فى تلك السنة الامير فريدريق صاحب سكس الذى كان يدافع عن مذهب لوتير ويحمى حماه الا انه خلفه اخوه الامير حنا وكان ذا اشتهار وجسارة فتظاهر بحمايته مذهب لوتير واخذ يعضده بالدليل والقوة ثم لم يكن فى المعارف مثل اخيه الا انه كان اعظم منه جسارة وباسا

من شهر ايار

وقد حصل ايضا ببلاد المانيا فى اثناء ذلك الزمن حادثة عظيمة جديرة بالبحث عن اسبابها واصولها وحاصلها انه قد كانت عقول الامم فى اضطراب مدة القرن الثانى عشر والثالث عشر بسبب ولعهم بالحروب الصليبية اذ نشأت عدة طوائف فى تلك السنة كان الغرض من تربيتها حماية دين النصرانية من الاسلام وكان من اشهر هذه الطوائف الطائفة الموتونيه التى ترتبت فى بلاد المانيا وكان رجال تلك الطائفة قد اشاروا بكل الامتيازات فى جميع مسرتهم وعزواتهم فى اخذ ارض القدس فلما طردوا فيما بعد من الاراضى التى كانت لهم ببلاد المشرق حنوا على

سنة ١٥٢٦
مطلب
احداقليم البروسا من
الطائفة التوتونية

العود الى اوطانهم لكثرة شجاعتهم وجسمهم اعتقدوا ان يمكثوا زمانا طويلا بدون غزوات وحروب فتعلقوا بامور واشياء غير مقبولة وعملوا على اقليم البروسيا وكان اهله الى ذلك الوقت جاهلية لم يدخلوا في النصرانية فبعد أن استولوا عليه تمامه في اثنا القرن الثالث عشر مكث بايديهم عدة سنوات بوصف كونه التزاما تابعا لتاج بولونيا وهي بلاد له وفي اثناء تلك المدة حصلت منازعات شديدة بين روساء الطائفة المذكورة وملوك له حيث كان الروساء يطلبون الاستقلال وملوك له يمانعون عن حقوقهم ويحافظون على ابقاء اقليم البروسيا تابعا لهم وكان من جملة هولاء الروسا الامير ألبرطه وهو امير من عائلة براندبورغ جعل رئيسا على تلك الطائفة سنة ١٥١١ وكان له مدخل عظيم في هذه المنازعات حتى حصلت حرب طويلة بينه وبين ملك له المسمى سجسموند الا ان هذا الامير كان على مذهب لوتير فلاجل رغبته في تحصيل مصلحة خاصة به أسأ أملا وقت الفتن في الامبراطورية وغياب عنها الامبراطور انتهز هذا الامير تلك الفرصة وعقد مشارطة مع الملك سجسموند ولم يراع فيها الا مصلحة نفسه وبموجب هذه المشارطة اتفق على ان ما كان للطائفة التوتونية من اقليم البروسيا يصير دوقية وراثية ويعطى للامير ألبرطه بشرط ان يكون على ذمته ملوك له وبعد عقد هذه المشارطة امر ألبرطه اهل اقليمه كافة ان يمسكوا بالدين الجديد ويتبعوا مذهب لوتير فتزوج باميرة من بلاد دانيمارقة فتشكى اهل الطائفة التوتونية من افعاله المنكرة وخيانته المضر حتى امتحى من الامبراطورية الالمانية لكن لم يزل الاقليم المتقدم ذكره حتى انتقل بالوراثة الى ذريته ثم انتقل بعد ذلك الى فرع مخصوص من عائلته يقال له الفرع الانتخابي وخرج هذا الفرع عن طاعة ملوك له وصار مستقلا بنفسه غير تابع لملك المملكة وحكم امراء عائلة براندبورغ اقليم البروسيا بوصف كونهم ملوكا مستقلين وصاروا من اعظم امراء المانيا بل وعدوا من اكبر ملوك بلاد الافرنج

سنة ١٥٢٦

مطلب

ان الى اتحدها ساعة رجوعه

ولما رجع الملك فرنسيس الى مملكته صار مطمح نظر ملوك الافرنج والتفتوا الى حركاته واطواره كي يعلموا ما سيفعله فيما بعد فلم يمكثوا على ذلك زمنا طويلا حتى عرفوا ما كان يضمره وذلك انه بمجرد وصوله الى مدينة بايونه كتب الى هنرى ملك انكلتره يشكره على صنيعه معه واعانته له في مدة سجنه واعترف بان له الفضل والمنة عليه في انقاذه من الاسر وفي اليوم الثاني من وصوله الى تلك المدينة دخل عليه رسل الامبراطور وطلبوا منه أن يأمر عاجلا ولازم في اجراء ما تضمنته المشارطة المنعقدة بمدينة مدريد فاجابهم فرنسيس مع عدم الاكتراث بانه مصمم على حفظ ما تعهد به حرفا بحرف ولكن في تلك المشارطة شروط كثيرة لا تتعلق به وحده بل تتعلق ايضا بالمملكة الفرنساوية ولا يمكنه امضاء شيء في شأنها الا بعد رضاء مشورة وكلاء المملكة وقال لهم ايضا انه يلزم لذلك مدة طويلة حتى يمكنه ان يحصل على الاهالي ويستميلهم الى قبول الشروط الصعبة التي وقع الاتفاق عليها بينه وبين الامبراطور وبهذا الجواب ظهر انه مصمم على المحاولة في اجراء ما تضمنته المشارطة وظهر ان قصده من اداء الشكر الى ملك انكلترة انما هو استمالته الى حزبه لتعينه في الحرب الذي سيحصل بينه وبين الامبراطور لعدم عمله بمقتضى المشارطة المنعقدة بينهما بمدينة مدريد وزيادة على ذلك كان فرنسيس يكاتب سرا وجهرا اغلب ملوك ايطاليا ويعدهم انه مصمم على ان لا يعمل بمقتضى المشارطة فعلم ارباب السياسة من اهل ذلك العصر انهم لم يخطئوا فيما فهموه من حاله أولا من انه انما رضي بما تضمنته تلك المشارطة ليخلص نفسه من الاسر لا غير وانه مصمم في الباطن على أن لا يوفي بها حسب النصح لهم انه لا يريد نقض ما ذكر في المشارطة وانما ينتظر فرصة يتمكن بها من الامبراطور في نظير الامور الصعبة التي حملته على اظهار قبول تلك المشارطة هذا ولا يخفى ان البابا كليمان وان كان من ذاته التكاسل والخمول الا انه خالف في تلك المرة عادته حيث اظهر الميل الى حزب الملك فرنسيس وذلك ان هذا الملك لما اظهر انه مصمم على نقض ما حصل الاتفاق عليه بينه وبين الامبراطور قوي قلب البابا

المذكور

سنة ١٥٢٦

المذكور حتى كان لا يخشى للامبراطور بأسا لاسيما وكانت حالة ايطاليا اذ ذاك لا تسوغ لهذا البابا أن يصير مساعدا لمن لاقى المذاكرة في هذا الخصوص وذلك ان الامير سفورس كان محصورة عساكر الامبراطور في قلعة ميلان وحمل بسقوس الامير موروني الذي كان يقوي قلبه ويرشده الى ما ينبغي فعله وزيادة على ذلك كان الامير سفورس في كرب شديد حتى لم يبق له وسيلة في المدافعة فكتب الى البابا واهل البنادقة يخبرهم انه يسلم عن قريب ان لم يسعفوه بعدد يسعفه به هذا وكان عساكر الامبراطور مقيمين بأوباش في دوقية ميلان يعيشون من اموال اهلها لانهم كانوا الى ذلك الوقت لم يصرف لهم ماهياتهم فكانوا ياخذون في كل يوم خمسة آلاف دوقة كما ذكر المؤلف غيشاردين وكان من المحروم به ان هؤلاء العساكر بعد تسليم قلعة ميلان لا يستطيعون الاقامة في الدوقية المذكورة حيث انها افتقرت بسبب الحرب فيصيرون لا يقدرون على قوتهم بل يسطون الى بلاد البابا وبلاد البنادقة ويستوطنون بها لانها كانت الى ذلك الوقت ذات ثروة لم تطمها مصائب الحرب ومضارة وبنا على ذلك كان بدون اعانة ملك فرانسا لا يمكن انجاد الامير سفورس ودوقية ميلان من عساكر الامبراطور ومطالبهم الشديدة

مطلب
القصة المحررة على الامبراطور

فلهذه الاسباب رأى البابا واهل البنادقة والامير دوق ميلان انه لا بد من المعاهدة مع ملك فرانسا وكان هذا الملك ايضا راغب في المعاهدة معهم ليقوي شوكته وصولته ويكون له اقتدار على مقاومة عدوه وبنا على ذلك انعقدت المشارطة بينهم بمدينة كوناقه في اليوم الحادي والعشرين من شهر مايو ومكث تلك المشارطة مدة لا يعلمها احد وبنودها الاصلية هي ان يكره الامبراطور على اطلاق ولدي ملك فرانسا وياخذ في فدائهما المبلغ اللازم ويكرهوه ايضا على اعطا دوقية ميلان للامير سفورس واتفق المتعاهدون على انه ان ابى الامبراطور قبول هذين الامرين يوجهون الى دوقية ميلان عساكر وبلا بون الما وبعد اخذ هذه

١٥٢٦ م

الدوقة وطرد الاسبانيولين منها وتوجه الجنس المذكور الى الاغارة على مملكة نابلي وسمي ملك انكلترة حامي العصبة وسميت هذه العصبة بالعصبة المقدسة لان البابا كان رئيسها ولاجل استمالة الملك هنري وربطه مع تلك العصبة باسباب أأكد من ذلك اتفق الرأي على أن يعطى له في مملكة نابلي اطلم ارادة السنوي بثلاثين الفا من الدوكات ويعطى لوزيره ولسي من الاراضي حصة يكون ايرادها في السنة عشرة آلاف دوكة

ملخص تم البابا ابرآ ذمة الملك فرنسيس من اليمين الى حلفها أن يعمل على مقتضى المشارطة المعقودة بمدينة مدريد

وبمجرد انعقاد تلك المشارطة ووضع القرار عليها صدر حكم من البابا ببراءة ذمة الملك فرنسيس من اليمين الى حلفها ان يعمل على مقتضى المشارطة المعقودة بمدينة مدريد ولاشك ان هذا الامر الذي يدعي الباباوات انه من حقوقهم لكونهم خلفاء المسيح على ملته وعصمتهم عن الخطأ مخل باصول الديانة وخلوص الذمة المبني عليه المعاملات البشرية فلما رأى الناس ان البابا له جراءة على ان يحكم بنقض مثل تلك العهود والالزامات التي توجب الاصول المرعية احترامها والعمل بمقتضاها وانه مهما اراد سارع بحكمه وان لم توافق اصول دين النصرانية اعتمدوا لكثرة تلك الاحكام وما فيها من المصلحة المحكوم له وأخذهم انها قضية مسلمة أن له أن يحلل امورا تكون في حد ذاتها من قبيل المحظورات ويغير ما هو من جنس المنكرات

ملخص تأسف الامبراطور

ولما علم الامبراطور ان الملك فرنسيس مصمم على المخاوله في المشارطة المعقودة بمدينة مدريد لحقه من ذلك غم شديد وتواردت على فكره امور شتى وتأسف على كونه اساء معاملته هذه المرة واستوجب لنفسه اللوم والتشنيع لاسيما وقد ظهر طمعه بموجب المداولات التي حصلت بينه وبين فرنسيس حين كان في قبضته فعلم ان سائر دواوين ممالك اوروبا تكثر من توبيخه واللوم عليه ولم تعد عليه من ذلك ثمرة حتى تعذره اهل السياسة في ذلك العصر ويروا ان تشديده كان لقصد مصلحة او ثمرة تعود عليه فضلا من اللوم الا انه كان يرى ان فرنسيس قد خلص من يده ولم يظفر بشيء من الفوائد التي قصدها من اطلاقه وتخليته سبيله فندم كل الندم حيث اعتمد على قول هذا

سنة ١٥٢٦

الملك وخلّى سبيله مع ان عقلاء وزرائه اشاروا عليه بخلاف ذلك وعلم انه
قد اخطأ في تدبيره حيث اطلقه لقصد منع عصبة تحدث فلم يجد ما دبره نفعا
بل رأى ان العصبة لا تنفسخ ووقوعها وان فرنسيس يكون مشيرها وهو
عدوه الاكبر فكأنما خلّى سبيله ليقوى به عقد المتعصبين والحاصل فكان
الامبراطور في ندم عظيم على ما فرط منه وفي قلق وحيرة كبيرة مما سمع الا انه كان
من دأبه العزم والحزم وعدم العدول عما صمم عليه فرأى انه ان عدل عن شيء
مما تضمنته مشارطة مدريد فكأنه اظهر العجز والخوف وهذا لا يليق
بعظمته فصمم على التشديد في اجراء مشارطة مدريد وعدم التساهل في شيء
منها وقصد الامهال لا الاهمال ولو حصل ما حصل خصوصا رد دوقية
بورغونيا اليه فانه لا يرجع عن ذلك ولو اعطي خزائن الدنيا وكنوزها

مطلب
طلب الامبراطور من الملك فرنسيس أن يعمل بمقتضى المشارطة

ولما صمم على ذلك بعث الامير لانواي والامير البرسون رسولين الى
مملكة فرانسا يطلبان من فرنسيس ان يعمل بمقتضى ما تضمنته المشارطة
حسبان النكث والاخلاف لا يليق بالملوك او يعود الى مدينة مدريد
ليقيم بها اسيرا كما كان حسبما التزم به فلم يجبهما الملك فرنسيس بشيء وانما
جمع وكلاء اقليم بورغونيا أمامه بحضرتهما وسألهم في هذا المعنى فأجابوه
مع الادب والوقار انه قد تعدى طوره من حيث كونه ملك فرانسا اذ وعد
الامبراطور أن يرد اليه هذا الاقليم مع انه حالف اهله قبل ذلك ان يبقيه معه على
ما هو عليه وان لا يفرط فيه ابدا فشكرهم الملك فرنسيس على زعمهم
في حفظ حقوقه والتمس منهم بدون تشديد أن يراعوا الشروط التي اتفق عليها
مع الامبراطور وبموجبها يجب عليه ان يسلم اليه اقليم بورغونيا فعند ذلك
اظهروا انهم لا يطيعون له امرا مخالفا لاصول المملكة وقووا نيتهم وانه اذا احتيج الى
تسليم اقليمهم للامبراطور يذهبون عن وطنهم بانفسهم او يهلكون ولا يدخلون
تحت حكم ملك اجنبي فلما تم ذلك منهم التفت الى رسولي الامبراطور
وقال لهما انه لا يمكنني التسليم بوجه من الوجوه في اقليم بورغونيا وحيث
كان كذلك فاقوم بدفع مبلغ من الريالات للامبراطور ولكن لما ادرك الرسولا

مطلب
جواب فرنسيس للرسولين المبعوثين من طرف الامبراطور

١٥٤٦

الامبراطور ان ما قاله الوكلاء متواطئون عليه مع الملك قبل ذلك افادوه
ان سيدهما اعني الامبراطور مصمم على ان لا يتساهل في شيء قل او جل
مما اشتملت عليه المشارطة وخرجا لوقتهما وقبل سفرهما من مملكة فرانسا
انتشرت الاخبار بالعصبة المقدسة المضرة على الامبراطور

سبب الامبراطور الحرب

ولما وقف الامبراطور على خبر انشاء تلك العصبة استعد غاية وسعه وشنع على
الملك فرنسيس قائلا انه ملك كذاب لا عرض له ونظم ايضا من البابا
كليمان وسعيه في ترتيبه والعقد على تلك العصبة فرماه الامبراطور بالخيانة
والغدر والطمع الفاحش الذي لا يليق بمقامه من حيث كونه اما النصارى
كافة ولم يقتصر على تهديده وتخويفه باظهار الحقد والتصميم على الانتقام منه
بل امر بعقد مشورة دينية عامة لهذا الغرض فاوقع في قلب البابا كليمان
الرعب والخوف حيث ان بابات رومه كانوا يحسبون بأس هذه المشاور
الدينية ومع ذلك فقد رأى الامبراطور ان التهديد واللوم لا يكفيان في مثل
هذه الصورة ولا يحميانه من العصبة الكبيرة المضر به عليه فابدى امرا يعجب
منه الخاص والعام حيث ارسل عساكر جديدة الى بلاد اطاليا وبعث
من الاموال مبالغ جسيمة واما المعاهدون اي ارباب العصبة فكانت همتهم

همة المعاهدين

في هذا الحرب دون ما كان يرى من شدة عزمهم حين تعاهدوا مع بعضهم ودخلوا
في العصبة المقدسة فكان يظن ان الملك فرنسيس يبذل غاية جهده ليتأسى به
بقية ارباب العصبة لان هزيمته في واقعة بافيا كانت قد حطت بمقامه
وازرت بشرفه فلابد ان يبذل جهده فيما به يرتقي الى مقامه الاول بين ملوك
الافرنج لا سيما وقد كان الامبراطور شرلكان قد اساء معاملته وفعل
معه امورا كثيرة يعز مثلها النفوس فكان يظن ان ذلك يحمله على انه ينتهز من
تلك العصبة فرصة عظيمة وينتقم من عدوه حق الانتقام وزيادة على تلك
الاسباب كان الملك فرنسيس ذا حدة جبلة وجبلة طبيعية فظن الناس
ان هذا الحرب يكون افظع من الحروب التي حصلت من قبل بينه وبين
الامبراطور ولكن لم يحصل ظنهم لان الشدائد والكروب التي كابدها الملك

فرنسيس

سنة ١٥٢٦

فرنسيس كان قد انطبع في نفسه وتمكن منه حتى كان لا يأمن من الدهر وصروفه بل ولا يأمن من نفسه على نفسه فكان يأبى أن يرغب إلا في الراحة والصلح وترك أهوال الحرب وشدائده وكان غاية مرامه أن يدفع إلى الامبراطور مبلغا من الدراهم ليطلق له ولديه ويقطع النظر عن إقليم برغونيا ولو ميله الامبراطور في هذين الأمرين لما التفت إلى إعانة الأمير سفورس ولا إلى أسباب حرية بلاد إيطاليا حتى إنه لم يكن قصده من تلك العصبة إلا إيقاع الخوف والرعب في قلب الامبراطور فيرضى بما يعرضه عليه فيما يتعلق من الشروط المقبولة العصبة لا سيما وكان أهل العصبة ممن يرغب في مصالح نفسه ولا يفي بوعده فخشي أنه إذا أرسل جيشا من عنده لا يصادفونه في ميلان وهزم جيشه عساكر الامبراطور وطردهم من هذه الدوقية يتخلى عنه أهل العصبة ويقصرون فيه بدا فلا يعود عليه من ذلك الثمرة المقصودة له ولنرجع إلى حصار قلعة ميلان فنقول إن عساكر الامبراطور شددوا على القلعة الحصار كل التشديد حتى لم يبق للأمير سفورس حيلة ولا وسيلة وكان أهل البنادقة والبابا ظنوا أن الملك فرنسيس يهتم بأمر الإعانة فوجهوا عساكرهم إلى ميلان ليعينوا الأمير سفورس وكان أهل ميلان يحبون سفورس لأنه من عائلتهم الحاكمة ويبغضون عساكر الامبراطور لما فعلوه معهم من الأمور الفاحشة والمظالم التي تنفر النفوس فصمموا على إعانة المتعصبين في مشروعاتهم إلا أن جنرالهم الدوق أوربان كان يبغض عائلة مديسيس من قديم الزمان فخاف نفسه أن يفعل شيئا يكون به زيادة شوكة البابا كليمان أو يحصل له به الفخار لأن هذا البابا كان من العائلة المذكورة فكم لاح فرص وأوقات تسهل فيها شن الغار على عساكر الامبراطور والظفر بهم فتغافل عنها هذا الجنرال قصدا لأنه كان من دأبه التردد والتراخي

٢٤ من [illegible]

وبسبب هذا التراخي والإمهال أمكن للأمير الدوق دي بوربون أن يجهز عساكر جديدة لنفسه ويحصل المبالغ التي كان يحتاج إليها وبعد ذلك ضيق جيشه وشدد في الحصار حتى اضطر الأمير سفورس إلى تسليم القلعة وفر هاربا

سنة ١٥٢٦

الى مدينة لوديه وكانت بايدى ارباب العصبة وبعد هروبه بقى الدوق دى
بوربون بها كما فى دوقية ميلان لان الامبراطور كان وعده بتوليته عليها
كما تقدم

الى بلاد ايطاليا

فعند ذلك ادرك اهل ايطاليا ان معاهدة الملك فرنسيس معهم ليست
الا من باب المخادعة ورأوا انه قد تلاعب بعقولهم وان كانوا مشهورين اذ ذاك
بالحزم فى الامور السياسية بل وكانوا يظنون انهم مخصوصون بذلك لا يشركهم
فيه احد وذلك ان الملك فرنسيس كان الى ذلك الوقت قد حملهم اثقال الحرب
واناطهم بالرماية وشدة بأسه واغتنم فرصة ما بذلوا من مجهوداتهم حسب غرض
على ديوان مدريد ان يطلق له ولده علما منه ان الامبراطور لرغبته وخوفه
من العصبة يصطلح معه على شروط غير الشروط المذكورة فى مشارطة مدريد
المتقدم ذكرها فشنع البابا واهل البنادقة على الملك فرنسيس فى نظير
هذه الامور ووجهوا اليه اللوم والتوبيخ عساه يترك الاهمال ويبادر باعانتهم
على عدوهم فلما لم يسمع منه غير نصحهم ولا لوم بعضهم قرب همهم بالتدريج حتى
صاروا وامله ويئس البابا كليمان كل اليأس واشهد على نفسه انه قليل الحزم
والادارة وعاد الى ما فطر عليه من التردد والحول

واسباب التى صدرت من الامبراطور

واما الامبراطور فانه لما كانت اموره كلها صادرة عن همة كانت احكم وانفذ
من امور اعدائه وكانت تزداد احكاما واتقانا لو كانت ارادته اذ ذاك يمكنه
حتى الحكمة الا انه استعان فى ذلك بالدسائس والسياسة وذلك ان العائلة
الكولونية التى هى اقوى عشائر رومه واعظمهم شوكة وصولة كانت من
حزب الجبلين اى الحزب الامبراطورى فى مدة المشاحنات الطويلة التى وقعت
بين البابات والاباطرة ومكث بينها مضطرما من الغرض بعدة قرون كاملة
ونشأ عنها تعكير بلاد ايطاليا والامبراطورية الالمانية وكانت الاسباب التى
اوجبت هذا الشقاق قد زالت بالكلية ولم يبق لها اثر الا ان العائلة الكولونية
كانت لم تزل تميل الى الامبراطور وترغب فى رواج مصالحه لانها كانت ترى
انها مادامت تحت حماية الامبراطور تكون آمنة على اراضيها ومزاياها الاسمية

وكان

سنة ١٥٢٦

وكان كبير هذه العائلة اذ ذاك هو الكردينال پومپه كولون وكان رجلا طماعا ماهرا معروفا بانه صاحب الفتن والدسائس وكان من قبل ذلك العهد عدوا للبابا كليمان وذلك انه كان يطمع في منصب البابا ويحسب ان الامبراطور ربما انه يعينه على نيل هذا المنصب ويؤثره على كليمان فلما خاب امله بسبب عدم نجاحه الى كليمان ورئاسته حقد عليه من ذلك الوقت وان كان لم يظهر ذلك حتى انه كان من جملة من انحط رأيهم على توليه كليمان بل لاجل انه حاز ما في صدره بالكلية اخذ له وظيفة عند البابا كليمان المذكور واستخدم في دواوينه لكنه كان في الباطن يود فرصة تعينه على الانتقام منه * وكان الامبراطور بعد ارسل الامير هوغس مونكاد الى رومه بوظيفة ايلجي وكان هذا الامير يعرف ما عليه پومپه كولون من البغضة للبابا كليمان فلما ارسل البابا عساكره الى بلاد لمبرديه وبقيت رومه بدون جند اخذ الايلجي المذكور يعد الامير پومپه كولون ان هذا الوقت يعينه على الانتقام لنفسه من البابا وانه بذلك يزداد محبة الامبراطور اياه فقبل منه پومپه ذلك وصمم على ان يوقع فتنة يفضي بالبابا الى الانحطاط غير ان هذا البابا لوسوسته كان لا يقبل اتفاق شركائه اعدائه ويواطؤهم فادرك قصدهما من عند الامير واحضر عنده طائفة كبيرة من العساكر بحسب امل الامير پومپه كولون ومشيد بسره الان الايلجي هوغس مونكاد لحرمه وسياسته عرف كيف يشاغل البابا ويستولي على عقله بمواعيده المزخرفة واظهار الصداقة له حتى انه ازال ما عليه من الهمة وسوء الظن ومنعه ان يحترس بالاحتراسات اللازمة لامنه وبذلك امكن للامير پومپه كولون مع بلاديه الاف رجل ان يتغلب على

٢٩ من شهر ايلول

احد ابواب رومه وكان البابا اذ ذاك في امن واطمئنان ويرى انه لا يصعب عليه مقاومة هذا العدو فاكسبه ذلك من المعرة بالامر بد عليه حيث كان داهية عظيمة وشوكة كبيرة وكان مشهورا بالسياسة والكياسة وكان الرومانيون لا يحسبون ادنى من عساكر پومپه كولون فتركوهم يدخلون رومه ولم يتعرضوا لهم فلم يمض مدة يسيرة الا وقد حصر البابا كليمان بل قتر هو

سنة ١٥٢٦

اتصل بالبابا اخذه من الرعب ورأى ان كل الناس قد تخلوا عنه وذهب الى قلعة
سنت انج وهو يتحسر على عدم احتراسه وعلى اعتماده على ما لا يعتمد عليه فاقام
الاعداء حصارها دورا ووقع النهب والسلب في قصر واتيكان وكنيسة
مارى بطرس وسوق ورزآ البابا واتباعه واهانة المدينة فلم يلحقها ادنى
ضرر ولما لم يكن عنده ما يقدر به على المدافعة عن نفسه بل ولا ما يقوت به
اضطر الى التماس الصلح بعد مدة قليلة ودخل الايلجي هوغس موتكاد
قلعة سنت انج وهو في ابهة العالمين والزمه بشروط صعبة لم يمكنه ردها
ولا مناقضتها وكان اعظم هذه الشروط ان البابا يعفو عن العائلة الكولونية
واحزابها ويظهر لهم نفس الرضا والاعتبار وان يقبل بدون تراخ عن جيش
المعاهدين المقبوض على الامبراطور جميع العساكر الذين كان ارسلهم
من طرفه

رب العائلة على مدينة رومه

وكان قصد العائلة الكولونية ان تعزل البابا وتولى بدله على الكنيسة الرومانية
قريبها بومبه كولون فطلبت من هذه المشارطة حيث تجعلهم في قبضة
البابا يتصرف فيهم كيف يشاء لكن كان قصد الايلجي هوغس موتكاد مجرد
مصلحة سيده الامبراطور فلم يلتفت الى شكوى تلك العائلة لانه بلغ مقصوده
من ايقاع الفشل والشقاق بين المعاهدين وتشتيت قواهم

ش الامبراطور

وبينما كان جيش المعاهدين يضعف ويقل عدده في ذلك الوقت بسبب انفصال
عساكر البابا عنه اذا بالى جيش الامبراطور طائفتان عظيمتان احداهما
طائفة تبلغ ستة آلاف رجل اتت من اسبانيا وكان عليها رئيسان وهما
الامير لانواى والامير ألرسون والطائفة الاخرى اتت من بلاد المانيا
وكان رئيسها جورجى فروندسبرغ وهو امير المانى تهدد بحروب ايطاليا
وكان له شهرة عظيمة وصار له حظوة ونفوذ كلمة بين ابناء وطنه حتى انهم
في هذا الوقت كانوا يأتون اليه افواجا ويدخلون تحت الوية ليسعدوا انفسهم
من جور الكنيسة والمظالم الدينية فاجتمع عنده من العساكر اربعة عشر
الف كل واحد منهم انكو (ريال) لاغير وانضم اليهم الفان من الخيالة جمعهم

الامير

سنة ١٥٢٦م

الامير فرديناند من بلاد اوستريا بكثير من عساكر الامبراطور لكنه لم تكن عنده
ما يكفيهم من المصاريف وذلك ان ايراداته المعتادة كانت قد نفدت وكانت التجارة
اذ ذاك لم تتسع دائرتها فلم يكن كثير من الملوك يأخذه كل النقود بالنسبة للاغراض
والاشغال والعطايا ونحو ذلك وطالما حصل الامبراطور على مشورة الكورطس
بمملكة قشتالة واحدث بعض تغييرات في قوانين هذه المشورة لعله يحصل
بذلك ما يطلبه من الاهالي فلم يجد ذلك نفعا لان المشورة المذكورة أبت أن تتبرع
على احد باموال غير المعتاد ومن ثم كان كلما كثر عدد جيش الامبراطور
ازدادت حيرة الجنرالات والرؤسا لاسيما الدوق دي بوربون فانه كان في خطب
عظيم لهذا السبب ولم يمنعه ذلك أن يبذل غاية جهده ويجمع ما في وسعه
وذلك ان العساكر الاسبانيولية التي كانت في دوقية ميلان مكث لها عدة اشهر
لم تأخذ ماهيتها فلما دخل الامير فروندسبرغ ومعه عساكر الالمانية المتقدمة
وكانوا على غاية من الاحتياج لا يملكون شيئا طلبت عساكر اسبانيا أن يدفع لهم
ماهياتهم وطلب العساكر الالمانية المذكورون أن يصرف لهم ما وعدوا
باعطائه عند دخولهم دوقية ميلان وصار كل من العساكر الاسبانيولية
والالمانية يشدد في الطلب كل التشديد فلما رأى الدوق دي بوربون أنه
لا يمكنه تسكين غيظهم اضطر الى ارتكاب امور ظلمية تخالف طبعه من
الحلم والمروءة وذلك انه قبض على اكابر دوقية ميلان وهددهم واذاقهم
العذاب الاليم حتى حصل منهم مبلغا جسيما واخذ من الكنائس جميع ما كان
من سنيه من انواع المعادن النفيسة ومع ذلك فلم تكف هذه المبالغ الا انه لما وزعها
على العساكر امكنه أن يسكن غيظهم بحيله وخداعه وان كانوا لم يستوفوا جميع
استحقاقهم

مطلب
نفاد اموال الامبراطور

ولما كان الدوق دي بوربون لم يزل محتاجا كل الاحتياج اطلق الامير موروني
من السجن وكان وضع فيه بعد ظهور الدسيسة التي كان دبرها فاخذ منه عشرين
الف دوكات وخلى سبيله مع ان القضاة الاسبانيولين الذين اشتغلوا بتحقيق
دعواه كانوا قد حكموا بقتله فانظر كيف كان عمل هذا الامير وحيله

مطلب
اطلاق الدوق دي بوربون للامير موروني

حيث كان يستميل اليه كل من يدنو منه حتى انه انتقل من وصف كونه اسيرا للبلاد
الى وصف كونه مختصا بالدوق دي بوربون حتى كان يشاوره في اهم
المصالح ولا شك انه هو الذي نصح الدوق وخدعه ايهم هذا الدوق ان الامبراطور
لم يقصد أن يجعله ملكا على دوقية ميلان وان الامير لنوه وغيره من
الامراء الايطاليين لم يكن ارسالهم من طرف الامبراطور عن طيب نفس
وصدق نية لقصد اعانته على تتميم مقصده وهو استيلاؤه على دوقية ميلان
وانما ارسلهم ليكونوا يتجسسون عليه ويطلعونه على حركاته وافعاله وكان
بوربون المذكور في سن الشباب ومع ذلك كان مغرورا كأنه في عنفوان شبابه
فلا مانع أن يكون هو السبب في تحريض الدوق دي بوربون على المشروع
العظيم الذي هو بصدده بعد ذلك بمدة قليلة ولم يكن يتوقع من مثله

ثم ان العساكر الموجودين في ميلان لم يزالوا يشددون في طلب
استحقاقهم ورواتبهم على ذلك كان لا يتيسر تحصيل ما يقوم بمصاريفهم ومؤنتهم
فلزم البحث عن واسطة يكون بها الخلاص من تلك الورطة وكان ما لهم من
الاستحقاق يزداد كل يوم ومع ذلك كان الامبراطور لا يرسل الى رؤسائهم شيئا
من الدراهم فبذل هؤلاء الرؤساء غاية جهدهم فلم يمكنهم تحصيل شيء من البلاد
التي كانوا بها لانها كانت قد خربت ونفدت اموالها فكان لا يتقدم من هذه
السنة الا احد شيئين اما اطلاق الجيش او السير به الى بلاد العدو ليقوت
منها وكان اقرب البلاد اليهم البندقية الا ان البنادقة لما كانت عادتهم
النظر في العواقب حصنوا بلادهم حتى صارت آمنة من هجوم العدو فلذلك
تعين تسيير العساكر الامبراطورية لتهجم على بلاد البابا او بلاد فلورنسه
وكان البابا كلمان بافعاله السابقة قد استوجب ان ينتقم منه الامبراطور
انتقاما شديدا خصوصا وكان البابا بمجرد دخول عساكره في رومه بعد قيام
العائلة الكولونه لم يراع المشارطة المنعقدة بينه وبين الاملى هوغس
مونكاد فعزل الكردينال بومبيو كولونه ونفى العائلة الكولونه
وتغلب على جميع قلاع تلك العائلة وحصونها وخرب اراضيها وديارها وبعد ذلك

الدوق دي بوربون
بيان فعله

وجه

سنة ١٥٢٦

وجه عساكره الى مملكة نابلي وكانت بعض المدن الفرنساوية قد غلب منها على بعض بلا دفع بالسهولة وكانت عساكر الامبراطور لعدم الاموال لا يمكنها أن تداوم حتى المقاومة

سنة ١٥٢٧

مطلب
توجه الدوق دى بوربون للهجوم على اراضى البابا

فلما ظهر ذلك عن البابا اتخذه الدوق دى بوربون حجة فى تخليصها مما صادفته الى حيلة عليها الضرورة وكانت الاحوال اذ ذاك لا تساعده فاستدلوا على انه كان فى بأس عظيم وانه صاحب معارف غزيرة حتى امكنه أن يظهر على تلك الموانع الكبيرة الصعبة وذلك انه بعد أن سلم حكومة ميلانو الى الامير ليوه توجه فى شدة القر والبرد ومعه جيش سلح جميعه وعسكر من الالمانيين فى الملل والاخلاق والمعاش ولم يكن معه مال ولا ذخائر ولا اسلحة ولا مهمات وبالجملة فلم يكن معه شئ من الامور اللازمة لهذا الجيش الكبير بل ولا اسير به صغير من العساكر ولا يخفى ان البلاد التى كان متوجها اليها مغطاة بالجبال والانهار ومسالكها عسرة وعرة وبالاضافة الى ذلك كان جيش العدو اكثر عددا من جيشه بحيث يمكنه أن يلاحظه فى جميع حركاته ويغتنم كل فرصة لاخذه ولكن لسلامة خطه كان عساكره قد سئموا من الشدائد التى حلت بهم فكان غاية مرامهم معرفة عاقبتها وما يؤول اليه ليخلصوا من العذاب الاليم الذى كانوا به لا سيما وكانوا يطمعون أن يغنموا غنيمة عظيمة فى مقابلة المشاق التى كابدوها فى الطريق وساروا مع الدوق دى بوربون مسرعين لقصده وكان قصد هذا الدوق ان يبتدئ بالتغلب على مدينة فلورنسه وينهبها ويعطى اموالها للعساكر لكن تحفظ جمهور الاتحاد المعاهدين افسد عليه هذا القصد فقصد حينئذ التغلب على مدينة بولونيا فلم ينجح ايضا لان هذه المدينة كان بها من المحافظين من يكفى فى حمايتها من جيش لا ذخائر معه ولا اسلحة فلما لم ينجح بوربون فى هذين المقصدين يئس من أن يمكنه التغلب على مدينة من المدائن الكبار واستمر على السير بجيشه ولكن كان قد مكث شهرين كاملين وهو يجد السير حتى تعب العساكر كل التعب من طول السير وشدة الشتاء وعدم الذخائر وكانوا اغتروا قبل ذلك بمواعيد وعدوا بها فلما خاب املهم بها واذا حلمهم

مطلب
عصيان عساكر الدوق دى بوربون

السقوط واليأس من قرب هميم وشفقت قوتهم واخذوا يتعثرون ويتظلمون حتى اظهروا العصيان واخذ بعض الضباط في تسكينهم فصار وبل لم يمكن للدوق دي بوربون أن يظهر أمامهم في شدة عصيهم واضطر الى الفرار والخروج سرا من مسكنه لكن بعد ذلك سكن عصيهم بالتدريج وكان لهذا الدوق براعة عظيمة في ادارة العساكر وتأليف قلوبهم فحصل عليهم وعزهم بالمواعيد المرجوة وفعل معهم جميع ما رآه لازما للشجاعة وسلمهم على المشاق والكروب التي كانوا فيها فكان يمشي على رجليه ويمشي معهم الاسفار التي كانوا يسيرونها ويأتون فيها بدرجة الشجاعة ويسحرونه من حسب العادة والصبر وكانوا اذا امر وامر به يأذن لهم فيها حتى يسرح صدورهم ويعولوا انه معهم على الوفا وعده ولما كان يحصل عليهم بهذه المسايسة سوا آلامهم ومساعيهم واستمروا على المسير معا بالوحدة وصاروا لا يسكون ابدا

ولكن كان الدوق دي بوربون لا يظهر مقاصده حتى ان رومه و فلورنسه لما كانا لا يعلمان الى اين توجهه مكثا في شدة عظيمه وكانت حيرة البابا كلمان اعظم من حيرتهما لانه كان يحافظ على اشياء هي أشد المدن في الامن والاطمئنان لماله في ذلك من المصلحة وحين كانت الاخطار التي كان عرضة لها تستدعي أن يحترس بغاية وسعه كان يضيع الوقت في مذاكرات لا تجدي نفعا او يصمم على امور ثم يعدل عنها الا من بعثه وان كانت بدرلند فانو المشكلات الا انه كان يعجز عن ادراك ما يكون به ازالتها فكان تارة يصمم على بقائه في زمرة المعاهدين وبذل وسعه في الحرب مع الامبراطور وتارة يصمم على انهاء الحرب التي هي احسن حتى جاءه الخبر والخوف على عقد مسارطة مع الامير لانواى وكان من جملة سودها الاصلية ان يعقد هدنه ثمانية اشهر بين عساكر البابا وعساكر الامبراطور وان البابا يعطي ستين الف اكو (ريالا) لتصرف على الجيوش الامبراطوريه وان يعفو عن العائلة الكولونيه ويرد اليها اراضيها ومناصبها وان يذهب الامير لانواى الى رومه ويمنع الدوق دي بوربون عن الهجوم عليها وعلى مدينة فلورنسه وان يرى ان البابا بهذه

المسارطه

ن البابا وعدم حصر...
...ن
المسارطه المنعقد في ١٥ ... شهر ادار بين البابا ... الامبراطور في مملكة نابلي

سنة ١٨٢٤

المسارطه قد حرم نفسه من اعانة المعاهدين من عواقب تربت عليها عزم تعتمد عليها في الامن على نفسه ومع ذلك ظن انه قد خلص من جميع الاخطار التي كان عرضة لها لانه سرح عساكره ما عدا من كان يلزم لحفظ وحراسته وكان الباباهو عند نابليون يوم ما جرى مع المعاهدين بوطنه كوزه وكلاهما من الباباواماكنه تعلو منصبه وكبره معارفه ان يدرك ان البابا في غرور عظيم ويمسك حسب راى البابا آمنا مطمئنا في تلك المدة مع انه دأبه الخوف والوسوسة لكن لم يعلم ان ذلك سببا الاعمى المنصرة الذي يعمي به الله على من اراد خسارته وكان ذلك امرا مقتضيا

مطلب
عدم ارسال دي نوربون الى هذه المسارطه

والظاهر ان الامبراطور لاتواى كان مقصده ان يعمل عصمي المسارطه المنعقده سهو من البابا وذلك انه بعد ان استمال البابا كامبان ووصل على حرب المعاهدين اراد ان الدوق دي نوربون يوجه بنفسه الى اهل المسارطه لانهم هم الذين اظهروا التعصب للامبراطور اكثر من جميع الامم التي كانت محاربة ايديهم لاجل هذا الغرض وصلا الى الدوق دي نوربون ليخبر بالهدنة التي عقدها البابا باسم الامبراطور ولكن كان لهذا الدوق مأرب اخرى وكان مصمما على مشروعه كل التصميم وكان يخشى ان يظهر للعساكر العدول عن مقصده زيادة على ذلك كان بعض البابا بعضا شديدا فلم يسمع قول لاتواى واستمر على محاربة دول البابا وعلى السير الى فلورنسه ولما قاومها ازداد رعب البابا كامبان وعظمت حيرته وكبرت مصيبته وطلب من الامبراطور لاتواى ان يمنع عنه الدوق دي نوربون فسافر لاتواى لما له الحبس لكنه لم يستطع الدوق منه وذلك ان عساكر دي نوربون بمجرد ان سمعوا خبر الهدنة داخلهم الغضب والغيظ وطلبوا انجاز ما وعدوا به حتى كان لا يمكن للدوق دي نوربون ان يسكن غضبهم فرأى اهل رومه انه لا محيص عن هذا الخطب وانه لا ينفعهم احتراس ولا تدبير واما البابا كامبان فانه رجع الى ما كان عليه من الامن والاطمئنان لان الدوق دي نوربون خادعه واظهر له انه لا يريد الا الصلح

مطلب
قدوم دي نوربون الى مدينة رومه

ولا يخفى ايضا ان الدوق دي نوربون كان حيرا في امره وذلك انه لم يصح

١٥٢٧م

في هجومه على بعض المدن وكان قد اراد الهجوم على مدينة فلورنسه فرآها قوية على المقاومة فلما وصل اليها من العساكر مع الدوق اوربان فاضطر الى العدول عن مقصده الى مقصد آخر وصمم على مشروع صعب جعله اهل عصره من قبيل الكفر وذلك انه عزم على اخذ رومه ونهبها ثم كان هنالك عدة اسباب تحمله على ذلك منها اغاظة الامير لانواي حيث كان يريد اتيان هذه المدينة آمنة مطمئنة بالمشارطة التي عقدها مع البابا ومنها انه كان يرى أنه الامبراطور يحصل له حظ عظيم من اذلال البابا كليمان لكونه هو السبب في العصبة التي تحزبت عليه ومنها انه كان يطمع انه اذا اخذ هذه المدينة واعطى سلبها للعساكر ازداد حبهم فيه وارتباطهم به واعانوه على مقاصده ويحتمل وهو الاقرب انه كان يؤمل انه ان اخذ المدينة المذكورة التي هي اعظم مدائن النصارى امكنه أن يتخذ لنفسه مملكة مستقلة وينفصل عن الامبراطور ويصير ملكا على بلاد نابلي او غيرها من ممالك ايطاليا

وعلى كل فقد نجز مقصده مع السرعة العجيبة وذلك أن عساكره لما رأوا عجيبهم نصب اعينهم نسوا ما لحقهم من مشاق الجوع وصاروا لا يشكون من عدم صرف ماهياتهم لهم فلما رأى البابا انهم جاوزوا اقليم طوسكانه وتقدموا جهة رومه علم ان آماله من قبيل الاماني الباطلة واسقط من غفلته لكن كان الوقت لا يساعده لنصيحة ولو فرض انه كان ثم بابا غيره اعظم منه جسارة وأسرع في انهاء الامور فيها لما امكنه ان يحترس باحتراسات نافعة يدافع بها عن بلاده وبالجملة فهذه حكم كليمان على الكنيسة الرومانية لم تنفك عنها الاختلال والحيرة ومع ذلك فقد جمع من كان باقيا في مدينة رومه من العساكر الذين سرحهم وسلح الصنايعية وخدم الكردينالات واصلح ما كان باسوار المدينة من الخلل والشروم المهدومة وانشأ تحصينات جديدة وحكم مكفر دي بوربون وعساكره وسب الالمانيين بتسميته اياهم لوثريه يعني اتباع لوثير والاسبانيولين بتسميتهم مسلمين وعول على هذه الامور التي لا تجدي نفعا طامعا ان حكمه على هؤلاء العساكر بالكفر يزجرهم ويردهم عن مقاصدهم

ولا نعلم

البابا للمدافعة
عنه

سنة ١٥٢٧

ولا نعلم انهم كانوا يحضرون ذلك ولا يصادقون عليه بل كانوا لا يريدون الا الغنيمة في الحرب فاشار عليه ارباب ديوانه أن يخرج من المدينة فأبى أن يصغي لقولهم وصمم على المكث بها حتى يأتي اليه العدو

مطلب
الهجوم على مدينة رومه

وكان دي بوربون يرى انه لا بد له أن يهمل في ذلك طريقة عن حيث ان معاصيه قد ظهرت وعرفها الخاص والعام تحت الستر حتى بين جيش الدوق اوربان بعدة مراحل ونزل بجيشه في سهول رومه في مساء اليوم الخامس من شهر ايار واخذ يري عساكر القصور والكنائس الموجودة بهذه المدينة التي مكثت عدة قرون وهي تبلع اموال بلاد اوروبا بدون أن يمسها يد عدو من الاعداء وحسن لهم ان يستتر بجوامد الليل ليستعد للاخذ المدينة عنوة في الغد ووعدهم ان يعطيهم في نظير ما يلحقهم من المشاق جميع الخزائن الموجودة بها

وكان دي بوربون قد صمم على تخليد ذكره بهذه الواقعة اما بنجاحه او بموته ففي صباح اليوم الثاني ظهر أمام عساكره متسلحا بجميع ادوات القتال ولابسا فوقها ثوبا ابيض لكي يتمكن من رؤيته اعداؤه واحبابه وحيث كان يعلم أن جميع ذلك يتوقف على السرعة بالهجوم سار فورا بعساكره ليصعد اسوار المدينة واخذ من التلال الثلاثة التي كانت بجيشه ثلاث جماعات جماعة من الالمانيين وجماعة من الاسبانيوليين والثالثة من الايطاليين وفرق منها فامر كل جماعة أن تهجم على محل مخصوص وسير هذه الجماعات الثلاثة باقي الجيش ليعينها ويعضدها على حسب ما تقتضيه الاحوال فسار الجميع واخذ العساكر وهم يتقدمون جهة المدينة لم يراهم الرائي من عن النظر حتى وصلوا الى شاطئ الخندق الذي كان حول ضواحي المدينة ووضعت السلالم في اسرع وقت وصعدت كل جماعة على الاسوار مع الشدة العظيمة والهمة التامة فكأنما كانت تغار من بعضها لكونها من ملل مختلفة فقابلهم اهل رومه اولا بعزم وكبر همم واظهر السويس الذين كانوا يحرسون البابا وكذلك العساكر الذين جمعهم من الشجاعة والشهامة ما جعلهم اهلا للاعتماد عليهم في المدافعة عن

١٥٢٧

اعظم مدة أن البناء واشهرها حتى انه تعرف بهم وبناهم لم يمكن لعساكر دي نوربون
أن يقدموا عليهم مع شدتهم وحميتهم بل اخذوا في الشهير والرجوع على اعقابهم
فلما رأى الدوق دي نوربون ان هذا الوقت هو وقت النصرة او الانهزام نزل
عن جواده وتقدم أمام العساكر الهاجمة واخذ سلمًا من واحد من العساكر واسنده
الى الحائط واخذ يصعد عليه وهو يقوّي قلوب عساكره ويصيح عليهم أن يتبعوه
فاصابته من جهة السور رصاصة نفذت صلبه فادرك ان جرحه قاتله لكن
لم يغب عقله فاوصى من كان قربه أن يستروا جثته ببرنس حتى لا تعرفه
العساكر اذا رأوه ميتا وبعد سقطه قليلا مات وهو في همة عالية يكسوه حلة البهاء
والابهة ب ولو كان قتله في المدافعة عن بلاده لارتقى على جيش اعدائه ووطنه
لكان ما ظهر من الهمة في الموت يكسبه اعظم فخرا اكتسبه الرجال
ويرتب به سير الابطال

موت

نوربون

ولكن لم يمكن اخفاء هذه الحرمة طويلا لانه كانت عادته أن لا يغفل بل كان ينتقل
من جهة الى اخرى ويبادر الى المهمات الخطرة ليقتحم اهوالها وخطوبها
فلما غاب عن اعين العساكر عرفوا انه قد مات لكن لم يفزعهم بل ازدادوا جرأة
وحربًا وصاروا يهتفون بلفظ دي نوربون من صف الى آخر ويرنون بقولهم
عليكم بالدم واخذ الثار بعد موته فلذلك كانت قوى العساكر الذين كانوا اضعفوا
عن الاسوار فلم تر عساكر دي نوربون من يقاومهم ودخلوا مدينة رومة
كسيل العرم يزيل ما صادفه في طريقه
وكان البابا كليمان مدة القتال يصلي في محراب مارى بطرس يبسط الاكف
بدعاء غير نافع ويطلب من الله النصرة على اعدائه فلما اتاه الخبر ان عساكره
قد رجعوا على اعقابهم ركن الى الفرار ومن العجب انه لم يخرج من باب غير
الباب الذي دخل منه الاعداء حتى لا يصادفه احد بل ذهب هو وثلاثة عشر
من الكردينالات ورسل الممالك الذين كانوا عنده الى قلعة سنتانج ولم يردع
مما حصل له من الخوف مهما قيل ذلك فعند ذهابه الى هذه القلعة رأى عساكره
يفرون أمام الاعداء وهم لا يرثون لحالهم وسمع صياحا اتى الى مدينته ونواحيها

وراى

سنه ١٥٢٧

ورأى بعينه المصائب التي كان سببها سوء ادارته وعدم بصيرته

ولا يمكن وصف ما لحق رومه من المصائب والاهوال التي اعقبت هذه الحادثة لانه يقصر عنه العبارة ويعجز عن أن تصوره عقل اوبصيرة وصف ما حصل لسكان رومه ما حصل لمدينة اخذت عنوة بعساكر كالمحابس حلت قلوبهم من المروة والرأفة فاصابهم مساوة الالمانيين الذين هم كالوحوش الكاسرة وطمع الاسبانيوليين وسفاهة الايطاليين وحصل النهب في الكنائس والقصور والبيوت ولم يحترموا شيوخا ولا اعيانا ولا نساء بل جميع افعالهم القبيحة كل الناس وعم الكرد سالات والقسوس والاشراف والدنيا والبنات مساواة هؤلاء المنهزمين الذين كانت قلوبهم خالية عن الشفقة والمروءة ولا يخفى انه في العادة متى اخذت مدينة عنوة لا تستمر فيها الفواحش والمظالم من طرف المتغلبين بل تبطل بمجرد سكون غضب العساكر الا ان عساكر الامبراطور مكثت عدة اشهر بمدينة رومه وهي تظلم الاهالي ولم يسكن غضبها بل ولم ينقص عن الحالة الاصلية وكان ما عموه من النقود بلغ مليون من السادقة وما اخذوه في الفدا او نظير ذي الظلم والنهب يزيد على ذلك ثم ان رومه كان قد تغلب عليها عدة مرات الامم الهمالية الذين هزموا الامبراطور في القرن الخامس عشر والسادس عشر الا ان هؤلاء الامم الكفرة الفجرة الذين كان منهم امة الهونس والوندالس والقوط لم يفعلوا بها كما فعل هؤلاء العساكر الذين هم متدينون بدين النصرانية ويحكمون على كاتولبقي

ويعد موت دي بوربون تولى قيادة الجيش الامبراطوري الامير فلبير دوسالون وكان من عائلة اورنجه الملوكية فسوّى عليه حدا وعن النهب أن يأخذ بعض العساكر لحاصر قلعة سنتنج فلما قاموا بحصار هذه القلعة ادرك البابا كلمان انه قد حرم عقده ولا ادارة حسب التي بعثه في قلعة خالية عن المهمات وادوات المدافعة ولكن كان يرى ان عساكر الامبراطور مشغولون الى النهب في المدينة وليسوا معتنين بحصار القلعة فيؤول به حسبانه يمكنه المقاومة حتى تاتي اليه الدوق اوربان بعسكره وبعض من اعدائه وكان هذا الدوق قادما

مطلب نهب رومه

مطلب حصر البابا في قلعة سنتانج

على رومة جيش من عساكر الاسبانيه واهل فلورنسه والسويسه
وكانوا جميعا مستأجرين على طرف مملكة فرانسا وكان هذا الجيش كبيرا
بحيث يمكنه انقاذ البابا كليمان من الخطر الذي كان به ولكن كان الدوق
اوربان بغض غاية متردد وكان كليمان من تلك الغاية فاتر الاهتمام
لا سيما من هذه الغاية على ما يكتسبه من الفخار بانقاذه لبعض الممالك
النصرانية ورئيس الملة المسيحية فزعم أن انقاذ تلك المدينة خطر جدا وانه
لا قدرة له عليه ولاجل أن يفهم البابا انه انما فعل ذلك لمصلحته ومن غايته
قرب من مدينة رومة حتى رآه البابا من قلعة سنتنج ثم رجع فيئس
البابا من النجا واضطر لمدة حصره في هذه القلعة حتى اكل لحم الحمير وبعد ذلك
سلموه لِ الشروط التي الزمه بها الامير فليبردوسالون فرضي أن يدفع الى
جيش الامبراطور اربعمائة الف دوقه وأن يسلم الى الامبراطور جميع القلاع
والحصون الموجودة في اراضي الكنيسة وان يعطي رهائن ويمكث مسجونا حتى
يعمل بمقتضى ما تضمنته المشارطة وأمر الامبراطور بحجز البابا مدة حبسه
لانه سيد على الملك فرنسيس حين كان اسيرا ظهر انه يصلح لتهدئة الوطنية
غاية الصلاحية فانظر الى المقادير حيث ان هذا الامير تولى حجز حبس ملكين
عظيمين لم يقع امثالهما في الاسر ببلاد اوروبا مدة عدة قرون
ولما وصلت الاخبار بهذه الحادثة الى الامبراطور تعجب كل العجب وحصل له
غاية السرور الا انه اخفى ما في ضميره عن رعاياه لانهم كانوا في حين شدة غاية
اسا وظنهم مع البابا الذي هو سيد النصارى كافة ولاجل أن يسكن غضب اهالي
اوروبا اظهر انه لا دخل له في خراب رومة حيث انه لم يأمر بالهجوم عليها
وكتب لسائر الملوك الذين كانوا مساعدين معه انه كان لا يعلم مقاصد الدوق دى
بوربون ولبس علامة الحزن والبس الارباب دولته واتباعه وابطل المواسم والزينة
التي كان امر بها للولادة ابنه فيلبس ومن نفاقه الذي لم يكن يخفى على احد امر
ان يقام دعوات وصلوات في جميع بلاد مملكة اسبانيا لاطلاق البابا من ربقة
الاسر مع انه لو ارسل الى جنرالاته ورؤساء عساكره امرا باطلاقه لاطلقوه بمجرد

لامبراطور في هذا
يعرض

وصول

سنة ١٥٢٧

مطلب
دخول السلطان سليمان فى بلاد المجار

وصول الامر اليهم
وفى ذلك الزمن كان الدهر ساعد عائلة اوستروسيا فى مملكة اخرى من ممالك
اوروبا وذلك ان السلطان سليمان كان دخل بلاد المجار مع جيش
[illegible] رحل وكان لويز الثانى اذ ذاك ملكا على المجار وعلى
بوهيمه [illegible] محاربة ذهب لبرزان هذا السلطان مع جيش لا يزيد
على ثلاثين الفا ولعدم حزمه جعل بول طوموري مطران عولوكز
رئيسا على هذا العسكر فسار هذا الجنرال القسيس امام العدو وهو مغري
برى الرهبان متمنطق بالحبل الذى يتمنطق به طائفة الفرنسسكانيه وكان
يعجب بنفسه ويرى انه لا شئ يصعب عليه وكان عساكره لا يبالون باقتحام
الاخطار واعياهم طول المدة فألحوا عليه حتى شرعوا فى الحرب مع
المسلمين أمام مدينة موهاكز وفى تلك الواقعة قتل الملك لويز والابطال

مطلب
انهزام المجار مع ملكهم

الشبان الاشراف وهلك اكثر من عشرين الفا وكان سبب ذلك كله جهل
المطران الذى قلد قيادة الجيش وبعد انهزامهم تغلب السلطان سليمان على
القلاع الموجودة بالاقاليم المنسوبة من مملكة المجار وخرب ما عداها من
البلاد وأسر مائتى الف نفس ولما كان الملك لويز اخر الذكور من عائلة
ياجلون ادعى الارشيدوق فرديند ان له الحق فى تاجى المجار وبوهيمه
وكان مستندا فى ذلك الى امرين احدهما ان عائلة اوستروسيا كانت تطلب
فيما سبق حق الملوكية على هاتين المملكتين والامر الاخر وانه كان متزوجا
باخت الملك لويز المتوفى ولكن كانت القوانين الالزامية والرسوم السائدة
باقية على اصلها فى مملكتى المجار وبوهيمه حتى كانت ملوكية هاتين المملكتين
بالانتخاب ولولا ان الامير فرديند كان معتضدا بقوى عظيمة لما اجيب الى
ما طلبه ونال الملوكية ولكن كان له فضل ذاتى وكان الناس يحترمونه احتراما
لا حد له لانه كان اخا لاعظم ملوك النصرانية وكان يلزم توليه امير مالك
لقوى الشوكة حتى انه بانضمام عساكره الى عساكرها تصير بلاد المجار فى أمن
من الدولة العثمانية وكانت اخته متزوجة بالملك المتوفى فغلب هذه الاسباب

١٥٢

لامير فرديناند

على قلوب اهل المجار فرضوا بتوليته عليهم وان كانوا قبل ذلك يتوقعون
بالنظر لكثرة اضطرابهم ليس من ابناء وطنهم ثم كان من حزب عظيم يريد تولية
امير ترنسلوانيا وهي الاردل لكن التي قولهم وصار الامير فرديناند ملكا
على بلاد المجار وتبعها اهل مملكة چه فالدعوه بتاج ملكهم لا لانهم
لاجل عدم بلوغ من ابناء ملوكهم على تنصيبه أن يضع امضاءه على وثيقة يعرفها
اقرار بانه اخذها فرديناند تاج مملكة چه لم يعط له بحق بل انما اعطى له
باختيار الملة واختيارها وصارت هذه الممالك فيما بعد وراثية للعائلة اوستروسيا
مكانت اصلا في ازدياد قوتها وجعلها من ذلك الوقت مهابة محترمة عند سائر
ممالك المانيا

الصلح في الدين

وهذه الاشياء التي اوجبت الشقاق بين البابا والامبراطور كانت تعين كثيرا على
نجاح لوتير وانتشار مذهبه بين الناس وذلك انه لما غضب الامبراطور
شرلكان من فعال البابا اشتغل بما يدافع به عن نفسه العصبة التي حزبها عليه
البابا فلم يلتفت الى ابطال مذهب لوتير الذي كان آخذا في التقدم والانتشار
والتمكن من قلوب الناس في بلاد المانيا وانعقدت مشورة الديته

شهر ... ١٥٢٦

الامبراطورية في مدينة اسبير لحضور الحالة التي كان عليها الدين اذ ذاك
فلم يلزم الامبراطور في هذه المشورة امراء المانيا سوى الاجتهاد في الاصطبار
والصبر وأن لا يفعلوا شيئا يقوي به احزاب لوتير حتى ينعقد المشورة المسيحية
العامة التي طلبها من البابا فاتفق ارباب مشورة الديته المذكورة على
أن عقد المشورة المسيحية العامة هو الاليق والاحسن في نسخ مظالم الكنيسة
ومواجبها الا انهم شددوا في أن يكون انعقادها في المانيا وأن يكون
اربابها من اهل تلك الامبراطورية لتكون اعظم ثمرة من المشورة العامة التي
طلبها الامبراطور وافادوا أن ما قاله لهم الامبراطور من انهم لا يفعلون ما يوجب
تعضيد مذهب لوتير لم يلتفتوا اليه بل صرفوا عنه صفحا قبل انفضاض
مشورة الديته من مدينة اسبيره حتى ان العلماء التولوجية الذين
اتبعوا مذهب سكس وامير هسة كسله كانوا يعظون الناس

وبحقوقهم الا مرار الدينية بموجب اصول الدين الجديد لاسيما وكانت الامبراطور
لا يحترم البابا والكنيسة وذلك لشدة غيظه من البابا لاسيما وكان
قد كتب منشورا اذاعه بين الناس وبرهن فيه على أن ما فعله في محله وأن سلوكه
حسن فاشتد غيظ الامبراطور وورد عليه جواب اغلظ فيه واغرب وبدأه
بعد [illegible] بالخطاب التي تدل على غدر البابا وخساسته وطمعه وقلة ديانته ويشكي
من ذلك وشنع عليه كل التشنيع وختمه بايجاب عقد جمعية مسيحية عامة وكتب
ايضا الى فرديناند الكردينال سالات يشكي من عدم انصاف البابا كليمان ومن
تحامله وتعصبه وحرضهم أن لا يهملوا في عقد تلك المشورة المسيحية ولو أبى
البابا كليمان عقدها واراد تأخيرها الى وقت آخر لان تلك المشورة فيها
اصلاح حال الكنيسة النصرانية فان اهمل فيها البابا وجب عليهم أن يعقدوا
مشورة مسيحية عامة باسمهم وانتشر جواب الامبراطور [illegible] ثانيا
ولم يكن في التشنيع والخلاف بين الثلاثة دون ما الف لوثر وقرأه جميع الناس
[illegible] وأثر في سائر القلوب حتى ازال منها ما كان قد انطبع فيها من اعمال الشره
هذا الامبراطور وعمل ذلك من منع الدين الجديد

تم الجزء الاول من كتاب اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان
ويليه الجزء الثاني ووافق ذلك التاسع عشر من شهر رجب سنة ١٢٥٦
ست وخمسين ومائتين بعد الالف من هجرة من له العز والشرف
صلى الله عليه وعلى آله والتابعين على منواله

آمين

[illegible]

بيان الخطا والصواب من الجزء الاول من كتاب اتحاف ملوك الزمان

بتاريخ الامبراطور شرلكان

خطا	صواب	صحيفه	سطر
فى عمره الثماسه	فى عمر الثماسه	١٥	[illegible]
الحومه	الحكومه	١٨	[illegible]
ساعات كان	ساعات وكان	٢	٢٤
هوس	هوس	٢٣	١١
وكان يعلم	وكان يعلم	٢٥	١٣
عراولسوس	عراوليسوس	٧٦	١١
ونعسروبه	ونعسروه	٩١	١
اداكان	اذكان	٩٧	٢
فى دواته	[illegible]	١٤٤	بالهامش
فى مجاميه	فى معاقبة العاصين		بالهامش
الاموس	الامبرس	١٦٠	٤
جهته	جهه	١٦٩	١
الدخلى	الداخلى	١٧٢	٢
امام مقامه	امام معاينه	٢٣٣	٩
رى البابا	رأى البابا	[illegible]	٢٢
اطلع	اطلع	٥٢	٢٤